

أمير المؤمنين فاطمة الزهراء
في الكتاب السنين

أُمِّ مَقَاتِلٍ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ

فِي الْكِتَابِ السَّنَدِيَّ



تَقْرِيرَ الْإِبْحَاطِ

الْمُحَقَّقِ الْفَقِيهِ آيَةَ اللَّهِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ السَّنَدِيَّ

بِقَلَمِ: الشَّيْخِ حَسَنِ الْعَالِي

إِعْدَادَ: الشَّيْخِ مَهْدُوحِ الْعَالِي

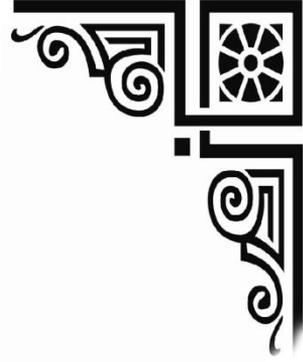


قسم الشؤون الدينية شعبة البحوث والدراسات

هوية الكتاب

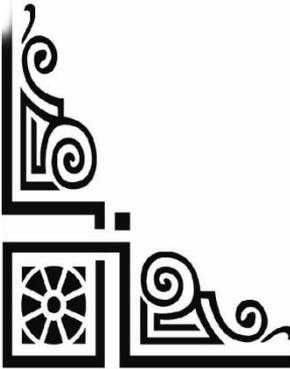
عنوان الكتاب: مقامات فاطمة الزهراء (ع)
المؤلف: تقريراً لمحاضرات آية الله الشَّيْخ مُحَمَّد السَّنْد
بقلم: الشَّيْخ حسن العالِي
إعداد: الشَّيْخ مدوح العالِي
الناشر: شعبة البحوث والدراسات/قسم الشؤون الدينية
سنة الطبع: ٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م
الإخراج الفني: علي جبار

حقوق الطبع محفوظة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يُخْرِجُ مِنْهُمَا الطُّورَ وَالْمُرْجَانَ *﴾



مقدمة المقرر

هذا هو الجزء الثالث من كتاب مقامات فاطمة عليها السلام في الكتاب والسنة ماثل بين يدي القارئ الكريم، وهو عبارة عن دروس وأبحاث عقائدية عالية ألقاها الشيخ الأستاذ آية الله محمد السند حفظه الله على جمع من فضلاء الحوزة العلمية في مسجد عمران بن شاهين بجوار مرقد باب مدينة علم النبي صلى الله عليه وآله.

وقد جاء الكتاب في باين:

الباب الأول: في ضوابط وقواعد دينية جليلة تتصل بأكثر من أصل من أصول الدين لكنها تتمركز حول المقامات العامة لأهل البيت عليهم السلام والتي تمثل الحدود المشتركة بينهم وإن كانوا متفاوتين في الموقعية صعودا ونورية فيما هو مشترك.

وتبرز أهمية تلك الحدود المشتركة بعمق في بحثنا حول مقامات البضعة الطاهرة عليها السلام وذلك لوجود سطحية في الفهم لدى كثيرين حول شراكتها في المقام والدور للنبي والأئمة عليهم السلام لإشكالية كونها امرأة.

ولذا تنفّح من مجموع ما طرحه الشيخ الأستاذ في الضوابط مدى ما للزهراء عليها السلام من موقع أصيل في دائرة أهل البيت عليهم السلام بل تبوّؤها موقع صدارة بينهم.

وفي الباب الثاني: فتح الشيخ الأستاذ الباب على مصارعيه في البحث العقائدي والمعرفي الدقيق حول مقاماتها مبيّنا رتب مقاماتها عليها السلام، والمقام الأم بين تلك المقامات، بل تصب نتيجة كل الأبحاث والمقالات في الدليلية على أم مقاماتها وهيبتها على مقامات الأئمة من ولدها عليهم السلام.

وتناول الأستاذ الكثير مما خفي على المتكلمين ولم يذكروه في كلماتهم الا ارتكازا مما لفاطمة البتول عليها السلام من مقام حجية وولاية، متوسعا في بيان ولايتها بلحاظ عالم الدنيا وبقية العوالم العالية.

ولذا كان البحث كالبحر المتلاطم كلما عبرنا منه موجا استقبلتنا أمواج وأمواج فتأكد اليقين أن البحث في شخصية ومقام البضعة الطاهرة عليها السلام لا يتوقف عند أفق ولا ينتهي عند حد.

والأمل معقود أن يتلو هذا الجزء أجزاء بقدر طاقتنا من الاعتراف من بحر النبوة ولبوة الرسالة.

ويحدونا الأمل أن يفتح هذا الكتاب الطريق للباحثين المجيدين ليشمروا عن سواعد التنقيب في روايات الوحي وبالخصوص في روايات مقامات فاطمة عليها السلام لتأخذ العقيدة بها عليها السلام موقعها الديني المناسب، ويرتفع شيء من القصور والتقصير العلمي لدى النخب وجمهور المسلمين.

النجف الأشرف

رجب الأصب ١٤٣٦ هـ

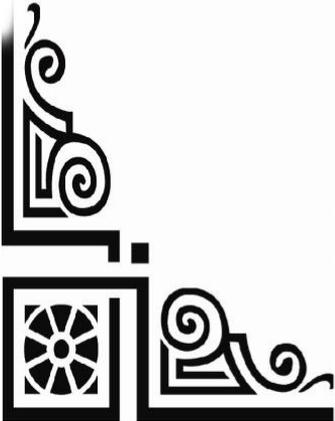


الباب الأول:

ضوابط عامة

الضابطة الأولى: المحكمات وطبقاتها الضابطة لمعرفتها.

- ❖ كيف نتعرف على طبقات المحكمات.
- ❖ ولاية أهل البيت عليهم السلام مثبتة في أم الكتاب.
- ❖ وقفة مع السيد المرتضى.



الضابطة الأولى: المحكمات وطبقاتها الضابطة لعرفتها

بادئ ذي بدء ثمة مجموعة من الأسئلة:

أولاً: كيف نتعرف على محكمات القرآن الكريم؟

ثانياً: وكيف نُميِّز بين طبقات محكماته؟

إذ لا يخفى أنه بعد التمييز والفرز بين المحكمات والمتشابهات لا بد أن نعقد بحثاً آخر تعميقاً لهذه الحقيقة وتجلية لأبعادها.

وخلاصته هو أن كلَّ محكم بالقياس إلى ما فوقه من المحكمات يعتبر مُتشابهاً محكمه المحكم الذي فوقه.

بمعنى أن المحكم الفوقي يزيج ويكشف تشابه المحكم الذي دونه، إذ أن إحكام المحكم إنما هو صفة له باعتبار ما تحته، لكنَّهُ وبالنظر لما فيه من مساحات تمتزج بالتشابه أحتيج في كشف منطقة تشابهه إلى إرجاعه إلى ما فوقه من المحكمات.

وإيضاحاً لهذا المطلب يمكن أن نمثّل بدرجات النور، إذ هو بمستوى معين نور وكيس ظلمة، وهذا النور إذا ما قايسناه بنور أكبر منه يكون بالقياس والمقابلة نوراً ممتزجاً بظلمة.

فلو قست النور في درجة الخمسين إلى النور في درجة المئة لاضمحل الأول في الثاني،

بحيث لا يطلق على نوريته اسم النور بالقياس بالثاني.

وَقَدْ أَيَّدتْ الاكتشافات العلمية الحديثة ما وَرَدَ عَنِ الإمامِ زَيْنِ العابدين عليهما السلام فِي قوله:
«سبحانك تعلم وزن الظلمة والنور»^(١).

إذ نسب للظلمة وزناً؛ ولذا اكتشفوا أَنَّ الظلمة ليست عدماً مطلقاً، وَإِنَّمَا هِيَ نور
ضعيف، وإطلاق وصف الظلمة عَلَيْهَا إِنَّمَا هُوَ بالقياس للنور الأقوى منها.

ومما يُؤكِّد وجود نوريَّة ضعيفة فِي الظلمة أَنَّ العدسات الليلية المستعملة فِي الرؤية آناء
الظلام وظيفتها الفيزيائية استئثار ذَلِكَ النُّور الضعيف المصاحب للظلمة فتتحقق به الرؤية.
وَعَلَى ذَلِكَ تقاس الأنوار بعضها إلى بَعْض.

وَبِهَذَا المثال يتقرب للأذهان الاختلاف فِي درجات المحكمات، فكَمَا أَنَّهُ فوق كُلِّ ذي
نورٍ نور أكبر وأقوى فكذلك فوق كُلِّ ذي محكمٍ محكم.

وَالنُّور فِي درجاته النهائية يطلق عَلَيْهِ نور الأنوار، ويطلق على المحكم فِي درجاته
النهائية عنوان أحكم المحكمات.

وَعَلَى هَذَا الأساس أطلق الباري فِي القرآن عنوان (أمّ الكتاب) عَلَى بَعْض درجات
آياته.

ولخطورة بحث طبقات المحكمات فقد نزلت أكثر من آية من آيات القرآن الكريم لبيانها،
كما اعتنى أهل البيت عليهم السلام وتشددوا فِي الدلالة عليها، مما يؤكد مدى تأثيرها فِي معارف الإنسان

(١) الصحيفة السجادية (الابطحي) الإمام زين العابدين عليه السلام ٢٤.

وفهمه للقرآن.

وفي غير موضع طرحت آيات القرآن الكريم حقيقتين مهمتين:

الأولى: ضرورة الإيمان بالحجج الإلهية بشكل عام.

الثانية: التمييز في الإيمان بين درجات الحجج ومقاماتها.

فَعَلَىٰ صَعِيدِ الْاِعْتِقَادِ بِالْاَنْبِيَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّهِمْ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾^(١).

فأمر بالإيمان بهم جميعاً، لكنّه لم يكتفي بهذا المقدار فأنزل قوله تَعَالَى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾^(٢).

فدلّت الآية الأخيرة على وجوب الإيمان بهم على طبقات ودرجات، ففي حين أن بعض الآيات نهت عن التفريق بين الرسل في صراطهم الحقّ ونهجهم القويم ودينهم الواحد، أمرت آيات أخرى بالاعتقاد بوجود طبقات في ذلك الصراط، وبوجود تفاوت في ذلك المنهاج، وهذا معنى التحفظ في الإيمان على الطبقات والوحدة، أي وحدة في الكثرة وكثرة في الوحدة.

فلو اعتقدت بالوحدة بلا اكتراث بالكثرة كفرت وجحدت، ولو اعتقدت بالكثرة بلا وحدة لكفرت وجحدت، إذ معنى (لا نفرق بين أحد منهم) هو القول بالوحدة، ومعنى

(١) سورة البقرة: الآية ١٣٦.

(٢) سورة البقرة/ ٢٥٣

(فضلنا بعضهم على بعض) هو القول بالكثرة.

وكذلك جمع القرآن الكريم بين نعمة الوحدة ونعمة الكثرة في محكمات القرآن.

فشدد من جهة على وجود المحكمات، وشدد من جهة أخرى على طبقات المحكمات،
فمحكم هو لما دون ومتشابه بالنسبة إلى ما فوق إلى أن نصل إلى أم المحكمات، وفي ذلك ورد
قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ
مُتَشَابِهَاتٌ﴾^(١).

وأم الكتاب هي محكم لكل المحكمات.

كيف نتعرف على طبقات المحكمات:

بات من الواضح بمكان لدى المحققين من المفسرين بطلان التعريف القديم الدارج
الذي يفرق بين المحكمات والمتشابهات بأن المتشابه ما كان لفظه مجملاً ومغلقاً، وأن المحكم
ما كان لفظه بيناً واضحاً.

ووجه البطلان ما وصف الله به جميع آيات قرآنه بقوله تعالى: ﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ

مُبِينٌ﴾^(٢).

الدالة على أنه ليس بين آيات القرآن لفظ مجمل على صعيد المعنى.

وبالتالي لا بد من التفريق بين المحكم والمتشابه بوجه آخر.

(١) سورة آل عمران: الآية ٧.

(٢) سورة النحل: الآية ١٠٣.

وَقَدْ بَيَّنَّ فِي التَّحْقِيقَاتِ الْأَخِيرَةِ فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ أَنَّ التَّشَابَهَ وَالْإِحْكَامَ لَا مَحْلَ لِهُمَا عَلَى صَعِيدِ اللَّفْظِ وَدَلَالَتِهِ الْأَوَّلِيَّةِ، وَإِنَّمَا يَتَطَرَّقُ التَّشَابَهُ وَالْإِحْكَامُ لِلْقُرْآنِ عَلَى صَعِيدِ الْمَعْنَى وَطَبَقَاتِهِ، بَلْ عَلَى صَعِيدِ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْمَعْنَى وَطَبَقَاتِهِ وَهُوَ الْحَقَائِقُ وَطَبَقَاتِهَا.

وبعبارة أُخْرَى: بَعْدَ أَنْ يَنْتَقِلَ السَّامِعُ لِلْأَلْفَاظِ مِنْهَا إِلَى مَعَانِيهَا يَنْشَأُ لَدَيْهِ فِي وَاحِدَةِ الْمَعْنَى وَضُوحٍ وَإِبْهَامٍ، وَلَيْسَ السَّبَبُ فِي الْوَضُوحِ وَالْإِبْهَامِ نَفْسُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَإِنَّمَا هُوَ مُسَبَّبٌ عَنْ دَرَجَةِ عِلْمِ الْبَشَرِ بِالْمَعْنَى وَدَرَجَةِ عِلْمِهِمْ بِالْحَقَائِقِ.

فِيخْطَأُ مَنْ يَظُنُّ أَنَّ التَّقْسِيمَ وَالتَّنْوِيعَ لآيَاتِ الْقُرْآنِ سَبَبُهُ الْأَلْفَاظُ أَوْ الْمَعْنَى بِمَا هِيَ مَدْلُولَاتٌ لِلْأَلْفَاظِ، وَالسَّرُّ فِي ذَلِكَ وَصِفِ الْقُرْآنَ كُلَّ آيَاتِهِ بِالْعَرَبِيِّ الْمُبِينِ، وَإِنَّمَا نَشَأَ التَّقْسِيمُ بَعْدَ مَغَادِرَةِ مَنْصَةِ الْأَلْفَاظِ إِلَى مَنْصَةِ الْمَعْنَى وَطَبَقَاتِهَا.

وَبَعْدَ التَّعْرِفِ عَلَى اشْتِهَالِ الْقُرْآنِ عَلَى مُحْكَمٍ وَمُتَشَابِهٍ وَأَنَّ نَفْسَ مُحْكَمَاتِهِ عَلَى طَبَقَاتٍ يَنْبَثِقُ هَذَا السُّؤَالُ:

كَيْفَ نُمَيِّزُ طَبَقَاتِ الْمُحْكَمَاتِ، وَمَا هِيَ الْمُحْكَمَاتُ الْأَشَدُّ إِحْكَامًا وَالْمُحْكَمَاتُ الْأَدْنَى إِحْكَامًا؟

وَجَوَابُهُ: إِنَّ الْحَقِيقَةَ كَلِمًا كَانَتْ ذَاتَ مَوْقِعِيَّةٍ كَبِيرَةٍ فِي الدِّينِ، وَكَذَا الْمَعْنَى كَلِمًا كَانَتْ ذَا مَوْقِعِيَّةٍ مُتَقَدِّمَةً بَيْنَ الْمَعْنَى الدِّينِيَّةِ اعْتَبَرُ ذَلِكَ الْمَعْنَى أَشَدَّ إِحْكَامًا مِنَ الْمَعْنَى وَالْحَقَائِقِ الْأَنْزَلِ مِنْهُ.

وبعبارة أَوْضَحَ: إِنَّ الْآيَاتِ الْمُتَعَرِّضَةَ لِلْمَعَارِفِ الَّتِي هِيَ مِنْ أَصُولِ الدِّينِ وَعَقَائِدِهِ تَعْتَبَرُ أَشَدَّ إِحْكَامًا مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي تَتَعَرَّضُ إِلَى فُرُوعِ الدِّينِ، وَالسَّرُّ فِي ذَلِكَ هُوَ أَنَّ الْمَعْنَى فِي

العقائد وفي أصول الدين أعلى مرتبة وجودية وحقائقية من المعنى في فروع الدين.

وَبِهَذَا يَتَبَيَّنُ أَنَّ أَشَدَّ آيَاتِ الْقُرْآنِ إِحْكَامًا هِيَ الْآيَاتُ الَّتِي تَتَعَرَّضُ إِلَى التَّوْحِيدِ وَمَعَارِفِهِ.

وَالسُّؤَالُ لِمَ ذَلِكَ؟

قَدْ مَرَّ أَنْفَاءً أَنَّ آيَاتِ الْعُقَائِدِ أَشَدُّ إِحْكَامًا مِنْ آيَاتِ الْفُرُوعِ، وَلَمَّا كَانَ التَّوْحِيدُ أَسَاسَ كُلِّ الدِّينِ وَأَسَاسَ كُلِّ مَعَارِفِ الْقُرْآنِ فَلَا مَحَالَةَ أَنْ يُوْزَنَ بِهِ غَيْرُهُ لَا أَنْ غَيْرُهُ يَزِنُهُ، لِأَنَّ مَعْنَى الْمَحْكَمِ هُوَ الْأَمُّ، وَالْأَمُّ مَعْنَاهَا الْمِيزَانُ وَالْمَدَارُ، وَلَا يَعْقِلُ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ مِنَ الْأَصُولِ فَوْقَ أَصْلِ التَّوْحِيدِ لِيُوْزَنَ بِهِ.

وَتَأْتِي فِي الرِّتْبَةِ اللاحقة الآيات التي تتعرض للنبوة فهي أعظم وأشدَّ إحكاماً من الآيات التي تتعرض لبقية أصول الدين، لِأَنَّ مَوْقِعِيَةَ النُّبُوَّةِ مَوْقِعِيَةٌ مَدَارِيَّةٌ بَعْدَ مَوْقِعِيَةِ التَّوْحِيدِ.

وَالْمَعَادُ إِذَا مَا لَاحِظْنَاهُ فِي قِسْمِهِ الْمُرْتَبِطُ بِالتَّوْحِيدِ يَكُونُ بِهَذَا الْمَعْنَى أَعْظَمَ مِنَ النُّبُوَّةِ، وَإِذَا لَاحِظْنَاهُ فِي قِسْمِهِ الَّذِي لَا يَرْتَبِطُ بِالتَّوْحِيدِ تَكُونُ النُّبُوَّةُ أَعْظَمَ مِنْهُ، وَبَعْدَ النُّبُوَّةِ تَأْتِي مَوْقِعِيَةُ الْإِمَامَةِ، فَتَكُونُ الْآيَاتُ الْمَتَعَرِّضَةُ لَهَا أَشَدَّ إِحْكَامًا مِنَ الْآيَاتِ الْمَتَعَرِّضَةِ لَهَا هُوَ دُونَهَا.

وَلَايَةُ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُشْتَبَةٌ فِي أَمِّ الْكِتَابِ:

وَمَا أَثْبَتْنَاهُ مِنْ أَنَّ مُحْكَمَ الْآيَاتِ نَازِلَةٌ فِي بَيَانِ أَحْكَامِ الْعُقَائِدِ يَتَجَلَّى بِوُضُوحٍ فِيهَا بَيْتُهُ الزِّيَارَاتِ الْمَأْثُورَةُ النَّاصِطَةُ عَلَيَّ أَنَّ وَلَايَةَ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُشْتَبَةٌ فِي مُحْكَمَاتِ الْآيَاتِ:

منها ما وَرَدَ فِي زِيَارَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام): «وَأَشْهَدُ أَنَّكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْحَقُّ الَّذِي نَطَقَ
بِوَلَايَتِكَ التَّنْزِيلُ»^(١).

ومنها ما ورد في زيارة الحسن (عليه السلام) وَرَدَ: «وَالَّذِي نَطَقَ بِفَضْلِهِ التَّنْزِيلُ»^(٢).

وَهَذَا الْبِنْدُ اللَّطِيفُ وَاللُّغَةُ الْعَظِيمَةُ مِمَّا غَفَلَ عَنْهُ جَمَلَةٌ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ فَظَنُّوا أَنَّ وِلَايَةَ
أَهْلِ الْبَيْتِ (عليهم السلام) ثَابِتَةٌ بِالتَّأْوِيلِ لِلآيَاتِ، بَيْنَمَا نَصُوصُ الزِّيَارَاتِ ثَبَتَ أَنَّ إِمَامَتَهُ وَفَضْلَهُ نَزَلَ
بِهَا التَّنْزِيلُ، بِمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ نَصَّ عَلَيَّ وَوَلَايَتَهُ وَإِمَامَتَهُ فِي التَّنْزِيلِ، وَأَحَدُ مَعَانِي الْإِحْكَامِ هُوَ
التَّنْزِيلُ.

ولو تتبعنا أكثر نصوص الزيارات لوجدنا ما هو أرقى مما مرَّ، إذ وَرَدَ فِي زِيَارَةِ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) قولهم: «الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي مُحْكَمِ الْآيَاتِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا
لَعَلِّي حَكِيمٌ﴾»^(٣).

وورد في زيارته (عليه السلام): «السَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ».
ففضلاً عَنْ نَزُولِ الْقُرْآنِ بِالْوَلَايَةِ فِي التَّأْوِيلِ، وَفَضْلاً عَنْ نَزُولِهِ بِالْوَلَايَةِ فِي التَّنْزِيلِ،
فَإِنَّهُ نَصَّ عَلَيَّ وَوَلَايَتَهُ فِي أُمِّ مُحْكَمَاتِ الْآيَاتِ.

وَعِنْدَ هَذَا الْبَيَانِ لَا بُدَّ أَنْ تَسْتَوْقِفَ الْأَقْلَامَ وَتَعْمَلَ الْعُقُولَ فِي هَذَا الْمُدَّعَى الْخَطِيرِ، إِذْ
لَيْسَ ثَمَّةَ آيَاتٍ دَلَّتْ عَلَيَّ وَوَلَايَةَ عَلِيٍّ (عليه السلام) وَوَلَايَةَ فَاطِمَةَ (عليها السلام) وَوَلَايَةَ الْحُسَيْنِ (عليه السلام) وَانْتَهَى

(١) المزار، المشهدي ٢٦٥

(٢) المزار، المشهدي ١٠٤

(٣) المزار، المشهدي ٢١٨

الأمر، وليست ولايتهم مورد تنزيل الكتاب وكفى، كما أنها ليست منصوبة في المحكمات فحسب، بل تكفل بالنص عَلَيْهَا والنطق بوجوبها أم المحكمات.

وَعَلَى أَسَاسِ ذَلِكَ نَحْنُ مُطَالِبُونَ بِإِقَامَةِ الدَّلَائِلِ عَلَى إِمَامَةِ عَلِيِّ عليه السلام وَوَلَايَةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام وَأَوْلَادِهِمَا عليهم السلام لَا فِي تَأْوِيلِ الْكِتَابِ وَحَسَبِ، وَلَا فِي تَنْزِيلِ الْكِتَابِ وَكُفَى، وَلَا بِالْمَحْكَمَاتِ وَانْتَهَى الْأَمْرَ.

بَلْ مُطَالِبُونَ بِإِقَامَةِ الدَّلَائِلِ عَلَى إِمَامَتِهِمْ وَوَلَايَتِهِمْ عليهم السلام بِالْآيَاتِ الَّتِي تَتَّصِرُ قَائِمَةً بِالْمَحْكَمَاتِ وَلَا أُمُومَةً عَلَيْهَا مِنْ آيَاتٍ أُخْرَى، أَيَّ الْآيَاتِ الْأَكْثَرِ إِحْكَامًا فِي الْقُرْآنِ.

وانعقاد أم المحكمات في إثبات الولاية أدل دليل على كونها من أمهات أصول الدين وأحكم محكماته التي يدور عَلَيْهَا جملة كثيرة من أصوله وعقائده.

وَقَفْتُمْ مَعَ السَّيِّدِ الْمُرْتَضَى:

وَمَا تَقَدَّمَ مِنْ بَيَانِ دَلَالَةِ الْقُرْآنِ فِي أَمِّ مَحْكَمَاتِهِ عَلَى إِمَامَةِ عَلِيِّ وَوَلَايَةِ عليه السلام يَتَبَيَّنُ وَجْهَ الْمُنَاقَشَةِ فِيمَا قَالَهُ السَّيِّدُ الْمُرْتَضَى مِنْ أَنَّ دَلَالَةَ الْقُرْآنِ عَلَى الْوَلَايَةِ بَيِّنَةٌ عَلَى مَسْتَوَى الظَّاهِرِ الْخَفِيِّ وَكَيْسَ الظَّاهِرِ الْجَلِيِّ، فَإِنَّ مَا تَقَدَّمَ يُوَضِّحُ أَنَّ الْوَلَايَةَ فِي الْقُرْآنِ لَيْسَتْ مِنَ الظَّاهِرِ الْخَفِيِّ، أَيِّ ظَاهِرٍ بِالْمَعْنَى الْأَعْمِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الظَّاهِرِ الْجَلِيِّ بَلْ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، إِذْ لَا يَنْبَغُ الْوَلَايَةَ الَّتِي هِيَ مِنْ أَحْكَمِ مَحْكَمَاتِ الْمَعَارِفِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ ظَاهِرَةً وَجَلِيَّةً وَوَاضِحَةً بِدَرَجَاتٍ فَائِثَةٌ فِي الْوَضُوحِ فِي أَمَهَاتِ آيَاتِ الْقُرْآنِ.

وفي صدارة ولاية أهل البيت عليهم السلام بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْوَصِيِّ عليه السلام تَأْتِي وَلايَةُ فَاطِمَةَ عليها السلام لَا

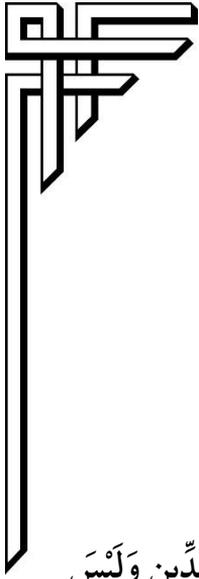
سببها وعنوان القربى في آيات الولاية أول انطباقها عَلَيْهَا ﷺ، وبتوسطها ينطبق على الأئمة الأحد عشر عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وكذلك عنوان (أهل البيت) فَإِنَّهُ خاصٌّ ابتداءً ونزولاً بالخمسة أصحاب الكساء.

وبعبارة أُخرى: إِنَّ انتشار الشبهات والالتباسات وإنَّ سبب احتجاب أنوار القرآن عَنْ أَنْ يبصرها عموم المسلمين المستضعفين لَكِنَّ ذَلِكَ لا يوجب تزلزل الضياء البرهاني في دلالة الآيات عما هُوَ عَلَيْهِ نظير الحال في أدلة التوحيد، فَإِنَّ شبهات الإلحاد والملحدين قَدْ يُفرض لها انتشار ورواج وبالتالي يكون لها تعمية على عقول البسطاء لَكِنَّ ذَلِكَ لا يعني زوال بينات وأدلة التوحيد عما هِيَ عَلَيْهِ مِنْ بداهة.

وبعبارة ثالثة:

تارة يعرف البديهي والظاهر كوصف إدراكي للأشخاص والأفراد فَهَذَا يكون نسياناً ومتغيراً، وأُخرى يعرف بلحاظ مقدمات الاستدلال ومناشئ الدلائل فَهَذَا لا يطرأ عَلَيْهِ أي تغيير.



الضابطة الثانية: موقع العقائد فوق عالم الدنيا

* الاعتقاد والمعرفة بمقامات الزهراء عليها السلام حيثُ إِنَّهُ مِنْ أَصُولِ الدِّينِ وَليْسَ مِنْ الفروع فَهُوَ مقام اعتقادي.

* لذا فَإِنَّهُ لَا تنحصر تداعياته وآثاره وتأثيره على الحياة الدنيا فقط، بل يسع ويتسع إلى جميع العوالم بل إلى ما فوق الجنة الابدية من عوالم النور.

لأصول الدين وعقائده موقعية وجودية عالية كما أَنَّ لفروع الدين موقعية نازلة.

فأما موقعية الفروع فمحصورة في النشأة الدنيوية بقسميها الأولى من الدنيا والآخرة منها، وأما العقائد الدينية والمعارف الاعتقادية والأصول المعرفية فنشأتها الوجودية تعم وتستوعب عوالم سابقة وعوالم لاحقة.

ولا شك أَنَّ عظمة وخطورة العقائد مُتقدِّمة على فروع الدين لاختلاف الموقعية؛ ولذا

فكُلُّما كبر الموقع الوجودي للشيء في ما يتعرّض له القرآن يصبح الشيء أشدَّ إحكاماً.

وبعبارة أخرى:

ثمة فرق بل فروق بين الدين والشريعة، فَإِنَّ الشريعة خاصّة بالنشأة الأرضية، بينما

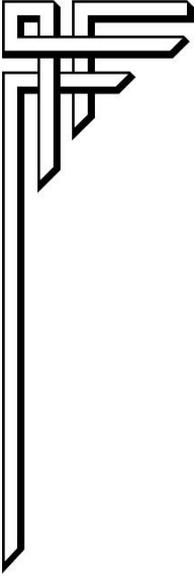
للدين عموم وعمومية لكلِّ عوالم الخلق؛ ولذا فالدين لا تقف حدوده عند نشأة مضت أو بتاريخ مضى أو بوضع راهن بل هو مرتبط بكلِّ العوالم.

ويخطأ الكثير عندما يظنون أن الدين ليس داخلاً في اهتمام المؤمنين بعدما يذهبون إلى الجنة، بل الصحيح أن الدين حاكم على كلِّ العوالم بما فيها عالم الجنة الأبدية.

كما أن للدين نظاماً حاكماً على أهل النيران في النار، وللدين أيضاً نظام حاكم في عالم الدر وعالم الميثاق الذي مضى.

وعلى ضوء ما تأسس فإن الاعتقاد والمعرفة بمقامات الزهراء عليها السلام حيث إنه من أصول الدين وليس من الفروع فهو مقام اعتقادي لا تنحصر تداعياته وآثاره وتأثيره على الحياة الدنيا فقط، بل يسع ويتسع إلى جميع العوالم بل إلى ما فوق الجنة الأبدية من عوالم النور.

وبالتالي يكون نوراً ومنهاجاً وضياءً وصراطاً يعرج به فيها.



الضابطة الثالثة: العمى عن المعارف في الدنيا

عمى في العوالم الأخرى

* مدى خطورة العمى في العوالم الآتية تتحدد وفق خطورة الاعتقاد في عالم

الدنيا..

* فما هو العمى الأخرى الذي سينجم عن تضييع معرفة مقامات الصديقة

فاطمة عليها السلام.

قَدْ تَضَمَّنَتْ آيَاتُ الْقُرْآنِ هَذِهِ الضَّابِطَةَ بِصِرَاحَةٍ وَوَضُوحٍ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ

أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾^(١).

ومعنى العمى وأعمى هو الخلو من المعارف، فكل من هو غير عارف في نشأة الدنيا فهو

أعمى وغير عارف في الآخرة، بل وأضل سبيلاً.

فعلى السالكين لله أن يكونوا بصراء وبصيرين وذو بصيرة هنا كي لا يضلوا السبيل في

القيامة.

وثمة نص معرفي يتداوله الفلاسفة والمتكلمون كثيرا وهو قولهم «المعرفة بذر المشاهدة» فبغض النظر عن قائله فهو مطابق لمضمون الآية، فإنَّ للآية منطوقا ومفهوماً، ومنطوقها إنَّ مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلَّ سَبِيلًا.

ومفهومها أي عكسها مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ بَصِيرًا فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَكْثَرَ بَصِيرَةً وَأَشَدَّ رَشْدًا وهداية، وهذا هو مضمون الحديث السابق؛ إذ معنى (المعرفة بذر المشاهدة) هو كون المعرفة في الدُّنيا بوابة نافذة لأجل المشاهدة في الآخرة.

فالآية وَالرَّوَايَةُ يتضمنان بيان نقطة معرفية من جهة، وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى يشتملان على إنذار كبير للبشر وتخويف من القصور والتقصير في المعرفة في دار الدُّنيا.

ولنا أن نتوغَّل أكثر في معنى الآية وَالرَّوَايَةَ فنقول إنَّ العمى في هَذِهِ الدُّنْيَا والعمى والضلال في الآخرة إمَّا أن يكون عن أصل الحقيقة أو يكون عن طبقات الحقيقة، فمن عمي وتاه عن أصل الحقيقة في دار الدُّنيا عمي وضلَّ عن أصل الحقيقة في عالم الآخرة، وَمَنْ ضلَّ وعمي عن طبقات الحقيقة وشؤونها وأبعادها عمي وضلَّ عن درجات الحقيقة في عالم الآخرة.

فبقدر ما يتعمى عنه وينكره ويحجده في عالم الدُّنيا يتعمى وينكر ويضل عنه في عالم الآخرة.

ولذا قد يهتدي إلى الجنان في الآخرة لكنَّه يتعمى ويضل عن أعالي الجنان فيها، لأنَّه لا يدرك من الآخرة إلا ما أدركه في الدُّنيا، فَمَنْ لَمْ يَبْصُرْ أَعَالِي الْمَعَارِفِ مِنْهَا هُنَا عمي عنها

وضل سبيلها هناك.

وَهَذَا هُوَ مَعْنَى الْقَاعِدَةِ الْقُرْآنِيَّةِ الْمَوْدَعَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(١)،
والكسب هُوَ دَرَجَاتُ الْمَعْرِفَةِ.

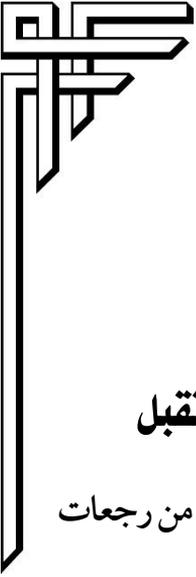
فإذا كان هذا حال الاعتقادات الواجبة المعتادة فكيف بالاعتقاد بأصل من أصول الدين
ومدى خطورة العمى الذي سينجم منه كمعرفة مقامات الصديقة فاطمة عليها السلام.

وقد ورد في روايات الرجعة في ذيل الآية المتقدمة أن من كان ضالاً في الحياة الأولى من
الدنيا يبعث في الرجعة أشد ضلالاً.

فعن أبي بصير، عن أحدهما عليه السلام، في قول الله عز وجل: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي
الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ قال: في الرجعة^(٢).

(١) سورة طور: الآية ١٦.

(٢) تفسير البرهان، السيد هاشم البحراني ٥٥٩ / ٣.



الضابطة الرابعة: العقيدة رؤية لماض أم منهج لحاضر ومستقبل

* لفاطمة عليها السلام من الولاية في مستقبل الدنيا وهي الرجعة وما يلحقها من رجعات وعوالم لاحقة كعالم القيامة، وعند الحساب تكون عليها السلام أمرة وناهية وهو يوم الأهوال وتنصاع اليها جميع الملائكة.

يتوهم كثيرون أنّ العقائد تراث لتاريخ مضى ورؤية لتاريخ غابر، بيّننا الصحيح أنّ العقيدة هي رؤية لحاضر راهن ول مستقبل واعد، وهي بذلك لها تداعيات خطيرة وأمواج وانعكاسات على الوضع الراهن والوضع المستقبلي وبه يتبين أنّ العقيدة أمر مصيري وليست أمراً اختيارياً أو ندياً.

وهذا ما يستبين أنّ لفاطمة عليها السلام من الولاية في مستقبل الدنيا وهي الرجعة وما يلحقها من رجعات وعوالم لاحقة كعالم القيامة، وعند الحساب تكون عليها السلام أمرة وناهية وهو يوم الأهوال وتنصاع اليها جميع الملائكة.

فتبين ثمة ملكها للأمر ومقامها وليس ذلك الا انكشاف لما كانت عليه من ولاية في دار الدنيا وما قبل ذلك من عوالم وإن لم تكن محسوسة ومعروفة لنا، فإن ولايات المعصومين الأربعة

عشر عليها السلام هي ذات مراتب ورتب متسلسلة يقوم كل منهم بالولاية عمن قبله ممن يفوقه رتبة.

الضابطة الخامسة: لغة الفضائل ترجمانها الحجية ولغة الذم إسقاط للحجية

* ثمة موازاة ومحاذاة بين لغة العقل العملي ولغة العقل النظري، أي كُـلُّ لغة من

لغات العقل العملي لها ما يوازئها في لغة العقل النظري.

للوحي مناهج وطرق لبيان العقائد، وإحدى تلك المناهج ما يعرف بلغة العقل العملي أو لغة الفضائل والمديح وفي قبالها لغة الذم، فإنَّ الفضائل التي تنسب في لسان الوحي لأهل المقامات العقائدية تعني إسناد الحجية لهم، بينما الذم في لغة العقائد يعني عدم الحجية.

فالمواطن القرآنية التي يذم فيها القرآن أفعال بعض زوجات النبيِّ كما في سورة التحريم تمثل إشارة من القرآن مفادها أنَّ زوجات النبيِّ لسن حجة من الله.

بينما تشير المواطن التي مدح القرآن فيها أهل البيت عليهم السلام بمدح إلهي ناموسي - ليس على مقتضى العادة والعرف - إلى إثبات الحجية لهم عليهم السلام.

فثمة موازاة ومحاذاة بين لغة العقل العملي ولغة العقل النظري، أي كُـلُّ لغة من لغات

العقل العملي لها ما يوازئها في لغة العقل النظري.

وَقَدْ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ عليهم السلام الْمَخْصُوصِينَ قَدْ مَدَحَهُمُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بِأَوْصَافٍ خَاصَّةٍ كَمَا فِي سُورَةِ الدَّهْرِ وَسُورَةِ الْحَشْرِ وَسُورَةِ أُخْرٍ عَدِيدَةٍ، وَبَيَّنَّ فَضَائِلَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَكَرَامَتَهُمْ لَدَيْهِ، وَهَذِهِ اللَّغَةُ مِنْ لُغَاتِ الْعَقْلِ الْعَمَلِيِّ لَهَا مَا يُوَازِيهَا فِي لُغَةِ الْعَقْلِ النَّظَرِيِّ، وَهُوَ ثُبُوتُ الْحُجِّيَّةِ وَالْإِصْطِفَاءِ وَوُجُوبُ الطَّاعَةِ لَهُمْ عليهم السلام.

وبعبارة أخرى:

سَلِكِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مَسَالِكَ عِدَّةٍ لِيَبَيِّنَ مَا لِأَهْلِ الْبَيْتِ عليهم السلام مِنْ مَقَامٍ فَمَرَّةً قَالَ تَعَالَى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(١)، وَمَرَّةً سَلِكِ لُغَةً أُخْرَى، فَقَالَ مَادِحًا لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وآله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾^(٢)، وَقَالَ مَادِحًا لِأَهْلِ الْبَيْتِ عليهم السلام: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٣).

إِذْ لَا مَعْنَى لِهَذِهِ الْحَفَاوَةِ وَذَلِكَ التَّكْرِيمِ وَتِلْكَ الْوُجَاهَةُ مِنَ الْخَالِقِ الْأَزَلِيِّ وَبِمَوَازِينِ إِلَهِيَّةٍ غَيْرِ بَشَرِيَّةٍ إِلَّا إِسْنَادَ الْحُجِّيَّةِ وَالْإِصْطِفَاءِ وَوُجُوبِ الطَّاعَةِ وَوُجُوبِ الْوِلَايَةِ.

وَمِنْ ثَمَّ فَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْمَسْلُوكِينَ وَاللُّغَتَيْنِ الْقُرْآنِيَّتَيْنِ إِلَّا أَنَّ الْأُولَى «أَطِيعُوا» لُغَةٌ لِلْعَقْلِ النَّظَرِيِّ، وَالثَّانِيَّةُ «المدح» لُغَةٌ لِلْعَقْلِ الْعَمَلِيِّ.

فَلُغَةُ الْكِرَامَةِ وَالْفَضَائِلِ فِي مَنْظُورِ الْعُقَائِدِ هِيَ لُغَةُ حُجِّيَّةٍ وَليست نظير المدح والمدح الشعري.

(١) سورة النساء: الآية ٥٩.

(٢) سورة النجم: الآية ٨، ٩.

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

ولأجل أنَّ يَنْبَهَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمَ الْبَشَرَ عَلَى مَفَادَاتِ لُغَاتِهِ أَكَّدَ الْمَرَّةَ بَعْدَ الْأُخْرَى عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ
 بِشِعْرٍ شَاعِرٍ، وَإِنَّمَا هُوَ نُورٌ كَاشَفٌ لِلْحَقَائِقِ الْكُونِيَّةِ، فَإِذَا مَا اعْتَرَفَ الْبَشَرَ بِأَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ
 وَالنَّبِيَّ الْأَكْرَمَ ﷺ قَدْ مَدَحَا أَهْلَ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِفَضَائِلٍ خَاصَّةٍ وَلَمْ يَشْرَكَ أَحَدًا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ فِي
 فَضِيلَةٍ مِنْ تِلْكَ الْفَضَائِلِ بَلْ خَصَّوْا بِخُصُوصِهِمْ، فَهَذَا التَّخْصِيسُ بِتِلْكَ الْفَضَائِلِ تَذْكَيرٌ
 بِالْحَقَائِقِ الثَّابِتَةِ وَالْوَاقِعِيَّةِ، وَلَمْ يَمْدَحْهُمْ لِيُتْرَنَمَ بِتِلْكَ الْمَدَائِحِ وَيَدَاعَبَ بِهَا الْخِيَالَ.

ولذلك لا بُدَّ أَنْ يُؤْخَذَ مَا مَرَّ دَلِيلًا وَبِرَهَانًا عَظِيمًا عَلَى حُجِّيَّةِ الزَّهْرَاءِ ﷺ لِأَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ
 فِي مَوَاطِنٍ عَدِيدَةٍ رَكَّزَ عَلَى خُصُوصِ مَدِيحِ الْبُضْعَةِ، بَيْنَمَا ذَمَّ زَوْجَاتِ النَّبِيِّ ﷺ فِي مَوَاطِنٍ وَمَوَارِدٍ
 عَدِيدَةٍ.

فَمِنْ جَانِبٍ يُعْلِي مِنْ شَأْنِ فَاطِمَةَ ﷺ بِخُصُوصِهَا، وَمِنْ جَانِبٍ يُؤْتِبُ وَيَعَاتِبُ وَيَذَمُّ
 زَوْجَاتِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالْمَغْزَى مِنْ ذَلِكَ تَنْبِيهُ وَتَفْهِيمُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى حُجِّيَّةِ الزَّهْرَاءِ ﷺ مِنْ جِهَةٍ
 وَعَلَى عَدَمِ حُجِّيَّةِ زَوْجَاتِهِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى.

وَهَذَا هُوَ مَعْنَى مَا قُلْنَا مِنْ أَنَّ الْمَدِيحَ لُغَةٌ مِنْ لُغَاتِ الْحُجِّيَّةِ وَالْإِصْطِفَاءِ، وَالذَّمَّ لُغَةٌ مِنْ
 لُغَاتِ إِسْقَاطِ الْحُجِّيَّةِ وَالْإِصْطِفَاءِ.

وَعَلَى وَجْهِ عَامٍ يَنْبَغِي أَنْ لَا نَغْفَلَ وَنَحْنُ نَتَّبِعُ مَنْظُومَةَ مَعَارِفِ الْقُرْآنِ وَالْوَحْيِ عَنْ مَفَادِ
 لُغَةِ الْمَدْحِ وَلُغَةِ الذَّمِّ.

وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ وَصَفَ الْقُرْآنُ لِمُوسَى وَعِيسَى ﷺ بِالْوَجْهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَتْ
 الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

وَمِنْ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا وَكَانَ

عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ (٢).

إذ لا يحتمل المسلم أن المراد من نعت الوجيه هو محابة رحم أو قرابة، إذ ليس بين الله تعالى وبين أحد صلة رحم وقرابة، كما لا يحتمل مسلم أن وزان توصيف القرآن هو وزان التوصيف الشعري، إذ ليس عند الله تعالى عجز عن التوصيف المطابق.

وَمِنْ ثَمَّ فَالمراد من المديح بالوجهة والوجه هو الاصطفاء.

وَعَلَى هَذَا الأساس إذا تبدَّه لدينا أن أهل البيت عليهم السلام بخصوصهم مكرمين وممدوحين في منطق الوحي (الخصوصية تعني لا لأجل شرطية عمل أو صفة مفروغ عنها فيهم بل هم بشخصهم الشخيص مكرمون) فهُمْ حيثند مصطفون ذاتاً.

ولنا أن تقرب دلالة لغة المديح على الحجية بما ورد في القرآن من مديح الله لمريم بالطهارة، وقد جاء على لسان الوحي قوله تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ﴾ (٣).

وَمِنْ أعظم قصص القرآن ما حدثت به الآيات من تأريخ مريم؛ لذا ففي مريم للمسلمين عبرة، والعبرة تعني العبور، أي خذوا من مريم معبراً؛ ولذا جسد رسول الله صلى الله عليه وآله الآية فأشار للمسلمين بضرورة العبور من مريم إلى مريم الكبرى، أي إذا ما وصفت مريم بمريم حيث أنه

(١) سورة آل عمران: الآية ٤٥.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٦٩.

(٣) سورة يوسف: الآية ١١١.

اسم علم مأخوذ بمعنى الطاهرة والبتول، فإذا كانت مريم طاهرة متبلة فثمة مَنْ هِيَ أَطْهَرُ مِنْ مَرِيْمٍ، وَهِيَ فَاطِمَةُ عليها السلام وَبَنَصَّ الْقُرْآنُ.

وما مَرَّ يَسْتَرْعِي التَّسْأُولَ فَيُقَالُ:

سَلِمْنَا أَنْ لُغَةَ الْفَضَائِلِ وَالْمَنَاقِبِ ذَاتَ بُعْدٍ تَشْرِيْعِي وَعَقَائِدِي وَقَانُونِي وَأَنَّ الْقِرَاءَاتِ عَدِيدَةً فِي مَنْطِقِ الْقُرْآنِ.

وَالسُّؤَالُ: لِمَ اعْتَمَدَهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فَعَبَّرَ عَنِ الْحُجَّةِ بِلُغَةٍ مَنَاقِبِيَّةٍ بَدَلًا عَنْ وَصْفِهِم بِالْحُجَّةِ بِلُغَةٍ مُبَاشِرَةٍ وَوَاضِحَةٍ؟

إِنَّ أَحَدَ أَسْرَارِ ذَلِكَ هُوَ وَقَايَةُ مَقَامَاتِ أَهْلِ الْبَيْتِ عليهم السلام عَنِ الطَّمْسِ وَالتَّغْيِيبِ مِنْ قَبْلِ أَعْدَائِهِمْ وَخُصُومِهِمْ، إِذْ لَوْ بَيَّنَّتْ تِلْكَ الْحَقَائِقُ وَأُبْرَزَتْ بِلُغَةٍ قَانُونِيَّةٍ صَرْفَةً أَوْ بِلُغَةٍ عَقَائِدِيَّةٍ وَاضِحَةٍ فَإِنَّهُ لَا يَسْتَبْعَدُ أَنْ تَمْتَدَّ يَدُ التَّحْرِيفِ وَأَقْلَامُ الطَّمْسِ لِتِلْكَ الْفَضَائِلِ وَالْمَنَاقِبِ، إِذْ لَصْرَاحَتُهَا يَتَحَسَّسُ مِنْهَا الْخُصُومُ وَالْحَسَادُ أَكْثَرَ، يَبْنِي لُغَةَ الْفَضَائِلِ فِيهَا نَوْعٌ مِنَ الْإِسْتِتَارِ وَالْخَفَاءِ فِي الْإِفْصَاحِ عَنِ الْحُجَّةِ، وَأَهْلُ التَّعْقُلِ وَحَدِهِمْ يَدْرِكُونَ أَنَّ اللُّغَةَ الْقَانُونِيَّةَ وَاللُّغَةَ الْعَقَائِدِيَّةَ هِيَ لِبَابِ لُغَةِ الْمَدِيحِ وَالْفَضَائِلِ وَلَيْسَتْ هِيَ السُّطْحُ الظَّاهِرُ فِيهَا.

الضابطة السادسة: لغة القرآن والزيارات

إنَّ الأدعية والزيارات مِنْ أعظم مصادر المعارف، وَمِنْ أحكم محكمات أدلة المعارف.

أشار الشَّيْخُ المجلسي الأب إلى أَنَّ درجات المعرفة المحكية بالنصوص الواردة عَنْ أهل البيت عَلَيْهِ السَّلَامُ متفاوتة، فالمعارف المودعة فِي الأدعية والزيارات يَخْتَلِفُ مستواها عَنْ سائر رواياتهم.

فما هُوَ السَّرِّي فِي ذَلِكَ؟

سره أَنَّ المخاطب فِي الأدعية الشريفة هُوَ اللهُ، وَمِنْ شَأْنِ ووزان الخطاب مَعَ اللهُ أَنْ يصعد ويرتقي جزالة فِي المعنى والبلاغة علماً ورمزاً.

والمخاطب فِي الزيارة هُوَ المعصوم لا عموم الناس، وَمِنْ شَأْنِ ووزان الخطاب للمعصوم أَنْ يتميز فِي علو العلوم والمعارف وفي البلاغة وجزالة الكلام عَنْ سائر الروايات.

وما أشار إليه المجلسي مِنْ فائدة ينم عَنْ بصيرة وفطنة بلغات الكلام الصادر عَنْ أهل البيت، إذ مفاده أَنَّ جَلَّ إِنَّ لَمْ يَكُنْ كُلُّ العقائد المبيّنة فِي الأدعية والزيارات لا تحمل التقيّة، فَإِنَّ الإمام إِذَا ما سئل مِنْ سائل عَنْ مسألة فقهية أو عقيدية فَإِنَّهُ قَدْ يُوَارِي فِي الجواب فلا يبين الحَقَّ

بشكل صريح، أو قد يعرض لأجل أن المقام يقتضي التقية، فيرعى ويحفظ المؤمن عن شراسة الظالمين بالتعريض في الجواب أو بإخفاء الحقيقة فيه، إلا أن المقام في الدعاء أو في الزيارات مختلف تماما.

وقد عبّر المجلسي الأول بتعبير دقيق فقال: إنَّ محلَّ الدعاء محل خاص بين المعصوم والله، كما أن المخاطب في الزيارات هو المعصوم، واللغة في الخطابين وإن كانت مشفرة لكنها مشتملة على حقائق عالية وبطون خفية.

وبذلك يتبين أن الأدعية والزيارات من أعظم مصادر المعارف، ومن أحكم محكمات أدلة المعارف.

فلو لاحظنا مثلاً دعاء الندبة بشيء من التأمل لأدركنا ما فيه من منظومة معادلات يتلو بعضها بعضاً في علم المعارف والعقائد يعجز عن التفطن لها المفسرون والعرفاء والمتكلمون إلا بالاستعانة بنصوصهم وكلامهم عليهم السلام.

ومن سديد القول الاعتقاد بأن الزيارة الواحدة لأي من المعصومين عليهم السلام عبارة عن دورة لمنظومة عقائدية.

وقد قال كبار علماء الإمامية جيلاً بعدَ جيل أن من أراد إدراك وفهم منظومة عقائدية كاملة فعليه بسبر زياراتهم، كزيارة عاشوراء وزيارة وارث وزيارة أمين الله.

وما يؤسف له أن الكثير من المؤمنين المتعلمين على سبيل نجاة، بل كثير من أهل الفضل والفضيلة في غفلة وسبات عن المصادر الأم التي يُستقى منها منظومة العقائد الإيمانية، إذ ربما يتوهم كثير من أهل الفضل أن بإمكانه أن يقتنص عقائد الدين من كتاب باب الحادي عشر

للعلامة الحلي أو من كتاب التجريد للخواجة وشرح العلامة أو من أي كتاب آخر ألفه فحول
 العلماء- وهُم شكر الله سعيهم وقدس الله أسرارهم - وإن قدّموا خدمات جليلة في هذا
 المجال إلاّ أنّه لا يقايس بما يمكن أن يغترف من الوحي على قدر السعة والطاقة البشرية.

ولذا فالعكوف والاقْتصار على مصدر أو مصدرين مما ألفه أهل العلم لا ريب أنّهُ
 يوجب الغفلة والبعد عن حقائق عالية يتقوّم بها الإيمان.

والسر في ذلك أن ما كتبه فحول العلماء لم يستوعب بناء تمام المنظومة العقيدية.

ولذا فكُلّ سلسلة كتب العقائد التي ألفها الشيخ الصدوق، بل كل ما أنتجته بقيّة
 الأعلام العلمية في طبقة واحدة وفي قرن واحد لا يمكن أن تستوفي مجموع منظومة عقائد
 الإمامية، بل أنّ منظومة العقائد الإمامية الكاملة لا تستوفي من جيلين بل مجموعة أجيال من
 علماء الإمامية منذ عهد الأئمة عليهم السلام إلى يومنا هذا.

وحينئذٍ فمن أين تستقى الحقيقة المعرفية الكاملة لمذهب الإمامية؟

إنّ السبيل إلى ذلك هو بالأخذ بما صدر عن مجموع علماء الإمامية، بل إنّ سيرة أتباع
 أهل البيت عليهم السلام مضافاً لعلماء الإمامية، أي مجموع سيرتهم عبر الأجيال المختلفة يمثل جسراً
 واصلاً بيننا وبين أهل البيت عليهم السلام.

فإنّ مَنْ عرف أن مدرسة أهل البيت عليهم السلام هي بحر طمطم يُدرك أنّ ذلك البحر لا
 يمكن أن يغرفه عالم أو اثنان أو جيل أو أجيال.

وقد ذكرنا في علم الرجال ثمرة للحقيقة الأنفة، وهي أنّهُ لا يمكن أن يجعل القيم على
 تراث أهل البيت عليهم السلام شخصية واحدة أسماها النجاشي أو شخصيات متعدّدة.

وَمَنْ يَتَّبِعْ ذَلِكَ الْمَنَهْجَ الْخَاطِئَ فِي عِلْمِ الرِّجَالِ فَقَدْ سَلَكَ مَنَهْجاً مَنكُوساً يَضِيعُ عَلَيْهِ كَثِيراً مِنْ حَقَائِقِ مَدْرَسَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عليهم السلام.

وَالْمَنَهْجُ الصَّحِيحُ هُوَ أَنَّ كُلَّ مَجْمُوعٍ مِنْ عُلَمَاءِ الْإِمَامِيَّةِ مُؤْمِنُونَ عَلَى تَرَاثِ مَذْهَبِ أَهْلِ الْبَيْتِ عليهم السلام، وَكَيْسَ لِأَحَدٍ بِخُصُوصِهِ أَوْ جَمَاعَةٍ بِعَيْنِهَا أَيْ صِفَةٍ وَصَايَةٍ فِي أَنْ تَكُونَ هِيَ الْجَسْرَ الْوَحِيدَ الْوَاصِلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ تَرَاثِ أَهْلِ الْبَيْتِ عليهم السلام.

وَمِنْ الْمُنْبَهَاتِ عَلَى مَا نَحْنُ فِيهِ قَاعِدَةُ الْإِجْمَاعِ، حَيْثُ يُقَالُ (أَجْمَعَتِ الْعَصَابَةُ عَلَى تَصْحِيحِ مَا يَصَحُّ عَنْهُمْ)، فَيَتَبَيَّنُ بِهَا أَنَّ لِقَوْلِ الْجَمَاعَةِ دَوْرًا؛ وَلِذَا لَا يُمْكِنُ بِحَالٍ أَنْ نَشْطَبَ قَاعِدَةَ الْإِجْمَاعِ فِي الرِّجَالِ لِيَكُونَ الْبَدِيلُ الْاِكْتِفَاءُ بِقَوْلِ النَّجَاشِيِّ مِثْلًا، وَإِنَّمَا الْمَنَهْجُ الْعِلْمِيُّ أَنْ يَكُونَ لِكُلِّ مِشْرَاكَةٍ فِي إِصَالِنَا لِتَرَاثِ أَهْلِ الْبَيْتِ عليهم السلام.

وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي الْإِجْمَاعِ فِي عِلْمِ الْأَصُولِ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ الْاِقْتِصَارُ فِيهِ عَلَى طَبَقَةٍ أَوْ طَبَقَتَيْنِ وَإِلَّا لَا يَكُونُ إِجْمَاعًا.

وَعَلَى ضَوْءِ مَا مَرَّ فَلَيْسَ مِنَ الصَّحِيحِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدُهُمْ فِيَقُولُ لَمْ أَجِدْ فِي كِتَابِ عِلْمِ الْكَلَامِ ذِكْرًا لِمَقَامَاتِ فَاطِمَةَ عليها السلام وَإِنَّمَا ذَكَرْتَ مَقَامَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالنَّبُوَّةَ وَمَقَامَاتِ الْإِمَامَةِ وَالْأُئِمَّةِ فَحَسْبُ..

فإننا نقول: إنَّ مصدرَ معارفنا هُوَ الْكِتَابُ وَالسَّنَّةُ قَبْلَ تَأْلِيفَاتِ الْبَشَرِ، إِذْ لَا يَشْكَ أَنْ كِتَابَ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ كِتَابِ الْبَشَرِ وَأَنَّ الْمَصْدَرَ الْأَوَّلَ، وَنُصُوصَ الْقُرْآنِ فِي مَقَامَاتِ فَاطِمَةَ عليها السلام عَدِيدَةٌ وَذَاتُ مَغَازِي عَظِيمَةٍ هَذَا أَوَّلًا، وَثَانِيًا لَيْسَ مِنَ الْمَنَهْجِ الْعِلْمِيِّ كَمَا مَرَّ بِنَا لِاسْتِلْهَامِ مَنظُومَةِ الْمَعَارِفِ دِرَاسَةَ كِتَابٍ أَوْ كِتَابَيْنِ، بَلْ الْمَنَهْجُ الْعِلْمِيُّ يَسُوقُنَا لِمُرَاجَعَةِ كِتَابِ كُلِّ عِلْمَاءِ

الإمامية وَالتّي منها كتب المحدثين المختصّة بالعقائد وَفيها قد أثبتت موقعية فاطمة ؑ بِأَنَّهَا ولية الأمر، وَهُوَ مقام يعدّ مِنْ العقائد الأساسية فِي مذهب أهل البيت ؑ، إذ إنّ مقامات المعصومين ؑ لا تقتصر على مقامي النبوة والإمامة.

وَمِنْ الغرائب أن تستشهد لِمَنْ يسأل عَنْ مقامات فاطمة ؑ بنصوص قرآنية فِي فضلها فيردّ مستشكلاً بخلو كتاب المتكلم الفلاني عَنْ ذكر مقام لفاطمة ؑ غافلاً عَنْ أن مقام العقائد مقام تحقيق لا مقام تقليد، وَمِنْ المجمع عَلَيْهِ عدم جواز التقليد فِي العقائد وَأَنَّ التعلّم والتحقيق والبحث والتنقيب هُوَ المبرر للذمة.

وبضرس قاطع نقول إنّ معارف أهل البيت ؑ ليست حكراً على مشرب واحد، بلّ المشارب بمجموعها هي الموصلة للمنظومة العقائدية الكاملة، وبالتالي يجب أن نستقيها مِنْ كتب مجموع المشارب مِنْ محدثين وأصوليين ومفسرين ومتكلمين وفلاسفة وعرفاء.

وفي هَذَا السياق مِنْ الخطأ أن أتعرف على مقامات الزهراء ؑ أو على مصحفها مِنْ كتاب واحد، فلا الكافي لوحده حوى كل المنظومة العقدية، بلّ ولا الكتب الأربعة تمثل كُـلّ تراث أهل البيت ؑ.

وَمِنْ الفوائد التي ينبغي أن لا نغفل عنها هي أن تناول العقائد والمعارف ليس مقصوداً على المتكلمين، وإنما تناولها مجموعة كثيرة مِنْ رواد المدارس والتخصصات، فللمفسرين شاكلة ولون ومزاج فِي تناول بحث المعارف، لأن التفسير مدرسة للعقائد، والمقصود مِنْ المدرسة هي الشاكلة والمنهجية.

وللمحدثين منهج ومدرسة ونمط فِي دراسة العقائد سواءً كَانَ مبني دَلِك المحدث

إخبارياً أو أصولياً أو كلامياً أو فلسفياً، فلكل محدث لون وشاكلة إلا أنها تتلون بلغة حديثة. وقد جرت مداولة في جملة من الندوات العلمية حول ما لدى مدرسة أهل سنة الخلافة من المعتقدات الضرورية المسلمة بحسب كتب التفسير والحديث عندهم وقد تنكر لها المتكلمون منهم، وفي ذلك دلالة على أن الكثير من حقائق الدين التي أبداها الوحي الإلهي في القرآن وعلى لسان الرسول صلى الله عليه وآله وقد تنبه لها المفسرون والمحدثون، ومن ثم أرسلوها إرسال المسلمات والضروريات بينما تنكر لها جملة كتّاب المدرسة الكلامية لديهم والمدرسة الفلسفية لديهم، لعدم إطلاع المتكلمين والفلاسفة على ما أفاضه الوحي من معارف وحقائق.

ولذا إذا ما أردنا أن نحيط علماً بمدرسة معينة أو بمذهب معين أو بديانة معينة فلا بد من الإلمام بالمشارب المختلفة عند علمائها ومفكريها.

وبناءً على ما قرّرناه نفهم أن ما درج عليه لدى علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام من حصر الأصول الاعتقادية في الأصول الخمسة هو مجرد تنظيم تبويبي فني محض وإلا فالأصول الاعتقادية عند القدماء لا تنحصر في عشرة أو عشرين أو ثلاثين فضلاً عن الخمسة، أي حصرها في الخمسة لمجرد التعليم والتربية العقائدية، ولمجرد التبويب الفني من قبل العلامة الحلي وغيره وإلا فالأصول العقائدية كثيرة.

ومما يشهد على كثرة أصول العقائد في مدرسة أهل البيت عليهم السلام كثرة الكتب التي تناولت العقائد منها كتاب الهداية للصدوق المشتمل على قسمين، والقسم الأول منه مخصص لتناول العقائد بلغة حديثة، بينما القسم الثاني منه في الفقه، ومن الخطأ أن يصنّف كتاب الهداية بأنه كتاب متمحض في الفقه.

ومنها كتاب الاعتقادات للشيخ الصدوق وقد شرحه المفيد، وقد كان مدارا للتدريس عند علماء الإمامية وإلى يومنا هذا.

ومنها كتاب أوائل المقالات للشيخ المفيد، ومنها كتاب حق اليقين للسيد عبد الله شبر وغيرها، بل نفس كتب الملل والنحل مشتملة على نمط آخر من العقائد، وممن كتب في الملل والنحل سعد بن عبد الله الأشعري، وكذا النوبختي كتب في فرق الشيعة وذكر كثيراً من ضروريات الإمامية التي لا أثر لها في كتاب التجريد ولا شرح التجريد ولا في باب الحادي عشر.

وكذا تتلمس في كتاب الغيبة للشيخ الطوسي كثيراً من ضروريات معتقدات مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

بل فيه بيان لكثير من معالم الاعتقادات الإمامية لم يثبتها الشيخ نفسه في كتبه العقائدية الأخرى ككتاب الاقتصاد، بل كثير من المباني العقائدية الأصيلة العميقة ذكرها الشيخ الطوسي في تفسير التبيان ولم يذكرها في كتب أخرى.

وعلى هذا الأساس فالذي يقتضيه الإمام العلمي بالعقائد هو مدارس مختلف كتب المعارف والعقائد بمدارسها ومشاربها الكثيرة بعد الاطلاع على المصدرين الأصليين وهما الكتاب والسنة المطهرة للنبي عليه السلام ولأهل بيته عليهم السلام.

ومن باب التقريب لضرورة أخذ العقائد من مختلف المصادر نمثل بمقام المحدث الذي هو من المقامات المسلمة عند المسلمين وأنه يتلو مقام النبوة والرسالة، فقد أثبت هذا المقام كضرورة عند محدثي السنة، وحتى البخاري يعتقد أنه ليس من الصحيح حصر المقامات

العقائدية في الرسول وفي النبي، بل وراء هذين المقامين مقام المحدث المعصوم.

بل أثبت هذا المقام في الصحاح الستة، وكذا أثبت ابن حجر العسقلاني في شرح الباري وغيرهم من محدثي ومفسي السنة في حين أن المتكلمين من أهل السنة في كتبهم يجحدون ذلك المقام، غير أن إنكارهم لا ينفي الحقيقة ولا يعتم عليهما، إذ لا يمكن أن نصادر مسار أهل السنة ونختصره في كتب المتكلمين والحال أن المتكلمين عندهم قد غفلوا وقصروا واعتمدوا على كثير من المباحث بخلاف المفسرين والمحدثين عندهم.

والباحث في كتب الكلام لدينا ولدى العامة يتلمس عدم الرحابة والسعة فيها، في مقابل رحابة وسعة كتب الحديث والتفسير.

وسر ذلك أن هم المتكلم عادة هو الجدل الكلامي، والجدل يقوقعه ويجسه في أفق الطرف الآخر بدلاً من أن يخلق في سماء الحقيقة بسعتها الرحبة، أي أن آفة الخصومة في الدين أنها تصرفك عن سعة الحقيقة إلى أفق ضيق يجادل فيه الطرف الآخر؛ ولذا مع حسن المداراة إلا أن أحد آفاتها أنها تلون الطرف الأول بالطرف الآخر من حيث لا يشعر.

ومن ثم نجزم أن المتكلمين - شكر الله مساعيهم - أخفقوا إخفاقاً كبيراً حينما لم يفرزوا بحثاً مستقلاً لمقامات فاطمة عليها السلام الاعتقادية في علم الكلام وإن كان جملة منهم ذكروا بعض مقاماتها من باب الاستطراد.

وقد أخفقوا في ذلك أيضاً إذ كيف يكون البحث في الركن الركين بحثاً استطرادياً، وهذا ما أوجب الغفلة والوهم لدى بعض الفضلاء أو ربما بعض الأجلة، فقالوا أن الاعتقاد بمقامات فاطمة عليها السلام وعصمتها حسب كلمات المتكلمين ليس من الأصول الاعتقادية - نعوذ

بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ ..

ونعود للتأكيد على أَنَّ المتكلمين قَصَّروا في تدوين وبلورة مقاماتها عليها وإن كانوا ارتكازاً ليسوا بنافين لها ولا منكرين ولا جاحدين.

وعدم عقدهم فصلاً مستقلاً في مقاماتها يمثل مأخذه حضارية دينية عَلَيْهِمْ إذ لم يراعوا نفس القولية الموجودة في منظومة الكتاب ومنظومة الحديث مما أوجب التشويش عند عامة الْمُؤْمِنِينَ في مقاماتها وموقعيتها رغم أَنَّ موقعيتها ليست محل جدل في الإيذان بحسب ما يرسمه القرآن الكريم وَهُوَ العمدة في البيانات والأدلة الوحيانية الضرورية، وَهُوَ أكبر بيان وبرهان ونور وهداية لتبيان تلك الحقائق.

كَمَا أَنَّ موقعيتها وحجيتها ليست محل إبهام بحسب ما ترسمه بيانات أهل البيت عليهم الكثيرة وَالْمُسْتَفِيضَةُ وَآلِيهَا مِنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ لَقِنَ حَمْزَةَ سَيِّدِ الشَّهَدَاءِ لَيْلَةَ اسْتِشْهَادِهِ الشَّهَادَةَ الْأُولَى وَالشَّهَادَةَ الثَّانِيَةَ وَالشَّهَادَةَ بِإِمَامَةِ الْأُمَّةِ، وَالشَّهَادَةَ بِمَقَامِ فَاطِمَةَ عليها وَأَنَّه سَيُسْأَلُ عَنْهُ فِي الْقَبْرِ.

فقد ورد عن موسى بن جعفر عن أبيه عليه قال: «ولما كانت الليلة التي أصيب حمزة في يومها دعا به رسول الله صلى فقال: يا حمزة يا عم رسول الله، يوشك أن تغيب غيبة بعيدة، فما تقول لو وردت على الله تبارك وتعالى، وسألك عن شرائع الإسلام وشروط الإيمان؟ فبكى حمزة وقال: بأبي أنت وأمي أرشدني وفهمني، فقال: يا حمزة تشهد أن لا إله إلا الله مخلصاً، وأني رسول الله تعالى بالحق قال حمزة: شهدت، قال: وأن الجنة حق، وأن النار حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الصراط حق، والميزان حق، ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره وفريق في الجنة، وفريق في السعير، وأن علياً أمير المؤمنين، قال حمزة: شهدت

وأقررت وآمنت وصدقت وقال: الأئمة من ذريته الحسن والحسين، وفي ذريته قال حمزة: آمنت وصدقت، وقال: فاطمة سيده نساء العالمين قال: نعم صدقت، وقال: حمزة سيد الشهداء وأسد الله وأسد رسوله وعم نبيه، فبكى حتى سقط على وجهه وجعل يقبل عيني رسول الله صلى الله عليه وآله، وقال: جعفر ابن أخيك طيار في الجنة مع الملائكة، وأن محمد وآله خير البرية تؤمن يا حمزة بسرهم وعلانيتهم وظاهرهم وباطنهم، وتحبى على ذلك وتموت، توالي من والاهم، وتعادي من عاداهم قال: نعم يا رسول الله، أشهد الله وأشهدك وكفى بالله شهيدا، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: سددك الله ووفقك^(١).

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي ٢٢ / ٢٧٨ ، ٢٨٠ .

الضابطة السابعة: الاعتقاد بالنبوة أعظم من الاعتقاد بالجنة والنار

* إِنَّ لِكُلِّ مَعْنَى عَقَائِدِي وَرَاءَ كَوْنِهِ حَقًّا مَوْقِعِيَةً حَقَائِقِيَّةً وَجُودِيَّةً.

* وَإِذَا مَا قَلْنَا أَنَّ أَصْلَ النَّبُوَّةِ أَعْظَمُ الْأَصُولِ بَعْدَ أَصْلِ التَّوْحِيدِ فَلَيْسَ الْمَقْصُودُ نُبُوَّةَ بَدَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَوْ بَعْثَهُ لِلرَّسَالَةِ فِي الْأَرْضِ، بَلْ الْمَقْصُودُ بَعْثَةُ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى فِي الْعَوَالِمِ الْأُخْرَى.

* وَالْإِبْهَانُ بِالنَّبُوَّةِ بِهَذِهِ الْحُدُودِ بَلَا أَدْنَى شَكٍّ أَعْظَمُ مِنَ الْاِعْتِقَادِ بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ.

يَغْفُلُ كَثِيرٌ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ عَنِ حَقِيقَةِ أَنَّ الْاِعْتِقَادَ بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ لَيْسَ بِأَعْظَمَ مِنَ الْاِعْتِقَادِ بِالنَّبُوَّةِ، وَلَيْسَ بِأَعْظَمَ مِنَ الْاِعْتِقَادِ بِالْإِمَامَةِ.

وَقَدْ يَتَوَهَّمُ الْبَعْضُ مِنْ مُصْطَلِحِ النَّبُوَّةِ هُوَ بَدَنُ النَّبِيِّ ﷺ، إِلَّا أَنَّ حَقِيقَةَ النَّبِيِّ ﷺ لَيْسَتْ بِبَدَنِهِ، وَحِينَئِذٍ نَقُولُ أَنَّ أَعْظَمَ الْخَلَائِقِ خَلْقَةً بِحَسَبِ بَيِّنَاتِ الْقُرْآنِ وَالْعُرَّةِ هُوَ سَيِّدُ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ، فَلَيْسَ الْمَقْصُودُ بَدَنُهُ الْأَرْضِي وَإِنْ كَانَ بَدَنُهُ مُقَدَّسًا وَعَظِيمًا وَإِنَّمَا مُرَادُنَا مِنْ عَظَمَةِ النَّبِيِّ ﷺ هُوَ عَظَمَةُ نُورِهِ الْأَطْهَرِ، وَحِينَئِذٍ فَأَيْنَ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ مِنْ نُورِ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ عَظَمَةِ وَقَدْسِيَّةِ؟!!

وَمِنْ الْأَعْجَابِ مَا يُؤْمَنُ بِهِ الْبَعْضُ مِنْ أَنَّ الشَّهَادَةَ بِأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ ذَكَرَ اللَّهُ وَأَمَّا الشَّهَادَةُ لِعَلِيِّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بِالْوِلَايَةِ فَلَيْسَتْ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى رَغْمَ أَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ مِنْ فُرُوعِ الْوِلَايَةِ

لعلي عليه السلام.

بمعنى أن التولي له باب للجنة وعدم توليه باب النار.

وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّ نَورَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَورَ الوَصى عليه السلام قَبْلَ عَالمِ السَّماءِ وَعَالمِ الأَجسامِ، وَهَذهِ الحَقيقَةُ تَترتبُ مَنظومَةُ العَقائدِ والمَعارِفِ، فَعَلَى صَعيدِ الاعتقادِ بالأَنبياءِ عليهم السلام لا يَمَكنُ أنْ يَـقارنَ أَحَدٌ مَنـهُمُ بِسَيدِ الأَنبياءِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا فِي قَولِهِ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾^(١).

كَمَا أَنَّ كَونَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ حَقٌّ لا يَـعني تَـقَدُّمُها عَلَى نَبوَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوِلايَةِ الوَصى عليه السلام.

وَمِنَ الأَهميَةِ بِمَكانِ بَعْدَ مَـعْرِفَةِ الحَقائِقِ الاعتقاديةِ مِنْ أَنَّ الجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ وَالصِّراطَ حَقٌّ وَالمِيزانَ حَقٌّ وَالحِسابَ حَقٌّ وَالحِشْرَ حَقٌّ أَن نَتَـعَرِّفَ عَلَى طَبقاتِ تِلْكَ الحَقائِقِ، إِذْ أَنَّ القُرْآنَ وَبَوضوحٍ شَديدٍ قَدْ أَشارَ إِلى أَنَّ مَـعْرِفَةَ الحَقائِقِ تَـمَثَّلُ نَصفَ المَـعْرِفَةِ، بَينَما تَـمَثَّلُ طَبقاتِ المَـعْرِفَةِ النَـصِيفَ الأَخرَ، وَمِنْ شَواهِدِ ذَلِكَ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿لا تُفَرِّقُ بَينَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾^(٢).

فَهَذاً نَـصِيفٌ وَمَـتَـصِيفُ الطَريقِ وَلا بُدَّ أَنَّ يَنظُمُ إِليه قَولُهُ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ لَتَـكونَ مَنظومَةُ المَـعْرِفَةِ بِمَـقامِ النَبوَةِ كَـامِلَةً مَـتَـكاملَةً.

والمقصود بطبقات المعرفة هو معرفة الموقعية الوجودية للأمر الاعتقادي، إذ أن لكل معنى عقائدي وراء كونه حقاً موقعية حقائقية وجودية، وإذا ما قلنا أن أصل النبوة أعظم

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٣.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٨٥.

الأصول بَعْدَ أصل التوحيد فليَسَ المقصود نبوة بدن النَّبِيِّ، أو بعثته للرسالة في الأرض، بَلْ المقصود بعثة النَّبِيِّ، حَتَّى فِي العوالم الأخرى.

والإيمان بالنبوة بهذه الحدود بلا أدنى شك أعظم مِنْ الاعتقاد بالجنة والنَّار.

وربما مِنْ المسلمات أَنْ مِنْ آمَنَ بالإسلام وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يتعلم معارف الجنة والنَّار فلا يضر ذَلِكَ بنجاته أخروياً لكنه إِذَا لَمْ يتعلم ويتفقه فِي معارف أصل النبوة فلا سبيل لَهُ للنجاة أخروياً.

(١) ومما يشهد عَلَى كون النبوة والإمامة أعظم طبقة مِنْ معارف الحساب والجنة والنَّار أَنَّ الأخيرة بتامها نتائج وفروع وثمار الأصول الثلاثة وأولها التوحيد، وكيف تكون الفروع أعظم مِنْ الأصول؟!!

(٢) وَمِنْ الشواهد الأخرى تَقَدَّمَ خَلْقَةُ النَّبِيِّ ﷺ والوصي (عليه السلام) النورية، بَلْ دَلَّت الروايات الكثيرة أَنَّ الجنة خلقت مِنْ نورهم كَمَا فِي الرَّوَايَةِ القائلة أَنَّ الجنة خلقت مِنْ نور الحسين (عليه السلام)، فعن رسول الله ﷺ فِي رواية طويلة: «وفتق نور الحسين فخلق منه الجنان والهور العين والحسين والله أجل من الجنان والهور العين»^(١).

وَأَيُّ معنى لاستلال خلق الجنة مِنْ أنوار المعصومين (عليهم السلام) غَيْر تقدمهم فِي الطبقة العقائدية المحكمة وهو مدلول ذيل المقطع السابق.

والقول بطبقات العقائد لَيْسَ مِنْ الاعتقادات الترفيية أو مِنْ المعارف الهامشيية، إِذْ لو كانت كَذَلِكَ لما قَالَ تَعَالَى فِي قرآنه: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ

(١) الفضائل، بن شاذان/ ١٢٩.

فَأُولَئِكَ يَقرءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظَلِّمُونَ فِتْيَانًا^(١)، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي
الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا^(٢)﴾.

فالضلال والعمى عن موقع الإمامة وإن كان ممن اهتدى في الدُّنيا لمعرفة شؤون المعاد
مؤلدا للعمى في الآخرة، بل وأضل سبيلاً.

وَلَقَدْ ضَلَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْفِرْقِ الْبَاطِنِيَّةِ وَعُلَمَاءِ الصُّوفِيَّةِ حِينَ خَلَطُوا مَعَارِفَهُمُ الْحَقَّةَ
الصَّحِيحَةَ بِتَفْسِيرَاتٍ خَاطِئَةٍ، أَيَّ اعْتَقَدُوا بِالْعُنْوَانِ الصَّحِيحِ وَلَكِنَّهُمْ ضَمَّنُوهُ مَعْنَى بَاطِلًا،
فَقَالُوا أَنَّ لِسَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ عليه السلام وَلِسَيِّدِ الْأَوْصِيَاءِ عليه السلام وَلِسَيِّدَةِ النِّسَاءِ عليها السلام وَلِسَيِّدِي شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ
تَقَرَّرَ وَوُجِدَ فِي عَوَالِمٍ مَخْلُوقَةٍ سَابِقَةً عَلَى عَالَمِ الدُّنْيَا، وَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ التَّنَاسُخِ فِي حِينٍ أَنَّ الْمَوْقِعِيَّةَ
الْوُجُودِيَّةَ لَهُمْ فِي تِلْكَ الْعَوَالِمِ لَا صِلَةَ لَهُ بِالتَّنَاسُخِ الْبَاطِلِ، إِذْ أَنَّهُ سَنَخَ وَجُودَ نُورِيٍّ لَا بِجِسْمٍ
وَمَادَةٍ.

وَهَذِهِ مِنَ الْبَحْثِ الَّتِي لَمْ يَسْتَطِعِ الْفَلَسَفَةُ أَنْ يَتَعَرَّفُوا عَلَيْهَا، بَلْ لَمْ يَخُوضُوا فِيهَا لِانْتِقَارِ
المعرفة بها إلى بيانات الوحي في حين تكثرت الروايات الكاشفة عن وجودات مجردة في عالم
الأظلة وعالم الأنوار وأوضحت أن الأنوار على طبقات.

وَمِنْ هُنَا انْفَتَحَ الْبَابُ لِلْجَزْمِ بِأَنَّ وَجُودَ الْخَمْسَةِ أَصْحَابِ الْكِسَاءِ غَيْرَ مَحْصُورٍ فِي
الْأَجْسَامِ الْخَاصَّةِ بِهَذِهِ النِّشْأَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ، بَلْ لَهُمْ تَوَاجُدٌ وَوُجُودٌ فِي نِشْآتٍ أُخْرَى مَهِيْمَةٌ عَلَى
نِشْأَةِ الْأَرْضِ وَعَالَمِ الدُّنْيَا، وَلَهُمْ شُؤُونَ وَصَلَاحِيَاتٌ فِيهَا سَبَقَ مِنَ الْعَوَالِمِ كَمَا أَنَّهُمْ لَهُمْ شُؤُونَ
وَأَدْوَارٌ فِي الْقَادِمِ مِنَ الْعَوَالِمِ.

(١) سورة الإسراء: الآية ٧١.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٧٢.

وَمِنْ الشَّوَاهِدِ عَلَى تَقَدُّمِ مَعْرِفَتِهِمْ فِي طَبَقَاتِ الْمَعَارِفِ هُوَ أَنَّ أَعْظَمَ حَدَثٍ اسْتَعْرَضَهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمَ بَعْدَ أَصْلِ التَّوْحِيدِ هُوَ حَدَثُ اسْتِخْلَافِ خَلِيفَةِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(١).

حَيْثُ إِنَّ ذَلِكَ الْحَدِيثَ يُمَثِّلُ مَطْلِعَ عَالِمِ الْخَلْقَةِ وَمَطْلِعَ عَالِمِ الدُّنْيَا، وَيَبَيِّنُ الْقُرْآنَ مُضَافًا إِلَى ذَلِكَ اِرْتِبَاطَ تِلْكَ الْخِلَافَةِ بِتِلْكَ الْأَنْوَارِ.

وَقَدْ يَشْكَلُ مَنْ لَا أُنْسَ لَهُ بِالنُّصُوصِ قِرْآنًا وَرِوَايَةً وَيَقُولُ مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ بِلَفْظِ عَالِمِ الْأَنْوَارِ؟

وَهُوَ سَوْأَلٌ سِيَّالٌ يُوَاجِهُ بِهِ أَهْلَ الْمَعْرِفَةِ، فَفَضْلًا عَنْ اتِّهَامِ مَعَارِفِهِمْ بِالْبَطْلَانِ تَتَهَمُ الْفَافِظُ وَعَنَاوِينِ مَعَارِفِهِمْ بِالْغَرَابَةِ وَالشَّدُوذِ عَنْ تَعْبِيرَاتِ أَهْلِ الْعِلْمِ.

وَالْحَقُّ أَنَّهُ مَا مِنْ لَفْظٍ أَوْ عُنْوَانٍ رَائِحٍ فِي عِلْمِ الْمَعَارِفِ إِلَّا وَلَهُ أَصْلٌ فِي رِوَايَاتٍ أَوْ زِيَارَاتٍ الْمَعْصُومِينَ، بَلْ الْكَثِيرُ مِنْ مِصْطَلِحَاتِهِمْ مُسْتَلَّةٌ مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ لَفْظًا وَمَعْنَى، وَمِنْهُ مَا نَحْنُ فِيهِ مِنَ التَّعْبِيرِ عَنْ تَقَرُّرِ وَجُودَاتِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي نَشْأَةِ الْمَجْرَدَاتِ بِعَالَمِ الْأَنْوَارِ، فَقَدْ صَدَحَ الْقُرْآنُ بِتِلْكَ اللَّفْظَةِ فِي سُورَةِ النُّورِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾^(٢).

(١) سورة البقرة: الآية ٣٠.

(٢) سورة النور: الآية ٣٥.

فبين تقرر وجود أنوار خمسة، ومن بعدها أنوار أخرى متعاقبة «نور على نور» أي نور يشتق من نور، ونور يعمل على أثر نور.

وللباحث القرآني أن يتأمل في كون تلك الأنوار خمسة، فهل الله واحد أو خمسة، ومن ثم يتبين أنها أنوار مخلوقة له تعالى مناسبة في وجودها لتجردها في تلك النشأة.

وبناء عليه فما يذكر للنبي صلى الله عليه وآله من أوصاف كوصف النبوة والرسالة والعبودية ليست ثابتة له في النشأة الأرضية فحسب، فوصف النبي صلى الله عليه وآله بأنه عبد ورَسُولُ الله يستوعب عوالم فوق نشأة الأرض، فهو عبد لله في الجنة وفي عالم الذر وسائر العوالم، وهو رَسُولُ الله واسطة بين الله وخلقه في كل النشآت والعوالم الوجودية، وإذا كان مولد وجوده البدني في عام الفيل فكيف لوجوده النوري وقت زمني أرضي.

ومنهُ يتبين ما يرسمه القرآن الكريم لفاطمة عليها السلام من موقعية عظيمة تتخطى الموقع الأرضي إلى الموقع الوجودي النوري.

والشاهد على ما للزهراء عليها السلام من مواقع وجودية عليا ما بينه أئمة أهل البيت عليهم السلام من الملفات المودعة في مصحف فاطمة عليها السلام، ومن تلك الملفات ملف الحكومات في الأرض، أي الإحاطة بكل من سيحكم ويملك في الأرض إلى قيام الساعة.

وقد عرفوا مصحفها بكونه صحفاً وحيانية، وليس وحي نبوة، وله نظير في القرآن وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾^(١).

ومعنى الآية تمثل جبرائيل لمريم، ولما كانت فاطمة عليها السلام أعظم شأنًا ومقاماً من مريم فلا

غرابة في ثبوت هذا السنخ من الوحي لفاطمة عليها السلام.

والسؤال كيف لمصحف فاطمة عليها السلام أن يحيط علماً بالماضي والحاضر والمستقبل؟

السّر في ذلك هو كونه موحى بركات الاتصال بباطن سيّد الأنبياء صلى الله عليه وآله، أي أن نور سيّد الأنبياء هو الوسيط في فيض ذلك الوحي، فهو تنزل من باطن النبي صلى الله عليه وآله، لأن ارتباط أهل البيت عليهم السلام بالنبي صلى الله عليه وآله ليس من سنخ الارتباط الحسيّ فحسب، فإن أقوى رابطة بينهم وبينه هي الرابطة النورية بنصّ دلالات آيات وروايات كثيرة.

وبنصّ الحديث القدسي المتواتر لدى الفريقين في ذيل سورة براءة حيث قال تعالى «لا يبلغ عنك إلا أنت أو رجل منك»^(١).

إذ من حق الباحث أن يتساءل تحت قوله تعالى: «لا يبلغ عنك إلا أنت» فهل للنبي صلى الله عليه وآله

شخصيتان؟

وهل يُعقل أن يبلغ الشخص عن نفس الشخص؟

الجواب: إن لوجود النبي صلى الله عليه وآله طبقتين من الوجود طبقة نورية يُبلغ عنها ويُستمد منها، وطبقة بدنية مستمدة ومبلّغة، أي أن جوارح بدنه الشريف تُبلغ عن مرتبة نوره الأقدس.

ومنهُ يُعرف نوع نيابة علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله إذ من الخطأ أن يُحصر تبليغ علي عليه السلام للنبي

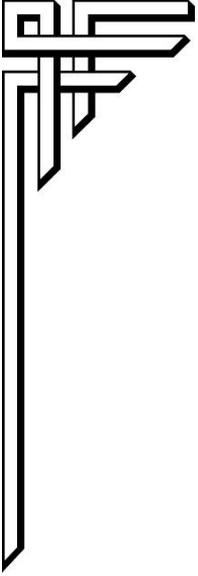
صلى الله عليه وآله فيما يتلقاه من بدن النبي صلى الله عليه وآله كما هو شأن سائر الصحابة، بل ثمة تلقي من النبي صلى الله عليه وآله يختص به علي عليه السلام وهو تلقيه من طبقة نور النبي صلى الله عليه وآله كما يتلقى بدن النبي من طبقة نوره.

وَمِنْهُ يَعْرِفُ وَجْهَ عِظْمَةِ الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ الْمُتَوَاتِرِ لَدَى الْفَرِيقَيْنِ، وَبِهِ يَثْبُتُ أَنَّ عَلِيًّا عليه السلام
 يَسْتَمِدُّ مِنْ مَقَامِ نُورٍ وَقَلْبٍ وَرُوحِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَسَنَخَ تِلْكَ الرِّابِطَةَ وَالِاسْتِمْدَادَ ثَابِتَةً لِفَاطِمَةَ عليها السلام
 حَيْثُ تَتَلَقَى مِنْ بَاطِنِ النُّبُوَّةِ وَمِنْ نُورِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَلِذَا وَرَدَ فِي رِوَايَاتِنَا أَنَّ مِصْحَفَ فَاطِمَةَ عليها السلام إِمْلَاءٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ وَقَدْ ارْتَحَلَ مِنْ عَالَمِ الدُّنْيَا؟

وَالْجَوَابُ: إِنَّ لَهَا نَحْوَ ارْتِبَاطٍ بِأَبِيهَا نُورًا وَرُوحًا.



الضابطة الثامنة: أنحاء ارتباط الحجج بالبشر

* لَيْسَ مِنَ الضَّرُورِيِّ فِي الْحُجْجِ أَنْ يَكُونَ لَهَا ارْتِبَاطٌ مُبَاشِرٌ بِالْبَشَرِ.

* بَلْ يَسْتَعَاضُ عَنْ ذَلِكَ بِحُجْجٍ مَعْصُومِينَ آخَرِينَ.

* وَكَثِيرًا مَا يَكُونُ الْحُجَّةُ الْإِلَهِيَّةُ لَعَلَّوْ مَقَامَهُ غَيْرٌ مُرْتَبِطٌ بِالْبَشَرِ بِالْمُبَاشَرَةِ لَكِنَّهُ

يُرْتَبِطُ بِهِمْ بِحُجْجٍ آخَرِينَ يَتَلَوْنَهُ فِي الْحُجَّةِ.

لَيْسَ مِنَ الضَّرُورِيِّ فِي الْحُجْجِ أَنْ يَكُونَ ثَمَّةُ تَمَاسٍ مُبَاشِرٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْبَشَرِ، وَكَيْسَ مِنَ

الضَّرُورِيِّ أَدَاءُ الْمَسْئُولِيَّةِ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ بِالْمُبَاشَرَةِ.

فَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ بَعْضَ الْحُجْجِ مِمَّنْ لَهُمْ مَقَامَاتٌ عَظِيمَةٌ وَأُوَكِّلَ إِلَيْهِمْ إِدَارَةَ وَمَسْئُولِيَّةَ فِي

ضَمَنِ الْحُجْجِ اقْتَصَرَ دَوْرَهُمْ عَلَى الْإِشْرَافِ فِي ضَمَنِ دَائِرَةِ الْحُجْجِ.

وَيُمْكِنُ أَنْ نَمَثِلَ لِذَلِكَ بِأَمْثَلَةٍ كَثِيرَةٍ، مِنْهَا نَحْوُ ارْتِبَاطِ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ ' بِالْأُمَّمِ السَّابِقَةِ كَقَوْمِ

نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلَا تَكَادُ تَجِدُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ يَنْفِي ارْتِبَاطَ النَّبِيِّ ' بِالْأُمَّمِ

السَّابِقَةِ عَلَيْهِ، كَمَا لَا يَقُولُ أَحَدٌ بِتَأْثِيرِهِ بِالْمُبَاشَرَةِ فِيمَنْ سَبَقَهُ مِنَ الْأُمَّمِ.

فَكَيْفَ نَجْمَعُ بَيْنَ تَبْلِيغِهِ وَتَأْثِيرِهِ فِيهِمْ مَعَ عَدَمِ حُضُورِهِ الْجَسَدِيِّ مَعَهُمْ؟

وَلَقَدْ أَثْبَتَ الْقُرْآنُ بِلَاغِ النَّبِيِّ ' وَتَأْثِيرِهِ فِي الْأُمَّمِ السَّابِقَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ

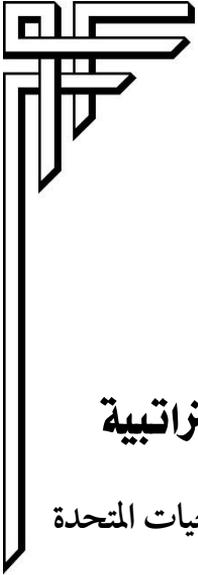
النَّبِيِّنَّ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَضْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١﴾

ففيها يخاطب الله أنبياءه بقوله: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ بمعنى أنكم تابعون له، فتكون الآية مبيّنة لشأن عظيم في سيّد الأنبياء عليه السلام وهو أنّ جميع الرسل السابقين كانوا رسلاً له على الأمم السابقة.

وَمِنْ ثَمَّ يثبت حجية لرسول الله عليه السلام على تلك الأمم بواسطة رسل تلك الأمم وكَيْسَ بالمباشرة.

ومما تقدّم ينحل إشكال مفاده: كيف تؤثر فاطمة عليها السلام في الأمة وكَيْسَ لها حالة اتصال مباشر بها؟

وجوابه: إنّ لفاطمة عليها السلام وكما سيتبين من جملة من الشواهد ولاية الأمر وهي مفترضة الطاعة على أئمة أهل البيت عليهم السلام بدءاً من الحسن ومروراً بالحسين وانتهاءً بالتسعة من ولده فضلاً عن سائر الأنبياء والمرسلين، وعبر تأثيرها ودورها في ضمن دائرة الحجج تؤثر وترتبط بالبشر، فكَيْسَ من الضروري في الحجج أن يكون لها ارتباط مباشر بالبشر، بل يستعاض عن ذلك بحجج معصومين آخرين، وكثيراً ما يكون الحججة لعلو مقامه غير مرتبط بالبشر بالمباشرة لكنّه يرتبط بهم بحجج آخرين يتلونه في الحجية.



الضابطة التاسعة: المقامات المشتركة بين الخمسة لا تنافي التراتبية

* ينبغي التنبيه إليه هُوَ أن استعراض المقامات المشتركة والصلاحيات المتحدة

بين الخمسة أصحاب الكساء لَيْسَ المقصود مِنْهُ إلغاء التراتبية في المقام بينهم.

* بَلْ بيان أنهم قرنوا في مرتبة مِنْ المراتب وإن كانت هِيَ المرتبة الأولى مَعَ

التحفظ عَلَى التراتبية بينهم.

* وَلَا بُدَّ مِنْ التنبيه إِلَى أَنَّ ذَلِكَ الاقتران والمشاركة ليست عَلَى نحو التشریف

والمجاملة والفضيلة العامة، بَلْ عَلَى نحو الحقيقة.

معلوم أَنَّ كتاب الله لَيْسَ فيه خلل ولا خلل، بَلْ كُلُّ كلام فيه موزون بميزان إلهي دقيق

كَمَا أَنَّ كُلَّ آياته حقائق، بَلْ مِنْ أدق وأعمق الحقائق الوحيانية بحيث يهيمن عَلَى ما بَيَّنَّ مِنْ

درجات الوحي في التوراة والإنجيل والزبور.

وَقَدْ وقع من لا حظَّ لَهُ في العلم بالمعارف في الإشكال عِنْدَ المقارنة بين معارف الوحي

القرآني وبين معارف التوراة.

فَقَالَ ما مفاده: إِنَّ الفرق الملاحظ بينهما هُوَ أَنَّ الأحداث والبيانات المودعة في التوراة

جاءت في نسق مُرتَّب ونظام متسلسل كما هي العادة في التأليفات والكتابات.

بَيْنَمَا تَمَيَّز الْقُرْآنُ بِعَدَمِ التَّسْلُسِ وَالتَّرَابُطِ فِي الْأَحْدَاثِ وَالْقَضَايَا وَالْمَعَارِفِ، وَنَصِ كَلَامِ الْمُسْتَشْكَلِ هُوَ «السُّورُ الْقُرْآنِيَّةُ لَا تَخْضَعُ لَوْحَدَةِ مَوْضُوعٍ كَمَنْ يَدْخُلُ بَسْتَانًا يَتَقَلُّ بَيْنَ أَزْهَارِهِ، وَالتُّورَةُ خَاضِعَةٌ لَشُرُوطِ التَّأْلِيفِ الْمُتَعَارِفِ فِي وَحْدَةِ الْمَوْضُوعِ وَتَسْلُسِ الْأَحْدَاثِ».

وَيُمْكِنُ الْإِجَابَةُ عَلَيْهِ بَعْدَ مَلَا حِظَةٍ أَنَّ تَرْتِيبَ السُّورِ وَالْآيَاتِ مُتَلَقًى مِنْ الْمَعْصُومِينَ عَلَيْهِ السَّلَامِ وَكَيْسَ بِاقْتِرَاحِ أَحَدٍ، بِأَنْ يُقَالَ أَنَّ مَا تَوَهَّمَهُ الْقَائِلُ مِيزَةً لِلتُّورَةِ عَلَى الْقُرْآنِ لَيْسَتْ كَذَلِكَ فَإِنَّ التَّرَاتِيبِيَّةَ الْوَاضِحَةَ عَادَةً مَا يَلَا حِظَ فِيهَا مُتَوَسِّطِي الْعُقُولِ وَالْأَفْهَامِ بَغِيَّةً إِلْقَامَهُمُ الْحَقَائِقَ الْمُبَسَّطَةَ، بَيْنَمَا مَا يَلُوحُ مِنْ عَدَمِ تَرَابُطِ مَوْضُوعَاتٍ وَأَحْدَاثِ الْقُرْآنِ هُوَ وَلِيدُ النَّظَرَةِ السُّطْحِيَّةِ وَهِيَ غَيْرُ مُؤَهَّلَةٍ لِفَهْمِ التَّرَابُطِ وَالْمَنْظُومِيَّةِ بَيْنَ الْحَقَائِقِ الْعَالِيَةِ الَّتِي يَخْتَصُّ بِهَا الْوَحْيُ الْقُرْآنِيُّ.

وبعبارة أخرى:

إِنَّ الْمَلْحُوظَ وَالْمُرَاعَى فِي تَسْلُسِ مَوْضُوعَاتِ الْقُرْآنِ وَأَحْدَاثِهِ هُوَ الْمَعَادِلَاتُ وَالْحَقَائِقُ الْإِعْتِقَادِيَّةُ الْمُهِمَّةُ، إِذْ لَيْسَ الْغَرَضُ مِنْهُ أَنْ يَفْهَمَ الْمُتَلَقِّينَ تِلْكَ الْمَعَارِفَ بِنَمُودِجِ الْقِصَصِ الْمُسْلِمِيَّةِ، وَإِنَّمَا مَا أَلْقِيَ فِي الْقُرْآنِ شَبِيهَ بِالْمَعَادِلَاتِ النَّهَائِيَّةِ فِي الْمَحَاكِمِ الْقَانُونِيَّةِ، إِذْ لَا تَطْرَحُ النَّتَائِجُ وَالْمَعَادِلَاتُ بِحَسَبِ تَسْلُسِ أَحْدَاثِ الْقَضَايَا وَإِنَّمَا يُفْصَحُ عَنِ الْمَعَادِلَةِ النَّهَائِيَّةِ بَعْدَ الْمَوَازَنَةِ بَيْنَ الْأَحْدَاثِ.

ثُمَّ أَنَّهُ مِنْ أَمِّهِ دَلَالَاتُ الْإِشْكَالِ السَّابِقِ هُوَ جَهْلُ قَائِلِهِ بِأَصْلِ مَفْرُوعٍ مِنْهُ فِي عِلْمِ الْمَعَارِفِ وَهُوَ أَنَّ بَيَانَاتِ الْوَحْيِ قَدْ تَنَزَّلَتْ عَلَى قَدْرِ سَعَةِ الْإِفْهَامِ لَدَى أَجْيَالِ الْبَشَرِيَّةِ، وَحِينَ بَلَغَتِ الْبَشَرِيَّةُ مَبَالِغَ الرُّشْدِ الْعَقْلِيِّ تَنَزَّلَتْ عَلَيْهَا آخِرُ أَطْرُوحَةِ إِلْهِيَّةِ.

ثُمَّ إِنَّ الْمَعَادِلَاتِ الْقُرْآنِيَّةَ الْمَوْدَعَةَ فِي الْآيَاتِ لَمْ تَنَزَّلْ وَفْقَ دَرَجَةِ وَاحِدَةٍ، وَإِنَّمَا عَلَى

درجات، فمنها:

(١) محكمات.

(٢) ومتوسطات المحكمات.

(٣) وأحكم المحكمات.

والأخيرة هِيَ النَّبِيَّةُ تَتَكْفَلُ بِبَيَانِ أَحْكَمِ مَحْكَمَاتِ الْعُقَائِدِ كَالْتَوْحِيدِ وَالنَّبُوَّةِ، وَفِي أَحْكَمِ الْمَحْكَمَاتِ قَرْنَ اللَّهِ تَعَالَى بِسَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ أَصْحَابِ الْكِسَاءِ وَلَمْ يُقْرَنَ بِهِ أَحَدًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، بَلْ تُشِيرُ بَيَانَاتُ الْإِمَامِ الصَّادِقِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إِلَى أَنَّ ذَلِكَ الْإِقْتِرَانُ بَيْنَ الْخَمْسَةِ أَصْحَابِ الْكِسَاءِ فِي مَرْتَبَةٍ مِنْ مَرَاتِبِهِ لَمْ يُقْرَنَ بِهِمْ بَقِيَّةُ الْأُئِمَّةِ التَّسْعَةِ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ، وَإِنَّمَا قَرَنُوا بِهِمْ فِي رَتَبَةٍ لَاحِقَةٍ.

وبعبارة أخرى:

وَرَدَّ فِي جُمْلَةٍ مِنْ بَيَانَاتِ أَهْلِ الْبَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) أَنَّ مَقَامَاتِ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ ذَاتَ مَرَاتِبٍ، وَفِي الْمَرْتَبَةِ الْأُولَى مِنْهَا قَرْنَ اللَّهِ بِهِمْ بِقِيَّةِ أَصْحَابِ الْكِسَاءِ، وَفِي الْمَرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ مِنْهَا قَرْنَ بِالنَّبِيِّ ﷺ التَّسْعَةَ مِنْ وَلَدِ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ).

وَلَا بُدَّ مِنَ التَّنَبُّهِ إِلَى أَنَّ ذَلِكَ الْإِقْتِرَانُ وَالْمَشَارَكَةُ لَيْسَتْ عَلَى نَحْوِ التَّشْرِيفِ وَالْمَجَامَلَةِ وَالْفَضِيلَةِ الْعَامَّةِ، بَلْ عَلَى نَحْوِ الْحَقِيقَةِ.

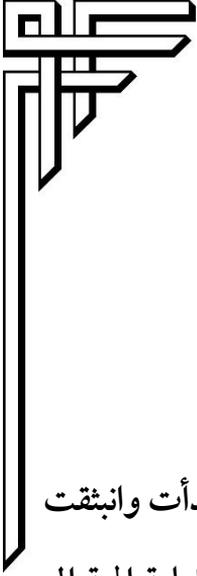
وَمِنْهُ يَعْرِفُ الْحُظُوظَ الْعَالِيَةَ فِي الْمَقَامَاتِ لِفَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) حَيْثُ يُقْرَنُ وَيُشَارِكُ اللَّهُ تَعَالَى فِي قِرَائِهِ مَوْقِعِيَّةَ الصَّدِيقَةِ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) بِمَوْقِعِيَّةِ النَّبِيِّ ﷺ فِي مَوَاقِعَ لَمْ يُشَارِكْ فِيهَا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ أُولِي الْعِزْمِ وَالنَّبِيِّ ﷺ فَضْلًا عَنِ بَقِيَّةِ الْأَنْبِيَاءِ وَسَائِرِ الْمُرْسَلِينَ.

وسياتي في مقالات هذا الكتاب بيان جملة من المقامات المشتركة.

ومما ينبغي التنبيه إليه هو أن استعراض المقامات المشتركة والصلاحيات المتحدة بين الخمسة أصحاب الكساء ليس المقصود منه إلغاء التراتبية في المقام بينهم، بل بيان أنهم قرنوا في مرتبة من المراتب وإن كانت هي المرتبة الأولى مع التحفظ على التراتبية بينهم، أي أن الخصائص المشتركة للمجموعة لا تنافي التقدّم والتأخر بقياس بعضهم للبعض الآخر.

وبعبارة أخرى:

إن اشتراكهم في المقامات بلحاظ عالم الأرض وبلحاظ عوالم أخرى ينسجم مع القول بالتفاوت المقامي بينهم وبلحاظ كلِّ العوالم.



الضابطة العاشرة: إمامة رسول الله ﷺ

* الجدير ذكره أن مبحث الإمامة لا يبدأ من إمامة علي (عليه السلام) وإنما بدأت وانبثقت من رسول الله ﷺ، أي أنه بتنصيب إلهي وحياني كان للنبي ﷺ إمامة إلهية إلى جانب ماله من رسالة ونبوة.

* وإذا ثبت له منصب الإمامة يكون قوله ﷺ: «إلا أنه لا نبي بعدي»^(١) من براهين وأدلة دوام منصب الإمامة بعد رحلته، إذ لم يقل (لا إمامة بعدي) بل قال (لا نبي بعدي)، فأثبت للنبوة صفة الخاتمية وأثبت للإمامة صفة الديمومة.

مما يؤسف له أن البحث عن الإمامة في المدارس الكلامية قد هبط إلى مستوى متدن بحيث اقتصر عندهم البحث عن الإمامة في حدود الأرض، وبنوا على هذا البحث تعريفاً قاصراً للإمامة يُحلّ بحقيقتها وسعة أدوارها.

وعلى ضوء ذلك التعريف شديد الاقتضاب والقصور ترتبت شبهات عديدة، منها شبهات حداثوية عصرية لم يستند أصحابها على التحقيقات في أصل الإمامة، وإنما انبثقت تساؤلاتهم وإشكالياتهم بسبب ضمور وقصور التعريف الكلامي للإمامة.

وَقَدْ تَيَّنَّ مَا سَبَقَ أَنَّ لِلْإِمَامَةِ كَمَا لِلنَّبِيَّةِ ثَلَاثَةٌ أَعْبَادَ:

الأوَّل: دور الأئمة في دار الدُّنْيَا.

الثَّانِي: دور الأئمة في عالم الرجعة.

الثَّالِث: دورهم في عالم الآخرة.

وفي مباحث الإمامة ربما يغفل الكثير عن عقيدة مسلمة وهي عقيدة إمامة رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فَهُوَ فِي دَرَجَةٍ مِنَ الْإِمَامَةِ يَكُونُ فِيهَا إِمَامَ الْأُمَّةِ الْاِثْنِي عَشَرَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

ورغم التسالم بين محدثي الفريقين وجُلُّ مفسري المسلمين على ذلك إِلَّا أَنَّ الْمُتَكَلِّمِينَ مِنَ

الفريقين لَمْ يَثْبُتُوا هَذَا الْمَبْحَثَ وَإِنْ ذَكَرُوهُ بِشَكْلِ ضَمْنِي.

ولكن الجدير ذكره أَنَّ مَبْحَثَ الْإِمَامَةِ لَا يَبْتَدَأُ مِنْ إِمَامَةِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَإِنَّمَا بَدَأَتْ وَانْبَثَتْ مِنْ

رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَيَّ أَنَّهُ بِنَتْنِصِيبِ إلهي وحياني كَانَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِمَامَةٌ إلهية إِلَى جَانِبِ مَا لَهُ مِنْ رِسَالَةٍ

وَنبِوَةٍ.

وإذا ثبت لَهُ مَنْصِبُ الْإِمَامَةِ يَكُونُ قَوْلُهُ: «إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»^(١) مِنْ بَرَاهِينِ وَأَدْلَةٍ دَوَامِ

مَنْصِبِ الْإِمَامَةِ بَعْدَ رِحْلَتِهِ، إِذْ لَمْ يَقُلْ (لَا إِمَامَةَ بَعْدِي) بَلْ قَالَ (لَا نَبِيَّ بَعْدِي)، فَاتَّبَتْ لِلنَّبِيَّةِ

صِفَةَ الْخَاتِمَةِ وَأُثْبِتَ لِلْإِمَامَةِ صِفَةَ الدِّيمُومَةِ.

وبعبارة أُخْرَى:

لَقَدْ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْبَقْرَةِ: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي

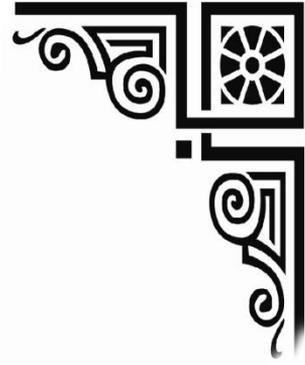
(١) المحاسن، احمد بن محمد بن خالد البرقي / ١ / ١٥٩.

فثبت بها دوام واستمرار قاطرة الإمامة، وَالنَّبِيِّ فِي قَوْلِهِ: «لَا نَبِيَّ بَعْدِي» بَيْنَ خْتَمِ النُّبُوَّةِ بَعْدَهُ فَيَتَشَكَّلُ بِذَلِكَ بَرَهَانٌ نَتِيجَتُهُ دِيمُومَةُ الْإِمَامَةِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَعْنَاهَا الْقَرَأَنِيُّ وَالرُّوَائِيُّ لَا بِمَا ذَكَرَهُ فَفَهَاءُ الظَّاهِرِ وَعِلْمَاءُ الْكَلَامِ.

إِذْ بِمِرَاجَعَةِ آيَاتِ الْإِمَامَةِ فِي الْقُرْآنِ يَتَبَيَّنُ أَنَّهَا مَنْظُومَةٌ مَقَامَاتٍ وَذَاتُ أبعادٍ وَزَوَاياَ مُخْتَلِفَةٍ، وَتَبْلُكُ الْمَعْرِفَةَ الْوَاسِعَةَ لِمَقَامَاتِ الْإِمَامَةِ تَنْجَلِي كَثِيرٌ مِنْ الشَّبَهَاتِ وَالتَّسَاوُلَاتِ وَالإِثَارَاتِ وَالتَّشْكِيكَاتِ وَالإِنْكَارَاتِ الَّتِي نَشَأَتْ بِسَبَبِ قُصُورِ التَّعْرِيفَاتِ فِي كُتُبِ الْأَعْلَامِ.

وَالسُّؤَالُ هَلْ لِلصَّدِيقَةِ فَاطِمَةَ ؑ حِظٌّ مِنْ مَقَامَاتِ الْإِمَامَةِ؟

إِنْ رَتَبَةُ الْبِضْعَةِ الطَّاهِرَةِ ؑ فِي الْوَلَايَةِ تَأْتِي فِي الْمَرْتَبَةِ الثَّلَاثَةِ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلِيٍّ ؑ فِي ضَمَنِ سَلْسَلَةِ هَذِهِ الْمَرَاتِبِ، كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْأَدْلَةُ الْمُتَعَدِّدَةُ وَالكَثِيرَةُ.



الباب الثاني:

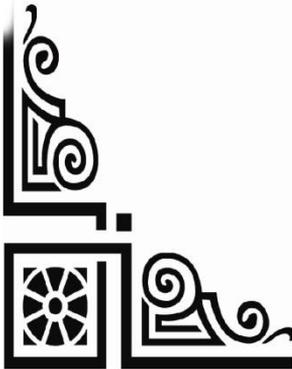
المقالات

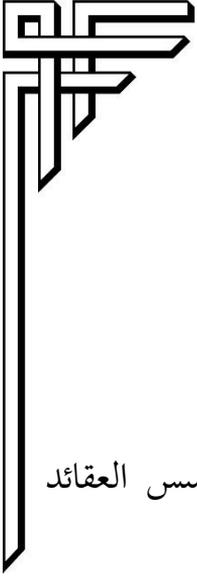
المقالة الأولى: موقع الزهراء عليها السلام في أصول العقائد:

❖ الشاهد الأول: ملكها في العوالم الآتية.

❖ الشاهد الثاني: تلقين النبي صلى الله عليه وآله لحمزة عليه السلام.

❖ الشاهد الثالث: اعتراف أبي بكر بمقامات فاطمة عليها السلام.





المقالة الأولى: موقع الزهراء عليها السلام في أصول العقائد

تقسّم العقائد الدينية إلى أصول وتفاصيل، وقد يصطلح عَلَيْهَا بِأَسْسِ الْعُقَائِدِ وتفرّيعاتها، والفرق بينهما أَنَّ الْأَسْسَ وَالْأَصُولَ:

أَوَّلًا: يَجِبُ عَلَى كُلِّ مَكْلَفٍ تَعَلُّمُهَا وَالْإِيْمَانُ بِهَا.

ثَانِيًا: النِّجَاةُ الْآخِرِيَّةُ مَرْهُونَةٌ بِهَا.

ثَالِثًا: يُسَاءَلُ كُلُّ مَكْلَفٍ عَنْهَا.

رَبْعًا: تَسْتَوْعِبُ تَدَاعِيَّاتِهَا مَسِيرَ الْإِنْسَانِ فِي رَاهِنِهِ وَمُسْتَقْبَلِهِ.

بَيْنَمَا تَفَاصِيلُ الْعُقَائِدِ وَتَفْرِيْعَاتِهَا:

أَوَّلًا: شَرَطٌ وَجُوبُ الْإِعْتِقَادِ بِهَا مُعْلَقٌ عَلَى حُصُولِ الْعِلْمِ بِهَا، فَإِنْ لَمْ يُحْصَلْ فَلَا وَجُوبَ

فِي ذِمَّةِ الْمَكْلَفِ لِلسَّعْيِ نَحْوَ تَحْصِيْلِهِ.

ثَانِيًا: تَحْصِيْلُ الْعِلْمِ بِالتَّفَاصِيْلِ نَدْبِيٌّ، وَالسَّعْيُ لِلْعِلْمِ بِهَا مُسْتَحَبٌّ فَإِنْ حُصِلَ الْعِلْمُ بِهَا

وَجِبَ الْإِعْتِقَادُ بِهَا.

ثَالِثًا: لَهَا تَدَاعِيَّاتٌ وَأَثَارٌ عَلَى رَاهِنِ الْإِنْسَانِ وَمُسْتَقْبَلِهِ لَكِنَّهُ لَيْسَ بِوِزَانٍ وَمُسْتَوَى

تَدَاعِيَّاتِ أَصُولِ الْعُقَائِدِ.

وما ذكرناه من تقسيم هُوَ التقسيم الرئيسي وَإِلَّا فالعقائد درجات ومراتب وأقسام.

وَالسُّؤَالُ هَا هُنَا: هَلْ أَنْ الْمَعْرِفَةُ الْعَقَائِدِيَّةُ بِمَقَامِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام دَاخِلٌ فِي أَسَاسِيَّاتِ

وَأَصُولِ الْعَقَائِدِ أَمْ أَنَّهُ مِنْ تَفَاصِيلِهَا؟

وَبصِيَاغَةٌ أُخْرَى:

هَلْ أَنْ مَا يَرْسُمُهُ الدِّينُ الْحَنِيفُ فِي نصوصِ الْقُرْآنِ وَحَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَوَايَاتِ

الْمَعْصُومِينَ لِفَاطِمَةَ عليها السلام مِنْ مَوْقِعِيَّةٍ فِي الْعَقِيدَةِ يُعَدُّ مِنْ الْعَقَائِدِ التَّفْصِيلِيَّةِ التَّفْرِيغِيَّةِ أَوْ مِنْ أَسْوَاسِ

الدِّينِ وَأَصُولِ الْعَقَائِدِ؟

وَجَوَابُهُ: إِنَّ الْمَعْرِفَةَ الْعَقَائِدِيَّةَ بِمَقَامِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام هُوَ وَاحِدٌ مِنْ جَمَلَةِ الْأَسْوَاسِ وَالْأَصُولِ

الدِّينِيَّةِ، بَلْ الْإِيمَانُ بِهَا مَعْتَقَدٌ رَكْنِيٌّ مِنْ جَمَلَةِ أَرْكَانِ الدِّينِ.

وَإِلَيْكَ مَجْمُوعَةٌ مِنْ الشُّوَاهِدِ وَالْأَدْلَةِ عَلَى ذَلِكَ:

الشَّاهِدُ الْأَوَّلُ: مَلَكُهَا فِي الْعَوَالِمِ الْآتِيَّةِ:

رَوَى فِي الْاِحْتِجَاجِ عَنْ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام

قَالَ: إِنَّ يَهُودِيًّا مِنْ يَهُودِ الشَّامِ وَأَحْبَارَهُمْ كَانَ قَدْ قَرَأَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَالزَّبُورَ وَصَحَّفَ

الْأَنْبِيَاءَ عليهم السلام وَعَرَفَ دَلَائِلَهُمْ، جَاءَ إِلَى مَجْلِسِ فِيهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِيهِمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي

طَالِبٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَأَبُو سَعِيدٍ الْجَهَنِّيُّ، فَقَالَ: يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ مَا تَرَكْتُمْ لِنَبِيِّ

دَرَجَةً، وَلَا لِمُرْسَلٍ فَضِيلَةً إِلَّا أَنْحَلْتُمُوهَا نَبِيَّكُمْ، فَهَلْ تَجِيبُونِي عَمَّا أَسْأَلُكُمْ عَنْهُ؟ فَكَاعَ الْقَوْمُ

عَنْهُ.

فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام: نَعَمْ مَا أَعْطَى اللَّهُ نَبِيًّا دَرَجَةً، وَلَا مُرْسَلًا فَضِيلَةً إِلَّا وَقَدْ

جمعها لمحمد ﷺ وزاد محمدا على الأنبياء أضعافا مضاعفة.

فقال له اليهودي: فهل أنت مجيبي؟ قال له: نعم سأذكر لك اليوم من فضائل رسول الله ﷺ ما يقر الله به عين المؤمنين، ويكون فيه إزالة لشك الشاكين في فضائله ﷺ... قال له اليهودي: فإن هذا سليمان أعطي ملكا لا ينبغي لأحد من بعده؟ فقال علي عليه السلام: لقد كان كذلك ومحمد ﷺ أعطي ما هو أفضل من هذا إنه هبط إليه ملك لم يهبط إلى الأرض قبله وهو: ميكائيل فقال له: يا محمد عش ملكا منعما وهذه مفاتيح خزائن الأرض معك، ويسير معك جبالها ذهباً وفضة، ولا ينقص لك مما ادخر لك في الآخرة شيء، فأومى إلى جبرئيل - وكان خليله من الملائكة - فأشار عليه أن تواضع فقال له: بل أعيش نبيا عبدا أكل يوما ولا أكل يومين والحق بإخواني من الأنبياء فزاده الله تبارك وتعالى الكوثر، وأعطاه الشفاعة، وذلك أعظم من ملك الدنيا من أولها إلى آخرها سبعين مرة، ووعدته المقام المحمود، فإذا كان يوم القيامة أقعده الله عز وجل على العرش، فهذا أفضل مما أعطي سليمان^(١).

وروى في بصائر الدرجات عن محمد بن سليمان الديلمي عن أبيه قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿إِذْ جَعَلْ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾ فقال الأنبياء رسول الله ﷺ وإبراهيم وإسماعيل وذريته والملوك الأئمة عليهم السلام قال فقلت وأي ملك أعطيتم فقال ملك الجنة وملك الكرة^(٢).

ومفاد الرواية مُستل من أوصاف الآخرة في القرآن الكريم فإنه وصف عرض الجنة كعرض السموات والأرض في قوله تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا

(١) الاحتجاج، الشيخ الطبرسي / ١ / ٣١٤، ٣٣١ / الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي / ٢ / ٩١٧، ٩٢١.

(٢) مختصر بصائر الدرجات، حسن بن سليمان الحلبي / ٢٨.

كَعْرَضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴿١﴾.

وبأنَّ الأرضَ والسَّمَاءَ فيها غيرَ الأرضِ والسَّمَاءِ في الدُّنيا، وَمِنْ الطَّبِيعِيِّ أَنْ يَكُونَ الْحَكْمَ وَالْمَلِكَ الْآخِرِيِّ أَعْظَمَ مِنْهَا فِي عَالَمِ الدُّنْيَا لِاخْتِلَافِ الْعَالِمِينَ فِي الْمَسَاحَةِ وَالطَّاقَاتِ وَالْقُدْرَاتِ.

وَقَدْ أُشِيرَ فِي الرِّوَايَاتِ أَنَّ لِفَاطِمَةَ عليها السلام مَقَامَاتٍ فِي الْعَوَالِمِ الْآتِيَةِ وَمِنْهَا عَالَمُ الْآخِرَةِ الَّذِي لَا مُصَانَعَاتَ وَلَا مُجَامَلَاتَ فِيهِ، وَهُوَ يَوْمٌ لَا يَتَكَلَّمُ فِيهِ إِلَّا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا، وَهُوَ يَوْمٌ يَتَبَيَّنُ فِيهِ التَّجَلِّيُ الْإِلَهِيُّ كَأَعْظَمَ مَا يَكُونُ ...

وَالسُّؤَالُ: أَيُّ مَعْنَى لِلإِفْصَاحِ عَنْ مَقَامِ لِلزَّهْرَاءِ عليها السلام فِي ظِلِّ ذَلِكَ الْعَالَمِ؟

وَالَّذِي يَزِيدُ الْعَقْلَ حَيْرَةً أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ لَمْ يَفْصَحْ عَنْ دَوْرِ لِلْأَنْبِيَاءِ الْعِظَامِ فِي ذَلِكَ الْعَالَمِ، فَلَمْ يُعْطِ دَوْرًا لِإِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ وَلَا لِمُوسَى الْكَلِيمِ، وَلَا لِعِيسَى رُوحِ اللَّهِ، وَلَا لِنُوحٍ صَفِيِّ اللَّهِ، بِيَدِ أَنْهُ يُعْطَى لِلزَّهْرَاءِ عليها السلام دَوْرًا بَلْ أَدْوَارًا.

أَلَا يَكْفِي هَذَا شَاهِدًا عَلَى كَوْنِهَا مِنْ الْأَصُولِ الْإِعْتِقَادِيَّةِ!!

وَمَا يُؤَسِّفُ لَهُ أَنْ تَجْعَلَ الْمَنَاصِبَ الْإِلَهِيَّةَ فِي الدُّنْيَا لِلْمُصْطَفِينَ دَلِيلًا دَافِعًا عَلَى مَوْجِعِيَّتِهِمْ فِي الدُّنْيَا، بَيْنَمَا تَهْمَلُ دَلَالَةَ الْأَوْسَمَةِ الْإِلَهِيَّةِ الْآخِرِيَّةَ لِبَعْضِ الْمُصْطَفِينَ عَلَى مَوْجِعِيَّتِهِمْ الرِّكْنِيَّةَ فِي الدُّنْيَا، إِذْ أَنْ ذَلِكَ لَا يَصِحُّ إِلَّا بِأَنْ نَعْتَقِدَ فِي الْمَرْحَلَةِ السَّابِقَةِ بِكَوْنِ مَلِكِ الدُّنْيَا أَعْظَمَ مِنْ مَلِكِ الْآخِرَةِ وَلَا يَقُولُ بِهِ أَحَدٌ.

الشاهد الثاني: تلقين النبي ﷺ لحمزة عليه السلام:

كَانَ مِنْ دِيْدِنِ النَّبِيِّ ﷺ كَمَا تَدُلُّ عَلَيْهِ الرِّوَايَاتُ تَلْقِيْنَهُ الْعَقَائِدَ الْحَقَّةَ لِلْأَبْعَدِيْنَ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ فَضْلًا عَنِ الْأَقْرَبِيْنَ مِنْ ذَوِيهِ.

وَقَدْ وَرَدَ أَنَّهُ قَدْ لَقِّنَ عَمَهُ حَمْزَةَ سَيِّدَ الشَّهْدَاءِ وَأَسَدَ اللَّهِ الْعَقَائِدَ الْحَقَّةَ مَرَّةً قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ وَأُخْرَى قَبْلَ وَقْعَةِ أَحَدِ اللَّيْتِي اسْتَشْهَدَ فِيهَا.

فَعَنْ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ أَبِيهِ (عليه السلام) قَالَ: ..وَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي أُصِيبَ حَمْزَةُ فِي يَوْمِهَا دَعَا بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا حَمْزَةُ يَا عَمَّ رَسُولَ اللَّهِ، يَوْشِكُ أَنْ تَغِيْبَ غَيْبَةً بَعِيْدَةً فَمَا تَقُوْلُ لَوْ وَرَدَتْ عَلَيَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَسَأَلْتُكَ عَنْ شُرَائِعِ الْإِسْلَامِ وَشُرُوطِ الْإِيْمَانِ؟
فَبَكَى حَمْزَةُ وَقَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أُرْشِدْنِي وَفَهْمْنِي.

فَقَالَ: يَا حَمْزَةُ تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا، وَأَنْي رَسُولَ اللَّهِ تَعَالَى بِالْحَقِّ، قَالَ حَمْزَةُ: شَهِدْتُ، قَالَ: وَأَنْ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنْ النَّارَ حَقٌّ، وَأَنْ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا، وَأَنْ الصِّرَاطَ حَقٌّ، وَالْمِيزَانَ حَقٌّ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ وَفَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ، وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ، وَأَنْ عَلِيًّا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ.

قَالَ حَمْزَةُ: شَهِدْتُ وَأَقْرَرْتُ وَأَمَنْتُ وَصَدَقْتُ وَقَالَ: الْأُئِمَّةُ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَفِي ذُرِّيَّتِهِ .

قَالَ حَمْزَةُ: آمَنْتُ وَصَدَقْتُ، وَقَالَ: فَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، قَالَ: نَعَمْ صَدَقْتُ، وَقَالَ: حَمْزَةُ سَيِّدَ الشَّهْدَاءِ وَأَسَدَ اللَّهِ وَأَسَدَ رَسُولِهِ وَعَمَّ نَبِيَّهُ، فَبَكَى (حَتَّى سَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ وَجَعَلَ يَقْبَلُ عَيْنِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: جَعْفَرُ ابْنُ أَخِيكَ طَيَّارٌ فِي الْجَنَّةِ مَعَ الْمَلَائِكَةِ، وَأَنْ مُحَمَّدًا وَآلَهُ خَيْرَ الْبَرِيَّةِ تَوْمَنُ

يا حمزة بسرهم وعلانيتهم وظاهرهم وباطنهم، وتحیی على ذلك وتموت، توالی من والاهم،
وتعادي من عاداهم.

قال: نعم يا رسول الله، أشهد الله وأشهدك وكفى بالله شهيدا، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:
سدك الله ووفقك^(١).

ومما يُستفاد من سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله أن ثمة سنة مؤكدة مفادها استحباب تجديد العهد
بالعقائد الحقّة وأصول الدّین كلّما حفّت بالإنسان المخاطر وصار في معرض الانتقال من دار
إلى دار.

ومما علمه رسول الله صلى الله عليه وآله عمه الحمزة ولقّنه به الشهادة الأولى والشهادة الثانية والشهادة
بإمرة أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة المعصومين، ثمّ أردف ذلك بالشهادة للزهراء عليها السلام بكونها سيدة
نساء العالمين عليها السلام.

وهذا معناه أن من جملة الأمور التي يجب تعلمها والتي يُسأل عنها في القبر والبرزخ
وعند الميزان والحساب الاعتقاد بمقام فاطمة عليها السلام في الدّين وبكونها سيدة نساء العالمين.

فوضح من هذا التلقين النبوي الشريف انطباق خصائص الأصول الاعتقادية التي قرناها في
أول المقالة على الاعتقاد بمقام فاطمة عليها السلام.

ولا يغيب عن ذهن القارئ الكريم أن مما يوثق ركنية الاعتقاد بمقام فاطمة عليها السلام أن الذي
يُسأل عنه ليس عموم الناس فحسب، بل يُسأل أمثال حمزة من عبد المطلب الذي له تلك
المكانة والمقام العظيم.

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي ٢٢ / ٢٧٨، ٢٨٠.

الشاهد الثالث: اعتراف أبي بكر بمقامات فاطمة عليها السلام:

وَمِنْ الشَّوَاهِدِ عَلَى أَنَّ مَعْرِفَتَهَا رُكْنَ فِي الدِّينِ مَا أَفْصَحَ عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ فِي مُوَاجَهَتِهِ وَسَجَالِهِ مَعَ الزَّهْرَاءِ عليها السلام.

فقد ورد في الاحتجاج فأجابها أبو بكر عبد الله بن عثمان وقال: يا بنت رسول الله... وأنت يا خيرة النساء، وابنة خير الأنبياء،... وأنت سيدة أمة أبيك، والشجرة الطيبة لبنيك، لاندفع مالك من فضلك، ولا يوضع في فرعك وأصلك، حكمك نافذ فيما ملكت يداي.. فقال أبو بكر: أنت معدن الحكمة وموطن الهدى والرحمة، وركن الدين، وعين الحجة، لا أبعد صوابك..^(١).

فَقَدْ أَقَرَّ لَهَا بَعْدَ طَائِلٍ مِنَ الْمَقَامَاتِ الْعَقِيدِيَّةِ الْعَظِيمَةِ أَحَدَهَا أَنَّهَا رُكْنَ الدِّينِ، وَهَذَا مَثْبُوتٌ فِي مَصَادِرِ الْفَرِيقَيْنِ.

وَمِنْ الْبَيِّنِ أَنَّ مَا وَصَفَ بِهِ مَوْقِعِيَّةَ الزَّهْرَاءِ عليها السلام إِنَّهَا هِيَ رَوَايَةٌ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله إِمَّا رَوَايَةً لِنَصِّ مَا وَرَدَ عَنْهُ صلى الله عليه وآله أَوْ رَوَايَةً لِمَفَادَاتٍ وَمُضَامِينَ هِيَ بِمَثَابَةِ التَّرْجَمَانِ لِنُصُوصِ نُبُوَّةِ مُسَلِمَةٍ.

وتلك النصوص تمثل كليات من النبي صلى الله عليه وآله في شأن فاطمة عليها السلام كقوله صلى الله عليه وآله تارة وهو يصفها بأنها (سيدة نساء العالمين) وتارة أنها (سيدة نساء أهل الجنة).

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنا سيد الأنبياء والمرسلين، وأفضل من الملائكة المقربين، وأوصيائي سادة أوصياء النبيين والمرسلين،...وابنتي فاطمة سيدة نساء

(١) الاحتجاج، الشيخ الطبرسي ١ / ١٤١، ١٤٥.

العالمين»^(١).

وعنه، قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان جالسا ذات يوم وعنده علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فقال: اللهم إنك تعلم أن هؤلاء أهل بيتي وأكرم الناس علي فأحب من أحبهم، وأبغض من أبغضهم، ووال من والاهم... وإنما لسيدة نساء العالمين.

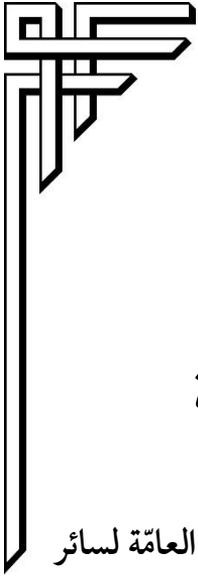
ف قيل له: يا رسول الله، أهي سيدة نساء عالمها؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله: ذاك لمريم بنت عمران، فأما ابنتي فاطمة فهي سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وإنما لتقوم في محرابها فيسلم عليها سبعون ألف ملك من الملائكة المقربين، وينادونها بما نادت به الملائكة مريم فيقولون: يا فاطمة «إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين»^(٢).

وروى في الخصال عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «...هنيئا لك يا علي فإن الله عز وجل زوجك فاطمة سيدة نساء أهل الجنة»^(٣).

(١) الأمل، الشيخ الصدوق ٣٧٤.

(٢) الأمل، الشيخ الصدوق ٥٧٤، ٥٧٥.

(٣) الخصال، الشيخ الصدوق ٥٧٣.



المقالة الثانية: الاعتقاد بها عليها السلام فريضة مودة أم إيمان بموقعها الخاص

* هل النصوص بصدد إيجاب فريضة مودتها وحبها كما هو فهم العامة لسائر

الآيات المادحة لأهل البيت عليهم السلام؟

أم أنها بصدد رسم موقعية خاصة؟

ثمة آيات كثيرة نزلت للإشادة بفضائل فاطمة عليها السلام، وثمة أحاديث نبوية كثيرة رواها رواة

الفريقين، وثمة أحاديث كثيرة للمعصومين عليهم السلام في شأنها.

وكل ذلك بمجموعه يستدعي التساؤل عن ما ترسمه لنا النصوص من شأن ومكانة لها

عليها السلام.

فهل هي بصدد إيجاب فريضة مودتها وحبها كما هو فهم العامة لسائر الآيات المادحة

لأهل البيت عليهم السلام؟

أم أن النصوص بصدد رسم موقعية خاصة ومقام استثنائي لها عليها السلام ضمن خريطة مواقع

المصطفين من الله؟

ونجيب بضرر س قاطع أن الآيات الكريمة في مقام رسم ما لها من موقع ديني بل ما لها من

مواقع إلهية، وهي كثيرة:

أحدها: موقع الحقيية الوزارية في حكومة دولة رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السياسية حال حياته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَهُوَ مَوْعٍ مَتَسَالَمٍ عَلَيْهِ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ بِنَحْوِ ارْتِكَازِي، وَيَلُورْتُهُ أَنَّ لَهَا شَأْنًا وَوَلَايَةً عَلَى الْأُمُورِ الْعَامَةِ فِي الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ كَمَا فِي سُورَةِ الْحَشْرِ وَسُورَةِ الرُّومِ وَسُورَةِ الْإِسْرَاءِ، أَيَّ أَنَّ اللَّهَ أَمَرَ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَفْعِيلِ دَوْرِهَا فِي حُكُومَتِهِ، بَلْ وَأَنْذَرَ بَلْزُومَ تَفْعِيلِهِ قَبْلَ أَمْرِهِ وَإِنْذَارِهِ بِوَلَايَةِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي آيَةِ الْغَدِيرِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ أَنْذَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَصْبِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِمَامًا وَزَيْرًا فِي بَنِي هَاشِمٍ مِنْ أَوَّلِ أَيَّامِ الْبَعْثَةِ النَّبَوِيَّةِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(١).

وَقَدْ نَصَّتْ عَلَى ذَلِكَ كَتَبَ الْفَرِيقَيْنِ فِي حَدِيثِ الدَّارِ يَوْمَ الْإِنْذَارِ.

ثانيتها: مقام الولاية العظمى والحجبة الكبرى، ويقصد به الولاية العظمى للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحاب الكساء على الخلائق في الدولة الإلهية التي لا تقتصر على الحاكمة في الأرض، بل هي ظل حاكمة الله في كل العوالم وعلى كل الخلائق. وَقَدْ بَيَّنَّا ذَلِكَ فِي غَيْرِ وَاحِدَةٍ مِنَ الضَّوَابِطِ السَّابِقَةِ.

(١) سورة الشعراء: الآية ٢١٤.

المقالة الثالثة: نورية الزهراء عليها السلام وما يترتب عليها من أدوار

* مِنْ الخِطَأِ أَنْ تفسَّرَ النورية واشتقاق الأنوار عَلَى المعنى الشرفي.
* بَلْ هُوَ بيان لعظمة الخلقة وعظمة الكمال، وَمِنْ ثَمَّ عظمة درجة الحجية،
وعظمة التمثيل لدور القدوة والأسوة، وَمِنْهُ تبنى خريطة كُلِّ جوانب الكمال.
* إِنَّ الزهراء عليها السلام تسبق أولادها عَلَى كُلِّ صعيد، فعلمها يكبر علمهم، ومقامها
فوق مقامهم، وهكذا فِي بَقِيَّةِ الكمالات تتصدر موقع الأصل والمعصومون مِنْ
أولادها فِي موقع الفرع.

المتبع لروايات الفريقين يقف عَلَى مفاد متفق عَلَيْهِ فيما يخص الوجود النوري لأهل البيت
عليهم السلام، وَمِنْ تلك الروايات روايات اشتقاق نور فاطمة عليها السلام مِنْ نور النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونور علي عليه السلام، وَأَنَّ
الأنوار الثلاثة خلقت مُتَعاقبة باشتقاق المتأخر مِنْ المتقدم بنحو متسلسل.

فأَوَّلُ ما خلق هُوَ نور النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واشتق مِنْهُ نور علي عليه السلام وَمِنْهُ اشتق نور فاطمة عليها السلام.

ففي الرواية عن سلمان الفارسي قال: «دخلت على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... قال: يا سلمان
خلقني الله من صفاء نوره فدعاني فأطعته وخلق من نوري عليا فدعاه إلى طاعته فأطاعه، وخلق
من نوري ونور علي عليه السلام فاطمة فدعاها فأطاعته، وخلق مني ومن علي ومن فاطمة الحسن

والحسين....»^(١).

فما هو المراد من النورية وتعاقب الأنوار؟

ثمة قراءة فلسفية وعرفانية ومعرفية تبيّن معنى الخلقة النورية، فعندما يُقال أوّل ما خلق الله نور نبيك يا جابر فهو إشارة إلى أوّل وأعظم مخلوق خلقه الله تبارك وتعالى، وذلك هو نور النبي صلى الله عليه وآله أي النبي بطبقته النورية، وعندما يُقال خلق من نور النبي صلى الله عليه وآله نور علي عليه السلام فإنّ المشار إليه بأنّه المخلوق الثاني ليس هو بدن علي عليه السلام وليس هو روحه وإنما هو نوره، أي علي عليه السلام بوجهه النوري في العوالم السابقة.

وحينها يُقال أنّ نور فاطمة عليها السلام اشتقّ ثالثاً وقبل اشتقاق أنوار المعصومين فهو إشارة إلى أنّ ثالث المخلوقين عظمة هو نور فاطمة، ونورها يكبر أنوار المعصومين عليهم السلام.

وما مرّ هو التحليل الفلسفي والعرفاني والعقلي للأنوار، وترجمانه بالقراءة الكلامية اختلاف الحجج في المراتب، وأنّ حجّة فاطمة عليها السلام فوق حجّة أولادها المعصومين عليهم السلام.

ومن الخطأ أنّ تفسّر النورية واشتقاق الأنوار على المعنى الشرفي، بل هو بيان لعظمة الخلقة وعظمة الكمال، ومن ثمّ عظمة درجة الحجّة، وعظمة التمثيل لدور القدوة والأسوة، ومنه تبني خريطة كلّ جوانب الكمال، بمعنى أنّ الزهراء عليها السلام تسبق أولادها على كلّ صعيد، فعلمها يكبر علمهم، ومقامها فوق مقامهم، وهكذا في بقية الكمالات تنصدر موقع الأصل والمعصومون من أولادها في موقع الفرع.

وقد أثبت في غير واحدة من الروايات لفاطمة عليها السلام مقام الوساطة العلمية الغيبية بين غيب

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي ٢٥ / ٦.

الغيوب والأئمة المعصومين عليهم السلام ، وتلك الوساطة تطبق من تطبيقات تَقَدَّم خَلْقُهَا النورية التي ذكرت في روايات مستفيضة عند الفريقين.

والمتبع لأوصافها عليها السلام التي وصفها بها النبي صلى الله عليه وآله يلحظ أنها أوصاف يؤيد بعضها البعض الآخر، ومن أوصافها الوحيانية التي تقرب من معنى ما نحن فيه وصف «أم أبيها» الذي ورد على لسان النبي صلى الله عليه وآله.

فقد روى في المناقب عن كثير بن يزيد عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: «كنية فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أم أبيها»^(١).

وهو وصف ينطوي على عدة معاني وتفسيرات:

أحدها: أنها سيدة الأمة أو سيدة نساء الأمة أو سيدة نساء العالمين.

والآخر: يفهم من تفسير معنى «الأم» وهو الأصل، فقد سميت الأم إماً لأنها أصل الأولاد فيكون معنى «أم أبيها» أنها هي الأصل لوالدها رسول الله.

وبالمعنى العرفاني الفلسفي اشتقاق وتنزل وجود رسول الله من وجودها عليها السلام وهذا لا يعني التدافع مع ما مر من اشتقاق وجودها من وجود النبي، إذ هو اشتقاق طبقتها النورية من طبقتها النورية أما الآخر فهو اشتقاق وخلق النبي بطبقته البدنية من طبقتها النورية.

والثالث: يعرف بالمقايسة بين وصفها بأم أبيها على لسان النبي صلى الله عليه وآله وبين وصف القرآن

(١) مناقب علي بن أبي طالب، ابن المغازلي، ٢٦٧.

لنساء النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَمَهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾^(١).

فَقَدْ فَسَّرَتْ أُمُومَتُهُنَّ لِلْمُؤْمِنِينَ بِحَرَمَةِ زَوْجِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُنَّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ

لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبْدًا﴾^(٢).

وَلَيْسَ فِي الْآيَةِ مَا يُدَلُّ عَلَى الْمَعْنَى التَّشْرِيفِي وَالتَّكْرِيمِي، لِأَنَّ التَّشْرِيفَ وَالِاحْتِرَامَ لَهُنَّ

مَشْرُوطٌ بِالتَّقْوَى وَدَرَجَاتِهَا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ

فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾^(٣).

وَمَعَ سَقُوطِ هَذَا الشَّرْطِ لَا يَكُونُ لَهُنَّ أَيُّ فَضْلٍ عَلَى الْآخَرِينَ، وَكَمْ فَرْقٌ بَيْنَ تِلْكَ الْأُمُومَةِ بِمَا

لَهَا مِنْ مَعْنَى مَبِينٍ فِي الْقُرْآنِ وَبَيْنَ أُمُومَةِ فَاطِمَةَ عليها السلام لِأَبِيهَا، بَيْنَمَا هُنَاكَ أُمُومَةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، فَمَا هُوَ

الْمَقْصُودُ مِنْ أُمِّ أَبِيهَا؟

يَتَوَقَّفُ مَعْرِفَةٌ وَاحِدٌ مِنْ أَعْمَقِ مَعَانِي وَصْفِهَا «أُمُّ أَبِيهَا» عَلَى إِيضَاحِ مَقْدَمَةِ مَعْرِفَةٍ مَجْهُولَةٌ

وَهِيَ كَوْنُ أَنْوَارِهِمْ فِي الْعَوَالِمِ الْعُلُويَّةِ عَلَى طَبَقَاتٍ وَلَيْسَ عَلَى طَبَقَةٍ وَاحِدَةٍ، فَطَبَقَةٌ مِنْ نُورِ النَّبِيِّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هِيَ الْأَسَاسُ فِي اشْتِقَاقِ نُورِ عَلِيِّ وَالزَّهْرَاءِ عليهما السلام وَالْمَعْصُومِينَ عليهم السلام، وَتِلْكَ الطَّبَقَةُ هِيَ

الْأَسَاسُ لِاشْتِقَاقِ نُورِ النَّبِيِّ فِي طَبَقَةٍ نُورِيَّةٍ أَدُونِ.

وَمِنْهُ يَكُونُ مَعْنَى «أُمُّ أَبِيهَا» أَنَّ فَاطِمَةَ عليها السلام فِي طَبَقَةٍ نُورِيَّةٍ مِنْ وَجُودِهَا يَشْتَقُ مِنْهَا نُورُ

النَّبِيِّ وَنُورِ عَلِيِّ عليه السلام بِمَا تَدْفَعُ وَلَا تَهَافُتُ لِحِفْظِ الرِّتْبَةِ النُّورِيَّةِ وَاخْتِلَافِهَا شِدَّةً وَضَعْفًا.

(١) سورة الأحزاب: الآية ٦.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٥٣.

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٣٢.

وَلَعَلَّ هَذَا هُوَ أَحَدُ مَعَانِي مَا وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «عَلِيٌّ مِنِّي وَأَنَا مِنْ عَلِيٍّ»^(١).

وَفِي الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «حَسَنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حَسَنِ»^(٢).

وَمَا يَشْهَدُ عَلَى طَبَقَاتِ الْأَنْوَارِ مَا وَرَدَ مَرَّةً مِنْ كَوْنِ نُورِهِمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَمَرَّةً تَحْتَ

الْعَرْشِ .

(١) الأُمالي، الشيخ الصدوق ٥٧، ٥٨.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي ٤٣، ٣٠٦.

(٣) كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه ١١٦.



المقالة الرابعة: الزهراء عليها السلام بضعة روح الوجود

* أنحاء القرابة والقربى.

* إجمال مقامات فاطمة عليها السلام في كتب المتكلمين

أنحاء القربى:

مما يؤسف له هُوَ اعتقاد كثير من المسلمين أَنَّ كُلَّ الشَّانِ فِي خصوصية أهل البيت عليهم السلام كونهم قربى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمعنى القربى الطينية والتوالد البدني والنسب الدموي والنسبة الجسدية، لكنه وَإِنْ كَانَ هَذَا النوع مِنَ الصلة ذا شَأْنٍ إِلَّا أَنْ جَلَّ مراتب الشَّانِ فيهم في وادٍ آخر يُعَبَّرُ عنه بالقربى النورية والتوالد المعنوي والنسبة الروحية.

وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّ قَرْبَى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنوان يشير إلى الصلة النورية والتي هي أصل الصلة

البدنية.

والقربى الدينية المعنوية موازية للقربى الاصطفائية، أَيَّ أَنَّهُ اصطفاهم بَعْدَ اصطفاء

النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أساس قويم هُوَ صلتهم ووصالهم الروحي الدِّينِي مِنْهُ، وَلَيْسَ عَلَى أساس مجرد

قرباهم مِنْ بدنه.

ومقام فاطمة عليها السلام مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا أَنَّهُ مقام متقدم ورايط لغيرها بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى

مستوى القربى البدنية، فكذلك لها مقام متقدم بالنبي ' على مستوى القربى الدينية الاصطفائية.

ومما يشهد على موقعها الرائد والمتقدم في دائرة القربى الدينية قوله عليها السلام «فاطمة بضعة مني»^(١).

وَقَدْ شَطَّ وجاوز الحقيقة مَنْ فَسَّرَ عنوان «بضعة النبوة» بالبضع البدني، وكذا مِنْ حمل معنى البضعية على صرف الحنان الأبوي العاطفي وقرأها قراءة ساذجة وهابطة، بَلْ إِنَّ عنوان البضعة خصوصاً مَعَ ما تلاها مِنْ قول النَّبِيِّ عليه السلام: «هِيَ رُوحِي الَّتِي بَيْنَ جَنْبِي»^(٢) فيه دلالة صريحة على كونها بيانا نوريا دينيا أديانيا.

وَقَدْ أَجَادَ الأَلُوسِي فِي تَفْسِيرِهِ رُوحَ المَعَانِي تَحْتَ السُّؤَالِ الَّتِي مَفَادُهُ: هَلْ فَاطِمَةُ أَفْضَلُ أم عَائِشَةُ؟

فَأَجَابَ: «والذي أميل إليه أن فاطمة البتول أفضل النساء المتقدمات والمتأخرات من حيث إنها بضعة رسول الله عليه السلام... إذ البضعية من روح الوجود وسيد كل موجود لا أراها تقابل بشيء، وأين الثريا من يد المتناول، ومن هنا يعلم أفضليتها على عائشة رضي الله تعالى»^(٣).

ولا يفوتنا تسجيل فائدة معرفية لطيفة، وفيها جواب على سؤال مقدر وهو: لَمْ لَا تحمل البضعية الواردة في أحاديث النبي عليه السلام على البضعية البدنية وكونها قطعة من جسده

(١) الأملاني، الشيخ الصدوق ١٦٥.

(٢) الأملاني، الشيخ الصدوق ١٧٥.

(٣) تفسير الألويسي، الألويسي ١٥٥ / ٣.

الشريف؟

ف نقول: إِنَّهُ كَلَّمَا وَرَدَتْ كَلِمَةُ «مَنِي» عَلَى لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي التَّعْرِيفِ بِوَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَمَعْنَاهَا الْإِشْتِقَاقُ النَّوْرِي، وَهَذَا الْإِسْتِظْهَارُ يُؤَيِّدُ بِالتَّأَمُّلِ فِي تِلْكَ الرِّوَايَاتِ الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا لَفْظَةُ «مَنِي» جَمِيعاً، لِتَبَيُّنِ أَنَّهَا تَتَوَافَقُ فِي الْإِفْصَاحِ عَنِ ذَلِكَ الْمَعْنَى النَّوْرِي.

وَقَدْ وَقَعَ الْعَدِيدُ مِنَ الْبَاحِثِينَ فِي الشَّبَهَةِ وَالْإِشْكَالِ عِنْدَ تَحْلِيلِ تِلْكَ الرِّوَايَاتِ لَغْفَلَتَهُمْ عَنِ الْمَقَامِ النَّوْرِيِّ الَّذِي تُشِيرُ إِلَيْهِ لَفْظَةُ «مَنِي».

وَفِيهَا نَحْنُ فِيهِ يَكُونُ مَعْنَى «بُضْعَةُ مَنِي» نَظِيرَ قَوْلِهِ ﷺ: «حَسِينٌ مَنِيٌّ» وَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «لَا يَبْلُغُ عَنْكَ إِلَّا أَنْتَ أَوْ رَجُلٌ مِنْكَ».

هَذَا مُضَافاً إِلَى أَنَّ حَمْلَ الْبُضْعِيَّةِ عَلَى مَعْنَى التَّوَالِدِ الْبَدَنِيِّ لِفَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيهِ تَسْطِيحٌ لِلْمَعْنَى وَبَيَانٌ لِلْوَضُوحَاتِ مَعَ عَدَمِ وَجُودِ شَبَهَةِ نَفْيِ الصَّلَةِ بَيْنَهُمَا مِنْ أَحَدٍ، فَلَا مَوْجِبَ لِتَأْكِدِهَا وَبَيَانِهَا حِينَئِذٍ.

إجمال مقامات فاطمة عليها السلام في كتب المتكلمين:

وَقَدْ يَنْكُرُ عَلَيْنَا الْبَعْضُ فَيَقُولُ: مِنْ أَيْنَ لَكُمْ أَنْ تَنْسُبُوا لِفَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ مَوْقِعاً نَوْرِيّاً قَرْبَوِيّاً اسْتِثْنَائِيّاً مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي حِينِ أَنَّ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي كُتُبِهِمُ الْكَلَامِيَّةِ وَالْفَلَسَافَةُ فِي أبحاثِهِمُ الْعَقْلِيَّةِ لَمْ يَشِيرُوا إِلَى ذَلِكَ الْمَقَامِ الْإِعْتِقَادِيِّ لَهَا؟

وَفِي الْجَوَابِ نَبَّهَ عَلَيَّ عِدَّةُ نِقَاطٍ مُهِمَّةٍ يَحْسُنُ أَنْ تَكَرَّرَ فِي ثَنَائِهَا الْبَحْثُ بِصِيَغَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ:

أَوَّلًا: إِنَّ أَصْلَ الدِّينِ وَمَقَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ الْإِعْتِقَادِيَّةِ مُودَعٌ فِي الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ، وَمَا كُتِبَ

المتكلمين إِلَّا نَتَاجَ بَشَرِيٍّ فِيهِ اسْتِفَادَاتٌ مِنَ الْوَحْيِ، لَكِنَّهُ لَيْسَ الْوَحْيُ الْمَقْدَسُ بَعِينَهُ.

ولذا تعارف بين أهل التحقيق قولهم «كم ترك الأول للآخر» ومقصودهم أن الفهم البشري وإن واكب بعض حقائق الوحي إلا أن غفلاته عن الحقائق كثير.

ثانياً: لم نحصر المقامات الاعتقادية فيما أثبتته المتكلمون في كتبهم!!

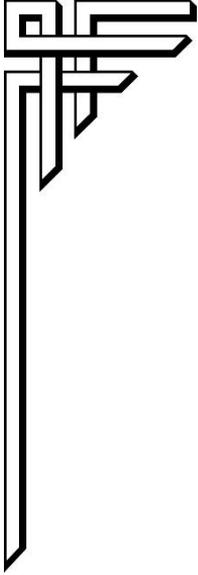
أليس في هذا إغفال لمشارب ومدارس العلوم الأخرى ذات المكانة الرفيعة مثل مدرسة التفسير والحديث وغيرها!!

وَهَلْ يَظُنُّ مَنْ يَتَحَرَّى مِظَانَ الْحَقِيقَةِ أَنَّ بِالْإِمْكَانِ الْوُقُوفَ عَلَيْهَا بِقِرَاءَةِ صِنْفٍ وَاحِدٍ مِنَ الْكُتُبِ وَالْمَوْالِفَاتِ.

ثالثاً: يتعصب الكثير لعلم الفلسفة والمعقول وينكرون أي حقيقة لم يُشر إليها الفلاسفة، بيد أن هذا التعصب للفلسفة مخالف لشعار الفلسفة والفلاسفة أنفسهم في نبذ التعصب، فإن الفلسفة قائمة على التحقيق والاجتهاد بلا وقوف ولا تلاكاً.

وَلَيْسَ لِلتَّقْلِيدِ قَدَمٌ وَلَا أَثَرٌ فِي حَقْلِ الْفَلَسَفَةِ، بَلْ الْمَدَارُ عَلَى تَحْرِي الدَّلِيلِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ سُوءِ الْأَدَبِ وَالتَّطَاوُلِ مَنَاقِشَةُ الْكِبَارِ وَنَقْدُ جُهُودِهِمُ الْعِلْمِيَّةِ بِفَتْحِ الْحَوَارِ الْعِلْمِيِّ فِي آثَارِهِمْ وَنَتَائِجِهِمْ، فَإِنَّ الْإِحْتِرَامَ وَالتَّوْقِيرَ لَهُمْ شَيْءٌ وَالبَحْثُ الْعِلْمِيُّ لِمِظَانِ الْحَقِيقَةِ شَيْءٌ آخَرٌ.

فلو رأى أجيال الفلاسفة أن في التحقيق لتتأجج من سبقهم سوء أدب ومن ثم أحجموا عن التفكير فيها وأخذوها أخذ المسلمات لما وصل الفكر الفلسفي لما هو عليه أخيراً من الانبساط والتوسع.



المقالة الخامسة: مقام المحدثّة

- ١ -

* المقامات الاصفائية في القرآن.

* المحدثّة وسام إلهي عظيم لفاطمة.

* فاطمة عليها السلام محدثة من الملائكة والرُّوح الأُمري.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾^(١).

وَقَدْ وَرَدَ فِي قِرَاءَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عليهم السلام وَهِيَ قِرَاءَةٌ مَعْرُوفَةٌ فِي الْقِرَاءَاتِ الْمَشْهُورَةِ أَنَّ الْآيَةَ بِهَذَا النِّحْوِ «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ وَلَا مُحَدِّثٍ» فَقَدْ رَوَى عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله أَصَابَهُ خِصَاصَةٌ فَجَاءَ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ لَهُ: هَلْ عِنْدَكَ مِنْ طَعَامٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ وَذَبِخْ لَهُ عِنَاقًا وَشِوَاهُ فَلَمَّا أَدْنَاهُ مِنْهُ تَمَنَّى رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله أَنْ يَكُونَ مَعَهُ عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَالحَسَنُ وَالحُسَيْنُ عليهم السلام فَجَاءَ مُنَافِقَانِ ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ بَعْدَهُمَا فَأَنْزَلَ اللهُ

فِي ذَلِكَ: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ وَلَا مُحَدِّثٍ»^(١).

وَلَا صِلَةَ لِهَذِهِ الْقِرَاءَةِ بِالتَّحْرِيفِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بَلْ هِيَ قِرَاءَةٌ مِنَ الْقِرَاءَاتِ، وَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهَا الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، بَلْ وَاعْتَرَفَ بِهَا الْمُحَدِّثُونَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ عَلَى أَنَّهَا إِحْدَى الْقِرَاءَاتِ الْمَعْتَبَرَةِ.

وَقَدْ بَحَثْنَا فِي مَحَلِّهِ فِي الْوُثَاقِ وَالْمَصَادِرِ الدَّالَّةِ عَلَى صِحَّةِ هَذِهِ الْقِرَاءَةِ وَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّهَا مَذْكُورَةٌ فِي شُرُوحِ الْبُخَارِيِّ وَكَذَا شُرُوحِ مُسْلِمٍ وَشُرُوحِ الصَّحَّاحِ الْآخَرَى.

فَكُونُهَا قِرَاءَةً مِنَ الْقِرَاءَاتِ أَمْرٌ مَفْرُوعٌ مِنْهُ، وَطَبَقًا لَهَا يَثْبُتُ أَنَّ مَقَامَ الْمُحَدِّثِ مَقَامٌ لَدُنِي مِنْ اللَّهِ وَهُوَ مَغَايِرٌ لِمَقَامِ النَّبِيِّ وَمَغَايِرٌ كَذَلِكَ لِمَقَامِ الرَّسَالَةِ.

الْمَقَامَاتُ الْإِصْطِفَائِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ:

وَقَدْ ذَكَرْتُ آيَاتٍ قُرْآنِيَّةً أُخْرَى عَلَى وُجُودِ مَقَامَاتِ إِصْطِفَائِيَّةٍ لَدُنِيَّةٍ أُخْرَى لَيْسَتْ بِنَبِيَّةٍ وَلَيْسَتْ بِرِسَالَةٍ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾^(٢).

فَلَمْ يَقُلْ نَبِيًّا وَلَا رَسُولًا وَإِنَّمَا مَلِكًا، أَيَّ أَنَّ اللَّهَ إِصْطَفَاهُ بِإِصْطِفَاءِ لَيْسَ هُوَ عَلَى حَدِّ إِصْطِفَاءِ النَّبِيِّ، وَبَعَثَهُ بِعَثَةِ لَيْسَتْ هِيَ عَلَى حَدِّ الرَّسَالَةِ، وَإِنَّمَا بَعَثَهُ مَلِكًا إِمَامًا لِتَدْبِيرِ الْأُمُورِ، حَيْثُ إِنَّ بَعَثَتَهُ كَانَتْ جَوَابًا عَنْ طَلِبِهِمْ لَمَّا طَلَبُوا مِنَ اللَّهِ: ﴿إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ هُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٣).

(١) تفسير القمي، علي بن ابراهيم القمي ٢ / ٨٦.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٤٧.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٤٦.

وَهَذَا يَنَاسِبُ مَقَامَ الْقِيَادَةِ، وَالْقِيَادَةُ هِيَ الْإِمَامَةُ، وَجَعَلَ آيَةَ مُلْكِهِ وَمُلْكُ إِمَامَتِهِ أَنْ يَأْتِيَ بِمَعْجَزَةٍ وَدَلِيلٍ بَرَهَانِي غَيْبِي إلهي عَلَى إِمَامَتِهِ، وَفِيهِ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمُ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(١).

فَتَلَخَّصْ أَنْ الْإِرْسَالَ فِي مَنْظُومَةِ السَّيِّءِ لَا يَقْتَصِرُ عَلَى النَّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ، وَقَدْ دَلَّتْ الْآيَاتُ فِي قَالِبٍ وَحِيَانِي آخَرَ عَلَى اتِّحَادِ بَعْثَةِ الْقِيَادَةِ وَبَعْثَةِ الْمُلْكِ مَعَ بَعْثَةِ الْإِمَامَةِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾^(٢)، وَالْمُلْكُ هُوَ مَلِكٌ تَدْبِيرِ الْأُمُورِ وَهُوَ تَعْبِيرٌ آخَرَ عَنْ وِلَايَةِ الْأَمْرِ.

وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي بَحْثِ قَوَاعِدِ التَّفْسِيرِ أَحَدَى آيَاتِ اعْتِمَادِ قِرَاءَةِ مِنَ الْقِرَاءَاتِ وَالْإِيقَانِ بِصِحَّتِهَا، وَهُوَ تَطَابُقُ تِلْكَ الْقِرَاءَةِ لِمَحْكَمَاتِ قِرْآئِيَّةٍ أُخْرَى، وَهَذَا الْمَعْيَارُ وَالْآلِيَّةُ يَنْطَبِقُ فِي مَوْرَدِنَا فَإِنَّ قِرَاءَةَ الْآيَةِ مَوْضِعَ الْبَحْثِ بِهَذِهِ الصُّورَةِ «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ وَلَا مَحْدُثٍ»^(٣) مَتَطَابَقُ مَعَ مَا فِي آيَةِ سُورَةِ الْبَقْرَةِ وَآيَةِ سُورَةِ النَّسَاءِ، وَكَذَلِكَ مَعَ آيَاتِ سُورِ أُخْرَى.

وَمِنْ الْجَدِيرِ بِالذِّكْرِ أَنَّ الْمَذْهَبَ الْوَحِيدَ الَّذِي تَرْجَمُ هَذِهِ الْعَقِيدَةَ الْأَصِيلَةَ الْقِرْآئِيَّةَ هُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ دُونَ بَقِيَّةِ مَذَاهِبِ الْمُسْلِمِينَ.

(١) سُورَةُ الْبَقْرَةِ: الْآيَةُ ٢٤٨.

(٢) سُورَةُ النَّسَاءِ: الْآيَةُ ٥٤.

(٣) تَفْسِيرُ الْقَمِي، عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْقَمِي ٢ / ٨٦.

المحدثة وسام إلهي عظيم لفاطمة عليها السلام:

وَقَدْ حبا الله فاطمة عليها السلام بوسام عظيم لكنّه مغاير لوسام الرسالة ووسام النبوة ووسام الإمامة فدلت الأدلة على أنّ أحد ألقابها هو أنّها عليها السلام (محدثة).

ومضافا إلى أنه قد ثبت لها بالروايات عنوان المحدثّة، فقد ثبت لها بالآيات روح هذا العنوان ولبه وإن لم يعنون بنفس الألفاظ، بل دلت على أنّها محدثة ممن هو أعظم من جبرائيل. وهذا أحد الشواهد على علو مقامها على مقام مريم، فإن مريم محدثة من جبرائيل أو من طبقات أخرى من الملائكة بنص القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾^(١).

وأما فاطمة عليها السلام فهي محدثة وبنص الأدلة تارة من قبل الملائكة وتارة من قبل جبرائيل وأخرى من قبل ممن هو أعظم من جبرائيل.

فإن قلت: وأين ذلك النص في القرآن؟

وجوابه أن القرآن قد رسم في آياته ذلك المقام لفاطمة عليها السلام بوضوح، لكن يتوقف فهمه على ضم مجموعة نصوص قرآنية بعضها لبعض تتألف في تكوين مضمون واحد.

(١) فقد دلت الآيات في سورة الواقعة ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾^(٢) على وجود جانب غيبي للقرآن، بل على مقامات ومنازل غيبية له لا ينالها إلا المطهرون.

(١) سورة آل عمران: الآية ٤٢.

(٢) سورة الواقعة: الآية ٧٧-٧٩.

(٢) وَدَلَّتْ عَلَى ذَلِكَ سُورَةُ الشُّورَى فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا مَّهْدِيًّا بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(١) والموجود المعبر عنه «بالروح» أعظم من جبرائيل، لأنَّ القرآن لم يصف جبرائيل أنَّه من عالم الأمر وهو عالم كُنْ فيكون.

(٣) وَأَنْبَأَتْ سُورَةُ النَّحْلِ أَنَّ جِبْرَائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَعْرِجُ وَيَنْزِلُ بِالرُّوحِ الْأَمْرِيِّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾^(٢) ، والملائكة عنوان عام يدخل فيه جبرائيل، بل يعم إسرئيل أيضاً.

(٤) وَإِنَّ هَذَا الرُّوحَ الْأَمْرِي الَّذِي بِهِ اقْتَدَارُ إِسْرَافِيلَ وَجِبْرَائِيلَ وَعِزْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَكَرَهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فِي سُورَةِ الشُّورَى بِوَصْفِ أَنَّهُ حَقِيقَةُ الْقُرْآنِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾.

فالموحى لَيْسَ هُوَ مُجَرَّدُ كَلَامٍ وَقَوْلُ كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ مُجَرَّدُ طَرْدٍ بَرِيدِيٍّ، بَلْ هُوَ رُوحَ أَمْرِي أَوْدَعِ فِي ذَاتِ المَوْحَى إِلَيْهِ.

ولو قلت ما هُوَ الدَّلِيلُ عَلَى كَوْنِ المَوْحَى هُوَ نَفْسُ الرُّوحِ الْأَمْرِيِّ؟

فجوابه فِي نَفْسِ الآيَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا مَّهْدِيًّا بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا

(١) سورة الشورى: الآية ٥٢.

(٢) سورة النحل: الآية ٢.

وَأِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠﴾

إذ مفادها أَنَّ ذَلِكَ الرُّوحَ هُوَ عَيْنُ الْكِتَابِ وَإِلَّا لَا يَكُونُ فِي صَلَةِ وَلَا ارْتِبَاطٍ بَيْنَ مَقْطَعِ ﴿أَوْ حِينًا إِلَيْكَ رُوحًا﴾ وَمَقْطَعِ ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ﴾.

وَفِي الْمَقْطَعِ الْأَخِيرِ ﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا﴾ وَصَفَ لِلرُّوحِ الْأَمْرِيِّ بِأَنَّهُ مِنْ عَالَمِ النُّورِ وَكَيَسَ مِنْ عَالَمِ الْخَلْقِ، وَهُوَ نَفْسُهُ الْمَشَارِإِلَيْهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(١).

وَهَذَا الْوَصْفُ لِلرُّوحِ لَمْ يَوْصَفْ بِهِ جِبْرَائِيلُ فِي الْقُرْآنِ فَلَمْ يَنْزَلْ جِبْرَائِيلُ مِنْ عَالَمِ النُّورِ.

(٥) وَإِذَا تَنَقَّحَ هَذَا الْمَطْلَبُ الْقُرْآنِيُّ كَمَقْدَمَةٍ لِمَا نَحْنُ فِيهِ فَإِنَّ الْفَصْلَ الثَّانِيَّ فِي خَرِيْطَةِ الْقُرْآنِ هُوَ مَا أُشِيرَ إِلَيْهِ فِي الْآيَاتِ مِنْ أَنَّ فَاطِمَةَ عليها السلام مِنْ أَهْلِ آيَةِ التَّطْهِيرِ وَهُوَ مَا يَعْتَقَدُ بِهِ كَافَّةُ الْمُسْلِمِينَ ضَرُورَةً.

(٦) فَتَكُونُ النَّتِيْجَةُ أَنَّهَا مِمَّنْ يَنْالُ وَيَخْصُ بِذَلِكَ النُّورَ وَالرُّوحَ الْأَمْرِيَّ، أَيَّ أَنَّهَا تَحِيْطُ عِلْمًا بِالْكِتَابِ النَّوْرِيِّ، وَهَذَا هُوَ لُبُّ وَبَابُ مَقَامِ الْمَحْدَثَةِ.

فاطمة عليها السلام محدثة من الملائكة والروح الأمري:

يَبَيِّنُ الْقُرْآنُ نَزُولَ لِيَايَاتِهِ؛ الْأَوَّلُ نَزُولُ وَهُوَ شَأْنُ جِبْرَائِيلَ الَّذِي كَانَ يَنْزِلُ

(١) سورة الشورى: الآية ٥٢.

(٢) سورة التغابن: الآية ٨.

بالكلمات والأصوات والمعاني وعبر عنه بالنزول النجومي، وكانت بدايته في السابع والعشرين من رجب.

ومعنى مصطلح نجومي هو المؤقت كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾^(١) فيعبر عن أحد مراتبه النازلة بالقول.

والآخر نزول دفعي عالي.

والقرآن خلافاً للمفسرين من الفريقين لا يطلق على الدفعي العالي مصطلح النزول، وتسمية المفسرين له بالنزول من الخطأ، لأنه ليس من النازل، بل يسميه القرآن في سورة الشورى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٢)، فعبر بـ «أوحينا» وليس أنزلنا.

ولذا لا يعبر عنه لانزول ولا تنزيل.

وهذا الأخير الذي نعبر عنه بالنزول مسامحة هو أعظم من جبرائيل والملائكة عليهم السلام، وقد نالته البضعة الطاهرة عليهم السلام، فكانت بذلك محدثة.

وهذا لا ينفي كونها عليهم السلام محدثة بالمقام النازل من جبرائيل وإسرافيل، بل دلت النصوص المعتمدة لدينا أن إسرافيل آتاها بعد شهادة المصطفى ورحيله عليه السلام إلى الرفيق الأعلى ومعه جملة من الملائكة في ليلة وهي تتهجد إلى الله ولم يقطعوا عليها وردها ثم حدثها بقسم من

(١) سورة الحاقة: الآية ٤٠.

(٢) سورة الشورى: الآية ٥٢.

المصحف وَهُوَ المرتبة النازلة مِنْ مقام المحدثة والمرتبة الصاعدة مِنْهُ هُوَ تحديث الرُّوح الأُمري.

بَلْ وَرَدَ فِي بَعْضِ الروايات أَنَّ لفاطمة عليها السلام النصب الأعلَى مِنَ الرُّوح الأُمري بَعْدَ علي عليه السلام ولذا سُميت بليلة القدر لِأَنَّ مدار ليلة القدر هُوَ الرُّوح المنزل فيها.

وَإِذَا رَمْنَا أَنْ نَسْتَوْضِحَ هَذَا المَقام الخَظير لفاطمة عليها السلام فثمة باب رسمه لنا القُرآن فِي قصة مريم، والغوص فيه يفتح الطريق لمعرفة ذَلِكَ المَقام الخَظير فِي فاطمة عليها السلام.

فَقَدْ بَيَّنَّ القُرآنُ أَنَّ مريمَ مَحْدَثةٌ فِي قولهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ ^(١) فَهِيَ مَحْدَثةٌ مَعَ أَنَّهَا ليست بنبوة ومحدثها الملائكة وجبرائيل.

وبذلك يثبت أَنَّ مريمَ عليها السلام ما كانت تتلقى ما تتلقاه مِنْ أمر إلهي وبيان رباني عبر لسان النَّبِيِّ زكريا عليه السلام والصلة البدنية به، وَإِنَّهَا مضافاً إِلَى ذَلِكَ تتلقى مَبْأَسرةً مِنَ الملائكة وَمِنْ جبرائيل عليه السلام.

وَلَقَدْ أَفَاضَ القُرآنُ فِي بيان تفاصيل تحديث الملائكة لمريم وَأَنَّه جَرى ذَلِكَ مرات ومرات وَلَيْسَ مَرَّةً واحدة.

هَذَا مضافاً إِلَى أَنَّهَا كانت تتجاوب مَعَ مَنْ يحدثها، أَيَّ كَانَ التفاعل مِنَ الطرفين إلقاءً وسؤالاً وجواباً، ففي سورة آل عمران بيان أَنَّ تحديثها بدأ مِنْ بشارَةِ الله لها بكلمته فِي قولهِ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ

(١) سورة آل عمران: الآية ٤٢.

مَرِيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١٦﴾، ونلاحظ أنَّ هَذِهِ البشارة الملكوتية مِنْ الله مَعَ كونها كَذَلِكَ لَكِنَّهَا تشتمل عَلَى مأمورية إلهية خطيرة وَعَلَى دور عظيم عَصِيب قَدْ أوكل إِلَى مريم، وَمِنْ شأنه أَنْ تتزلزل فِيهِ الأقدام وتخار دونه العزائم.

وفي سورة مريم يقول تَعَالَى: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُنْ بِبَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئْ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾.

وفي المقطع الأخير مِنْ الآيات يذكرها الملك بقول الله لها سابقاً.

وتشير الآيات إِلَى تحديث آخر لها لما رفعت حملها فِي قوله تَعَالَى: ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا مَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٢﴾ وَهَٰؤُلَاءِ بِذُنُوبِكُمْ إِنَّا جَاعِلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ فَتَبَيَّنَ أَنَّ العباء الكبير الذي تتطلبه حصول البعثة الجديدة لنبي مِنْ أولي العزم كله قَدْ وقع عَلَى مريم وَلَمْ يقع عَلَى زكريا وَلَا عَلَى يحيى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

(١) سورة آل عمران: الآية ٤٥.

(٢) سورة مريم: الآية ١٧-٢١.

(٣) سورة مريم: الآية ٢٤-٢٦.

وَأَنَّ أَوَّلَ مَنْ تَحَمَّلَ مَسْئُولِيَةَ الْإِعْلَانِ الْإِلَهِيِّ عَنْ بَدْءِ نُبُوَّةِ نَاسِخَةِ لِشَرِيعَةِ سَابِقَةٍ وَفِي ظِلِّ دَجَلٍ وَعَقْدِ بَنِي إِسْرَائِيلَ هِيَ مَرْيَمُ وَكَيْسَ غَيْرَهَا، وَأَنَّ الَّتِي خَاطَرَتْ بِشَرَفِهَا وَعَرَضَهَا لِلْإِعْلَانِ عَنْ سَطْوَعِ بَرَهَانَ نَوْرِ النُّبُوَّةِ الْجَدِيدَةِ وَكَابَدَتْ فِي جِهَادٍ قَلَّ نَظِيرُهُ وَكَثُرَتْ تَبْعَاتُهُ هِيَ مَرْيَمُ، وَلَمْ يَكُنْ إِيفَاؤُهَا بِتِلْكَ الْمَأْمُورِيَةِ بِتَوَسُّطِ بَدَنِ زَكْرِيَّا وَلَا بُوْحِي أَتَاهَا عَنْ لِسَانِهِ.

وَفِي ذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَكُلِّي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنَّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾^(١) أَي أَفْصَحِي عَنْ وُجُودِ أَمْرٍ وَمَأْمُورِيَةٍ، وَتِلْكَ الْمَأْمُورِيَةُ غَيْرُ مَرْتَبُطَةٍ بِفُرُوعِ الدِّينِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا * يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا * فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا *﴾^(٢)، فَالْمَأْمُورِيَةُ مَرْتَبُطَةٌ بِأَصْلِ مُتَقَدِّمٍ فِي مَنْظُومَةِ أَصُولِ الدِّينِ وَهُوَ النُّبُوَّةُ.

وَتَشِيرُ الْآيَاتُ إِلَى وُجُودِ مَا يَشْبَهُ التَّوَاتُطُّعَ وَتَكَامُلَ الْأَدْوَارِ وَوُجُودِ نَوْعٍ مِنَ النِّظْمِ وَالْبَرْمَجَةِ فِي الْمَسْئُولِيَةِ، حَيْثُ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا *﴾^(٣)، أَي اسْتَنْطَقُوهُ عَنْ دَوْرِهِ وَعَنْ مَأْمُورِيَتِهِ الْإِلَهِيَّةِ.

بَلْ كَانَتْ الْمَأْمُورِيَةُ الْإِلَهِيَّةُ عَلَى مَرْيَمَ ضَخْمَةً وَمَعْقَدَةً، بِحَيْثُ أَنَّ مَا تَقُومُ بِهِ لَمْ يَكُنْ

(١) سورة مريم: الآية ٢٦.

(٢) سورة مريم: الآية ٢٧-٣٠.

(٣) سورة مريم: الآية ٢٩.

مرتبلاً بفروع الدين ولا مرتبلاً بأصول الدين فحسب، بل أوكل إليها تدشين وتأسيس نبوة نبي من أولي العزم ناسخة لشريعة النبي موسى ﷺ.

وللباحث ها هنا أن يتصور حجم المرارة التي ستكابدها مريم جراء إعلانها عن تلك المأمورية، فمن جهة كان أول من أعلن عن الأمر الإلهي الجديد هي مريم المرأة، ومن جهة كان المعلن إليهم والمكلف بالتحول من شريعة إلى شريعة هم بنو إسرائيل الذين قص لنا القرآن في سورة البقرة عن لجاجهم وحجاجهم للساحة الربوبية في أكثر من تشريع وأكثر من تكليف، وقص علينا كذلك إجهادهم للأنبياء السابقين من يعقوب إلى يوسف ثم موسى وهارون وزكريا ويحيى عليهم السلام، وكذا أنبياء عديدون قد نالهم الإعياء والإجهاد جراء تكليفهم بهداية بني إسرائيل.

ومنه يتبين ما يمكن أن ينال مريم منهم، ومع كل ذلك كانت هي المأمورة بالخطاب الإلهي المباشر أن تكون واسطة بين شريعتين.

ونفس جعل المأمورية على عاتق مريم يشهد بها لها من مقام وسؤدد، حيث كانت حلقة رابطة وناقلة للبشر من نبوة موسى إلى نبوة عيسى في حين أنه لم يוכל ذلك الدور لزكريا أو يحيى أو غيرهما من الأنبياء عليهم السلام.

وقد اعتقد بنو إسرائيل أن العدوان على مريم كان سهلاً لكونها امرأة وغير موصوفة بنبوة ولا برسالة، فكان خطابهم كما حكاها القرآن في قوله تعالى: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأً سَوْءٌ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾^(١).

وفي هذا اللسان تعد صارخ وإعدام للشخصية، وكم في المرأة من نقاط تغري عدوها بالعدوان والعتو والطغيان عليهما، ومع كل ذلك تختارها السماء لهذا الدور العصيب، وكأنه إفصاح عن عدم صلاحية أحد من الرجال للقيام بهذه الوظيفة.

وَمِنْهُ نَدْرِكُ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾^(١) لَيْسَ هِبَةً مَجَانِيَةً وَإِنَّمَا فِي قِبَالِهَا امْتِحَانٌ عَصِيبٌ وَمَسْئُولِيَةٌ عَظِيمَةٌ كَانَتْ يُمْكِنُ أَنْ تَطِيحَ بِمَرْيَمَ وَتَصْنِفِي وَجُودِهَا بِمَنْطِقِ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

وما كان منها في مقابل تطلعهم لتصنيفتها وإعدامها جسدياً ومعنوياً إلا تطلعها لما هو أعظم من الدفاع عن وجودها الجسدي وموقعها المعنوي وهو استئصال كل مسارهم الضال والباطل وتبديل نسيج ديني متراكم.

وكم كان لها من همة ومغالبة لم يتجرأ عليها زرافات من الأنبياء عليهم السلام، فلم يتصد داود عليه السلام لنسخ شريعة موسى عليه السلام، ولم يتصد سليمان عليه السلام كذلك لنسخها، وما كان من المؤمل والخيال أن يجيد بنو إسرائيل عن شريعة النبي موسى عليه السلام، ولذا قتلوا كثيراً من الأنبياء وخونوهم واتهموهم بكونهم غير مأمونين على شريعة موسى وغير مؤتمرين بالتوراة مع أنهم كانوا من أتباع موسى عليه السلام ومنهاجهم التوراة.

لكن كل هذا المخزون من العناد واللجاج والغرور المعجون في هوية بني إسرائيل ينسخ أمدته وينتهي بقاءه على يد امرأة، فقد كان همتها وهمها استئصال الغي المتراكم فيهم، وكان همهم وهمتهم استئصال مريم وجودياً ومعنوياً.

وما مرَّ في الصورة القرآنية بكُلِّ حشياتها تحقق بما هو أعظم منها في دور لبوة النبوة
البضعة الطاهرة ﷺ، فقد كابدت:

أولاً: زلزال تصفية الرُّسول ﷺ ورأت سلسلة المؤامرات والتخطيطات ضد أبيها
جسدياً ومعنويًا، وهي تشبَّ في الشهر ما تشبَّ في السنَّة وبدأت عَلَيْهَا ملامح البلوغ في
السن وهي في سنيها المبكرة، ولم يكن ذلك من العتب والجفاف وإنما كان ذلك إعدادا لها
لإنجاز مأمورية عظيمة على وفق قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ
نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾^(١).

فمسؤوليتها الملقاة عليها مع أبيها وقبل زواجها تتطلب أن تشب سريعاً في كل
الجهات والنواحي لتكون سكنا وكهفا للنبي ﷺ سكن تدبير وعضيد مسؤولية.

ومن يقرأ مذكرات حياة الشخصيات ذات الطابع الأمني يدرك أن من ترتبط به من
النساء إذا لم تكن على مستوى من الوعي السياسي والأمني والوعي الاستراتيجي بدرجة
مناسبة لزوجها فإنها تكون الباب لاختراقه سياسيا وأمنيا لأن الشبكة العدوانية المناوئة له لن
توفر أي ثغرة يمكن منها اختراقه وافشال مهمته.

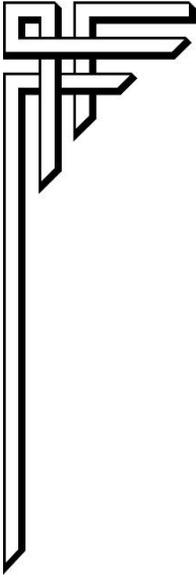
ولقد كانت البضعة الطاهرة ﷺ وفي ظل وجود والدتها خديجة راعية للنبي على
مستوى يكبر ويغايير رعاية خديجة له لما لها من عظيم علم وحكمة ودراية وتدبير.

ففي التسع سنين لقطات عصيبة زلزل فيها النبي ﷺ ووقفت فيها فاطمة ﷺ مدافعة
وراعية وحاضنة، فكان للنبي ﷺ يدان، يد قاضمة وهي يد أمير المؤمنين ﷺ ويد حانية وهي

يد فاطمة عليها السلام.

وكان دورها مع النبي صلى الله عليه وآله هو الفصل الأول من أداء المأمورية الخطيرة، وكان الفصل الأخير وقوفها في وجه مشروع السقيفة إلى جانب أمير المؤمنين عليه السلام وهو الآخر لا يقل خطورة وزلزالا للدين ولحامله عن الفصل الأول، فقد اجتمعت فيه من الملابس ما يمكن أن يمرر من خلالها المشروع الجديد على الناس بأن يصوروا عليا عليه السلام طالب ملك وساع للرئاسة، فكان يمثل هذه الملابس والتلييسات والايهامات امكانية تمرير الخطة والحيلة على المسلمين في شأن علي عليه السلام لكنه لم يكن في الإمكان أن تمرر مثل تلك الملابس في شأن فاطمة عليها السلام.

فقد كان موقفها عليها السلام شبيهه موقف مريم عليها السلام التي خاطرت بشرفها وعرضها ولم يكن بيد بني اسرائيل أن يمرروا على الناس فكرة أنها طالبة للزعامة في حين أنه لو تصدى لتلك المأمورية يجيى أو زكريا أو أي نبي من الأنبياء لأمكن الطعن عليهم بتلك التدليسات والتحريفات.



المقالة السادسة: مقام المحدث

- ٢ -

* أهل البيت عليهم السلام رواة عن كل طبقات وجود النبي صلى الله عليه وآله

* المحدث مرتبط بروح من أرواح النبي صلى الله عليه وآله

ثمة عدة من الآيات بينت أن الروح الأمري الذي هو حقيقة الكتاب - الكتاب هو المقام العلوي الوجودي الذي لا يتجافى عن موقعه وهو الروح الأمري - أورث لثلة بشرية خاصة بعد رسول الله.

منها ما في سورة الشورى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نُّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾^(١).
ومفادها الجمع بين مقام النبوة ومقام الثقلين.

ومنها ما في سورة النحل وهي قوله تعالى: ﴿يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى

مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴿١﴾.

والمعادلة في هذه الآية عين المعادلة في الآية السابقة ومفادها تنزل الروح الأمري على مجموعة من عباده وليس على من يشاء من أنبيائه ورسله، أي على ثلثة من عباده المصطفين باصطفاء وراء اصطفاء النبوة.

ونفس المعادلة بينت في سورة غافر في قوله تعالى: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ (٢).

ونفس العنوان أشير إليه في سورة الواقعة في قوله تعالى: ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (٣).

وصرح بهذا المطلب في سورة فاطر في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ (٤).

وحيث إن فاطمة عليها السلام واحدة من أولئك المصطفين المطهرين بنص القرآن وتعاليم روايات الفريقين، فيثبت لها أنها محدثة من الروح الأمري.

ثم إن وزن مقام المحدث كوزان مقام الرسالة والنبوة فكما أن القرآن صرح بأن

(١) سورة النحل: الآية ٢.

(٢) سورة غافر: الآية ١٥.

(٣) سورة الواقعة: الآية ٧٨-٧٩.

(٤) سورة فاطر: الآية ٣٢.

الرسول والأنبياء على طبقات كما في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾^(١) فكذا الأمر في المحدثين فهم على طبقات ودرجات.

أهل البيت عليهم السلام رواة عن كل طبقات وجود النبي صلى الله عليه وآله:

وهنا تثبت لأهل البيت عليهم السلام خصيصة على بقية أصحاب النبي صلى الله عليه وآله ومن أخذ عنه من الرواة وهي الجواب عن سؤال مكرر، فلطالما طُرح تساؤل مفاده:

ماهي خصيصة علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام في تلقيهم عن النبي؟

فإن كانوا هم رواة عن النبي صلى الله عليه وآله فإن سلسلة من الصحابة كانوا يروون عنه؟

وجوابه:

إن النقل عن النبي صلى الله عليه وآله على نحوين: فتارة يكون نقلاً عن بدن النبي صلى الله عليه وآله وتارة يكون نقلاً عن روح النبي صلى الله عليه وآله ونوره، وأهل البيت عليهم السلام لهم خصيصة على غيرهم في كلا النوعين، فإن نقلهم عن بدن النبي صلى الله عليه وآله لا يشابهه نقل أحد من الصحابة عن بدنه الشريف ضبطاً ودقة وإدراكاً لمحل عصمتهم، ويتجلى تميزهم وخصيصةهم بوضوح في النحو الثاني إذ لا يشاركهم أحد في النقل عن نفس النبي صلى الله عليه وآله وروحه ونوره وسائر طبقاته الغيبية.

ولم يدع أحد من الرواة مهما وسمت نقولاته بالصحة والمطابقة أنه كان يتلقى من هذا الباب الغيبي إلا أهل البيت عليهم السلام، فلم يقتصر ارتباطهم بالنبي صلى الله عليه وآله على الاتصال ببدنه، بل

لهم ارتباط ببدنه البرزخي وارتباط بنفسه وروحه، وارتباط بنوره وطبقات ذاته.

وأحد طبقات ذوات النبي صلى الله عليه وآله هو ما بينه الله تعالى في سورة الشورى في قوله:
**﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ
 وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾**^(١) ففيها تصريح أن أحد أرواح النبي
 هو نفس الروح الأمري، وفي المقطع الأخير تصريح بأن من (يشاء من عباده) يمسون
 وينالون ويتصلون ويرتبطون بذلك الروح الأمري، أي هم على دوام في الارتباط بطبقات
 متعددة من ذات النبي صلى الله عليه وآله علاوة على ارتباطهم بالبدن الدنيوي له.

المحدث مرتبط بروح من أرواح النبي صلى الله عليه وآله:

وعلى هذا الأساس يتبين معنى أن فاطمة عليها السلام محدثة، وبيانه أن القرآن صرح بأن الروح
 الأمري قوة من قوى النبي صلى الله عليه وآله وروح من أرواحه الخادمة في ذاته، فإذا قيل أن فاطمة عليها السلام
 محدثة فمعناه أنها مرتبطة بقوة وروح من أرواحه الخادمة.

والروح الأمري المحدث لفاطمة عليها السلام هي الروح النازل في ليلة القدر كما ورد في
 نصوص الآيات والروايات، فمحدثها على هذا البيان طبقة من طبقات ذات النبي صلى الله عليه وآله.

ولذا فعنعة الرواة عن النبي صلى الله عليه وآله عنعنة بدنية فقط، بينما عنعنة علي وفاطمة والحسن
 والحسين والتسعة المعصومين عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه وآله عنعنة نورية، وتسمى هذه العنعنة بالأداء
 والإبلاغ عن النبي صلى الله عليه وآله ولا تسمى نقلا عنه.

(١) سورة الشورى: الآية ٥٢.

وقد صرّح بذلك الحديث القدسي الذي مر علينا سابقا: «لا يبلغ عنك إلا أنت أو رجل منك»^(١).

فيثبت لفاطمة عليها السلام بركة مقام المحدثّة أنها ممن يؤدي ويبلغ عن نور وقلب النبي صلى الله عليه وآله.

ولذا ورد في روايات مصحف فاطمة عليها السلام التعبير تارة بأنه إِملاء رسول الله صلى الله عليه وآله أي أن الذي حدثها هو رسول الله صلى الله عليه وآله، وتارة أنه إِملاء أوحى الله به إليها، ولا تباين بين الأمرين فإن وصال واتصال فاطمة عليها السلام لم ينقطع برهة بالنبي صلى الله عليه وآله بعد رحيله البرزخي لكنه ليس وصالا بالبدن النبوي.

وبعبارة أخرى:

كان لفاطمة عليها السلام من الأول وقبل موت النبي صلى الله عليه وآله وصالان واتصالان به صلى الله عليه وآله أحدهما بدني والآخر نوري، وبموته وانقطاع بدنه عن الدنيا انقطع الوصال البدني الدنيوي وبقي الوصال النوري على حاله لعدم موت ورحيل طبقات نوره بموت بدنه.

والوصال الثاني قائم في كل برهة بين أهل البيت عليهم السلام ومنهم الإمام الثاني عشر عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وآله كما صورناه سابقا، وهو وصال على درجات، وصال ببدنه البرزخي ووصال بروحه ونفسه ووصال بروحه الكلية ووصال بنوره وطبقات متعددة من ذاته.

وهذا الوصال والإرتباط هو نوع تأييد واداء وإِملاء من الرسول صلى الله عليه وآله لهم وهو مختلف بالكلية عن شبهة التناسخ التي يهلوس بها بعض الفرق الباطنية المنحرفة.

وأحد الشواهد على عظمة مقام المحدثّة الثابت لفاطمة عليها السلام ما رواه في بصائر الدرجات

(١) معاني الأخبار، الشيخ الصدوق ٢٩٨

عن علي بن أبي حمزة عن أبي عبد الله عليه السلام قال قيل له إن عبد الله بن الحسن يزعم أنه ليس عنده من العلم الا ما عند الناس فقال: «صدق والله ما عنده من العلم الا ما عند الناس ولكن عندنا والله الجامعة فيها الحلال والحرام وعندنا الجفر أفيدري عبد الله أمسك بغير أو مسك شاة وعندنا مصحف فاطمة اما والله ما فيه حرف من القرآن ولكنه املاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخط علي عليه السلام كيف يصنع عبد الله إذا جائه الناس من كل فن يسألونه اما ترضون ان تكونوا يوم القيامة اخذين بحجزتنا ونحن اخذون بحجزه نبينا ونبينا اخذ بحجزه ربه»^(١) وهذا يدل على هيمنتها عليها السلام على أولادها عليهم السلام وإلا فما معنى أنها تقرر الوظائف لهم غير كونها ذات هيمنة!!

فقد كانت علاوة على كونها بنت بدن النبي صلى الله عليه وآله هي بنت نور النبي صلى الله عليه وآله فلها هيمنة علمية نورية ولها ولاية أعظم من ولايتها على البشر وهي ولايتها على الأصفياء وولايتها على الأئمة الأحد عشر عليهم السلام.

فمقام المحدثه يثبت لها ولاية الأمر لإدارة الدولة الإلهية، ولعل أحد تفاسير ما ورد: «على معرفتها دارت القرون الأولى»^(٢) هو دوران القرون الأولى في الدولة الإلهية السابقة على معرفتها وولايتها، ولها ولاية عظمى بلحاظ النشاءات الآتية.

وقد قيل إن الكثير من أهل التشرف وأهل المعنى رأوا رأي العين هيمنة فاطمة عليها السلام على أولادها عليهم السلام وكونهم تحت إمرتها، والمدار كله في الاثبات على ما قدمناه من دليل.

(١) بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار / ١٨١ باب ان الأئمة أعطوا الجفر والجامعة ومصحف فاطمة :-.

(٢) الأمالي، الشيخ الطوسي ٦٦٨ .



المقالة السابعة: دلالة مصحف فاطمة عليها السلام

على مقامها الشامخ

المطلب الأول: مراسيم تسليم المصحف لفاطمة عليها السلام

المطلب الثاني: العلوم المودعة في مصحفها

نهج فاطمة عليها السلام قدوة

المطلب الثالث: إشراف فاطمة عليها السلام على الإمامة الإلهية

البعد الأول: الوساطة النورية

البعد الثاني: الوساطة النورية تثبت الحجية ١١٨

تحت عنوان مصحف فاطمة عليها السلام يقف الباحث على مطالب جليلة تصبّ كُلهَا في

تقريب ما لها من مقام إلهي خطير وموقع ديني خاص، منها:

المطلب الأول: مراسيم تسليم المصحف لفاطمة عليها السلام:

قال أحد المحققين الكبار من علماء الإمامية بعد أن اطّلع على بعض فقرات روايات

المصحف: إن المصحف الشريف نزل على فاطمة عليها السلام بكوكبة وهالة إلهية ملكوتية خاصة.

انتهى

فلو أنّهُ اطّلع على المقاطع الأخرى في الروايات فماذا يمكنه أن يقول!!

إذ الهيئة الاحتفالية والكوكبة الإلهية حين نزول الوحي الإلهي عليها عليها السلام نادراً ما نجدها في الأنبياء أولي العزم إلا سيّد الأنبياء عليه السلام.

فتذكر في تسليم المصحف لفاطمة عليها السلام ما لم يذكر في نزول الوحي على الأنبياء، فقد أنزل عليها المصحف في ليلة الجمعة في الثلث الثالث من الليل وكان النزول بأمر من الله تعالى وبتوسط جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، وهو أمر غريب ونادر، إذ غالباً ما كان نزول الوحي على سيّد الأنبياء عليه السلام بتوسط نزول جبرائيل وفي بعض الحالات النادرة بتوسط إسرافيل أو بالوحي الذي هو أعظم من ذلك إذا لم يكن بين الله وبين سيد الأنبياء عليه السلام وسيط من الملائكة.

والملك الذي كان نزوله للتوسط في الوحي على رسول الله عليه السلام نادراً وهو إسرافيل كان هو من وسائط إنزال المصحف الشريف على فاطمة عليها السلام.

ويخطأ من يظن أن مقامات الملائكة على مستوى موحد، بل الروايات بينت أنهم على طبقات، فإن إسرافيل في وصف الروايات ذا شأن عظيم بحيث أن جبرائيل بالنسبة إليه كعصفور في بحر، بل كان يتخوف ويدعر من قدرة إسرافيل وقوته ذعراً شديداً بحيث يلوذ بسيد الأنبياء عليه السلام هذا مع ما ورد في الروايات من وصف جبرائيل بذي القوة المتين بحيث يقلب قرى قوم لوط بطرف من جناحه.

فقد روى في تفسير القمي عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: بينا رسول الله عليه السلام جالس وعنده جبرئيل إذ حانت من جبرئيل نظرة قبل السماء فامتقع لونه حتى صار كأنه كركمة ثم لاذ برسول الله عليه السلام.

فنظر رسول الله إلى حيث نظر جبرئيل فإذا شيء قد ملا ما بين الخافقين مقبلا حتى كان كقاب من الأرض ثم قال:

يا محمد إني رسول الله إليك أخبرك أن تكون ملكا رسولا أحب إليك أو تكون عبدا رسولا.

فالتفت رسول الله ﷺ إلى جبرئيل وقد رجع إليه لونه.

فقال جبرئيل: بل كن عبدا رسولا.

فقال رسول الله ﷺ: بل أكون عبدا رسولا، فرفع الملك رجله اليمنى فوضعها في كبد السماء الدنيا ثم رفع الأخرى فوضعها في الثانية ثم رفع اليمنى فوضعها في الثالثة ثم هكذا حتى انتهى إلى السماء السابعة كل سماء خطوة وكلما ارتفع صغر حتى صار آخر ذلك مثل الذر - الصر (ك).

فالتفت رسول الله ﷺ إلى جبرئيل فقال: لقد رأيتك ذعرا وما رأيت شيئا كان أذعري من تغير لونك.

فقال: يا نبي الله لا تلمني أتدري من هذا؟

قال: لا، قال: هذا إسرافيل حاجب الرب ولم ينزل من مكانه منذ خلق الله السماوات والأرض، فلما رأته منحطا ظننت انه جاء بقيام الساعة، فكان الذي رأيت من تغير لوني لذلك، فلما رأيت ما اصطفاك الله به رجع إلي لوني ونفسي أما رأيتك كلما ارتفع صغر انه ليس شيء يدنو من الرب إلا صغر لعظمته، ان هذا حاجب الرب وأقرب خلق الله منه واللوح

بين عينيه من ياقوتة حمراء فإذا تكلم الرب تبارك وتعالى بالوحي ضرب اللوح جبينه فنظر فيه ثم يلقيه الينا فنسعى به في السماوات والأرض انه لأدنى خلق الرحمن منه وبينه وبينه سبعون حجابا من نور تقطع دونها الابصار ما لا يعد ولا يوصف واني لأقرب الخلق منه وبينني وبينه مسيرة الف عام^(١).

وإذا كان جبرائيل مع ما له من مقام هو الذي كان ينزل على مريم فإن إسرائيل كان من جملة من ينزل على فاطمة عليها السلام في حالة خاصة وطقوس ملكوتية واحتفالية إلهية، وهو ما لم يعهد في أحد من الأئمة عليهم السلام حسب بياناتهم، هذا بالالتفات إلى أن تلك الهالة الملكوتية ليست تشريفات شكلية إذ أن كل شيء عند الله بقدر وميزان.

ومما تدل عليه تلك المراسيم بدقائقها ما لدى فاطمة عليها السلام من قدرة وأهلية على تحمل نزول الوحي الإلهي، إذ أن نزول الوحي بكيفياته المختلفة يتطلب من متلقيه قدرة اصطفاوية خاصة، فهو مما لا يمكن حتى للشياطين مع ما لها من نفوذ بإذن الله أن تدخل فيه، إذ يرافقه حصانة خاصة ليصل لتلقيه كما أراه الله؛ ولذا يتطلب قدرة خاصة وأهلية استثنائية.

(١) تفسير القمي، القمي ٢ / ٢٨. بحار الانوار عنه. كتاب العرش، محمد بن عثمان ابن أبي شيبة / ٨٨ مع اختلاف يسير. ويدل على علو مقام إسرائيل على جبرائيل عدة شواهد منها ما ورد في روايات كثيرة أن جبرئيل يحدث عن إسرائيل وأسرائيل عن الله أو عن اللوح ومثاله ما رواه في معاني الأخبار بسنده عن علي بن موسى الرضا عن أبيه عن النبي، عن جبرئيل، عن ميكائيل، عن إسرائيل، عن اللوح، عن القلم، قال: يقول الله تبارك وتعالى: «ولاية علي بن أبي طالب - صلوات الله عليه - حصني، فمن دخل حصني أمن ناري». معاني الأخبار، الصدوق / ٣٧١.

ومنها أنه سيد الملائكة فقد روى في شرح الاخبار عن النبي: النبي: ما خلق الله عز وجل شيئا إلا جعل له سيدا، فالنسر سيد الطيور والثور سيد البهائم والأسد سيد السباع وإسرائيل سيد الملائكة ويوم الجمعة سيد الأيام وشهر رمضان سيد الشهور وأنا سيد الأنبياء وعلي سيد الأوصياء. شرح الأخبار، القاضي النعمان المغربي / ٢٢٣.

فَمَا كَانَ مِنْ قُدْرَةِ النَّبِيِّ مُوسَى عليه السلام لِتَحْمِلِ نَزُولَ وَتَنْزِيلِ التَّوْرَةِ وَمَا كَانَ لِعِيسَى عليه السلام مِنْ أَهْلِيَّةٍ لِتَلْقَى الْإِنْجِيلَ وَمَا كَانَ مِنْ قَابِلِيَّةٍ لَدَى سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ عليه السلام لِتَلْقَى الْقُرْآنَ، كُلُّ ذَلِكَ زُوِّدَتْ بِهِ فَاطِمَةُ عليها السلام.

المطلب الثاني: العلوم المودعة في مصحفها:

وَمَا وَرَدَ فِي رَوَايَاتِ مَصْحَفِهَا أَنَّ فِيهِ خَبْرٌ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ، وَخَبْرٌ كُلُّ سَمَاءٍ فَسَاءٍ. وَلَكِي نَقَفَ عَلَى سَعَةِ هَذَا الْعِلْمِ وَعَظَمَتِهِ لِأَبَدٍ أَنْ نَسْتَعْلَمَ مِنْ الرَوَايَاتِ عِدَدَ السَّمَوَاتِ وَأَصْنَافِهَا، فَقَدْ نَظَنَّا أَنَّ عِدَدَ السَّمَوَاتِ مَحْصُورٌ فِي سَبْعٍ، فَهَلْ هُوَ كَذَلِكَ فَحَسَبْ؟ إِنَّ مَا تُشِيرُ إِلَيْهِ الرَوَايَاتُ هُوَ وَجُودُ آلَافٍ وَآلَافٍ مِنَ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ، فَإِنَّ مَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ سَبْعَ سَمَوَاتٍ عَادَةً هُوَ بِحَسَبِ بَيِّنَاتِ الْوَحْيِ مَا فِي الْعَالَمِ الْجَسْمَانِيِّ وَإِلَّا فَهِيَ فِيهَا لَا يَتَنَاهَى مِنَ الْجِسْمِ اللَّطِيفِ الَّذِي فَوْقَ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ، إِذَا ثَمَّةَ جِبَالٍ مِنْ بَرْدِي وَمَاءِ الذَّهَبِ وَغَيْرِهَا، فَالْعَوَالِمُ الْجَسْمَانِيَّةُ فَوْقَ بَعْضِهَا الْبَعْضُ، وَمَا هُوَ فَوْقَ لَا يُقَاسُ لِمَا هُوَ دُونَ.

وَمِنْهُ نَدْرِكُ مَا مَعْنَى أَنَّ تَعْطِي فَاطِمَةَ عليها السلام خَبْرَ كُلِّ سَمَاءٍ فَسَاءٍ، فَلَيْسَ الْمَعْنَى أَنَّهَا أُعْطِيَتْ خَبْرَ سَبْعِ سَمَوَاتٍ إِذْ عِدَدُ السَّمَوَاتِ غَيْرٌ مَعْلُومٌ لَدَيْنَا.

وَلِذَلِكَ انْدَهَلَ أَبُو بَصِيرٍ حِينَ سَمِعَ كَلَامَ الْإِمَامِ الصَّادِقِ عليه السلام، وَقَالَ مُتَسَائِلًا هَلْ كُلُّ هَذَا الْعِلْمِ فِي الْمَصْحَفِ؟ فَقَالَ وَيْحَكَ هَذَا فِي وَرَقَتَيْنِ مِنَ الْمَصْحَفِ.

وَمَا وَرَدَ أَيْضاً أَنَّ مِنْ عُلُومِ مَصْحَفِهَا خَبْرُ الْحُكُومَاتِ فِي كُلِّ الْأَرْضِ وَخَبْرُ كُلِّ مَلُوكِهَا وَحُكَّامِهَا.

ففي مصححة أبي بصير في دلائل الامامة وقد رواها عن أعلام زعماء الإمامية قال:
سألت أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام عن مصحف فاطمة عليها السلام فقال: انزل عليها بعد موت أبيها.

فقلت: ففيه شيء من القرآن؟ قال: ما فيه شيء من القرآن.

قال: قلت: فصفه لي، قال: له دفتان من زبرجدتين على طول الورق وعرضه حمر اوين

قلت له: جعلت فداك صف لي ورقه، قال: ورقه من در أبيض قيل له: (كن) فكان.

قلت: جعلت فداك، فما فيه؟

قال: فيه خبر ما كان، وخبر ما يكون إلى يوم القيامة، وفيه خبر سماء سماء، وعدد ما في
سماء سماء من الملائكة، وغير ذلك، وعدد كل من خلق الله مرسلا وغير مرسل، وأسماءهم،
وأسماء الذين أرسلوا إليهم، وأسماء من كذب ومن أجاب منهم، وفيه أسماء جميع من خلق
الله من المؤمنين والكافرين، من الأولين والآخرين، وأسماء البلدان، وصفة كل بلد في شرق
الأرض وغربها، وعدد ما فيها من المؤمنين، وعدد ما فيها من الكافرين، وصفة كل من
كذب، وصفة القرون الأولى وقصصهم، ومن ولي من الطواغيت ومدة ملكهم وعدددهم،
وفيه أسماء الأئمة ووصفتهم، وما يملك واحدا واحدا، وفيه صفة كراتهم، وفيه صفة جميع من
تردد في الأدوار من الأولين والآخرين.

قال: قلت: جعلت فداك وكم الأدوار؟ قال: خمسون ألف عام، وهي سبعة أدوار، وفيه

أسماء جميع من خلق الله من الأولين والآخرين وآجالهم، وصفة أهل الجنة، وعدد من يدخلها،
وعدد من يدخل النار، وأسماء هؤلاء وأسماء هؤلاء، وفيه علم القرآن كما أنزل، وعلم التوراة كما

أنزلت، وعلم الإنجيل والزبور، وعدد كل شجرة ومدرّة في جميع البلاد.

قال أبو جعفر عليه السلام: فلما أراد الله تعالى أن ينزله عليها، أمر جبرئيل وميكائيل وإسرافيل أن يحملوا المصحف فينزلوا به عليها، وذلك في ليلة الجمعة من الثالث الثاني من الليل، هبطوا به عليها وهي قائمة تصلي، فما زالوا قياما حتى قعدت، فلما فرغت من صلاتها سلموا عليها، وقالوا لها: السلام يقرئك السلام، ووضعوا المصحف في حجرها.

فقلت لهم: الله السلام، ومنه السلام، وإليه السلام، وعليكم يا رسل الله السلام، ثم عرجوا إلى السماء، فما زالت من بعد صلاة الفجر إلى زوال الشمس تقرأه، حتى أتت على آخره.

ولقد كانت طاعتها مفروضة على جميع من خلق الله من الجن والإنس، والطيور والبهائم، والأنبياء والملائكة.

فقلت: جعلت فداك فلما مضت إلى من صار ذلك المصحف؟ فقال: دفعته إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فلما مضى صار إلى الحسن، ثم إلى الحسين، ثم عند أهله حتى يدفعوه إلى صاحب هذا الأمر.

فقلت: إن هذا العلم كثير!

فقال: يا أبا محمد، إن هذا الذي وصفته لك لفي ورقتين من أوله، وما وصفت لك بعد ما في الورقة الثالثة، ولا تكلمت بحرف منه^(١).

(١) دلائل الإمامة، محمد بن جرير الطبري (الشيعة) ١٠٤، ١٠٦.

وَهَذَا يثير السُّؤال عَنْ صِلَة فَاطِمَة عليها السلام بِهَذَا الصَّنْفِ مِنَ الْأَخْبَارِ وَالْعُلُومِ.

فَلَمْ يَطَّلِعِ اللَّهُ تَعَالَى فَاطِمَةَ عليها السلام عَلَى مَلُوكِ الْأَرْضِ وَمَلَفَاتِ حُكُومَاتِهَا، وَمَا شَأْنَ فَاطِمَةَ عليها السلام بِذَلِكَ، وَمَا هَذَا الْمَلْفُ السِّيَاسِيُّ الَّذِي يَكشِفُ لِفَاطِمَةَ عليها السلام؟.

أَلَا يَدُلُّ ذَلِكَ عَلَى مَا لَهَا مِنْ شَأْنٍ فِي مِثْلِ تِلْكَ الْمَوْضُوعَاتِ وَالْأَحْدَاثِ؟

وَأَلَا يَدُلُّ عَلَى كَوْنِهَا مَسْئُولَةً مِنَ الْمَسْئُولِينَ الْكِبَارِ فِي الدَّوْلَةِ الْإِلَهِيَّةِ وَفِي الْمَمْلُوكَاتِ الْإِلَهِيَّةِ فِي الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ؟

وَكَيْفَ يَعْزَى لَهَا كُلُّ ذَلِكَ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلايَةٌ عَظِيمَى عَلَى الْعَوَالِمِ الْمُخْتَلِفَةِ؟

وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ فِي الرِّوَايَاتِ مِنْ خَبَرِ اللُّوحِ الْأَخْضَرِ، وَالَّذِي لَمْ يُوَدَّعْ فِيهِ عِلْمُ حُكَّامِ الْأَرْضِ بَلْ ضَمَّنَ عِلْمَ حُكَّامِ الدَّوْلَةِ الْإِلَهِيَّةِ وَأَسْمَاءِ الْأُمَّةِ الْإِثْنِي عَشَرَ، ذَلِكَ اللُّوحُ عِنْدَمَا يَنْزِلُهُ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْصُهُ بِفَاطِمَةَ عليها السلام، أَيَّ أَنْ عِلْمَ دَوْلَةِ الْإِمَامَةِ الْإِلَهِيَّةِ وَاقَعَ تَحْتَ إِيْرَافِ فَاطِمَةَ، فَأَيَّ وَلايَةٌ لَهَا، وَأَيَّ مَوْجِعِ صَدَارَةِ خَصَّتْ بِهَا.

فَقَدْ رَوَى فِي الْإِمَامَةِ وَالتَّبَصُّرَةِ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ أَبُو جَابِرٍ

بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيُّ: إِنْ لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ، فَمَتَى يَخْفُ عَلَيْكَ أَنْ أَخْلُوبَكَ فَأَسْأَلُكَ عَنْهَا؟

فَقَالَ لَهُ جَابِرٌ: فِي أَيِّ الْأَوْقَاتِ شِئْتَ، فَخَلَى بِهِ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام، قَالَ لَهُ: يَا جَابِرُ، أَخْبِرْنِي

عَنِ اللُّوحِ الَّذِي رَأَيْتَهُ فِي يَدِ أُمِّي فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا أَخْبَرْتِكَ بِهِ أَنَّهُ فِي ذَلِكَ اللُّوحِ

مَكْتُوبًا، فَقَالَ جَابِرٌ: أَشْهَدُ بِاللَّهِ، أَنِّي دَخَلْتُ عَلَى أُمِّكَ فَاطِمَةَ عليها السلام فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ 'أَهْنَتْهَا

بِوِلَادَةِ الْحُسَيْنِ عليه السلام، فَرَأَيْتُ فِي يَدِهَا لَوْحًا أَخْضَرَ، ظَنَنْتُ أَنَّهُ مِنْ زَمْرَدٍ، وَرَأَيْتُ فِيهِ كِتَابَةَ

بيضاء شبيهة بنور الشمس، فقلت لها: بأبي أنت وأمي يا بنت رسول الله ما هذا اللوح؟

فقلت: هذا اللوح أهداه الله عز وجل إلى رسوله ﷺ فيه اسم أبي، واسم بعلي، واسم

ابني، وأسماء الأوصياء من ولدي، فأعطانيه أبي ليسرني بذلك»^(١).

ولو أردنا تعميق هذا المطلب وبيان دورها وتأثيرها في سلسلة الحكام في الأرض فلا بُدَّ

أن نطرح هذه المقدمة، وهي:

إنَّ سلسلة الأحداث في الأرض ليست جبراً على البشر كما أنَّها غير مفوضة لهم، وإنَّما

هيَّ جارية على وفق نظام الأمر بين الأمرين.

إذ أن هذا النظام كما هو حاكم على صعيد الفعل الفردي إذ لا جبر ولا تفويض في

فعل الإنسان الواحد، كذلك هو حاكم على الفعل الاجتماعي بنفس المقدار.

فلا تفويض للبشر في صنع وبلورة وصياغة أحداث الأرض كما أنه لا جبر ولا إلزام

من طرف الله تعالى، أي أن الله فعلاً ودوراً وللشعر فعلاً ودوراً، فمن جانب البشر فعلهم هو

الإعداد لا اتجاهات الحدث ومن جانب الله يكون دور العطاء غير المحظور.

وعلى هذا الأساس فلا يظن أن أمر الحكومات في الأرض موكول فقط و فقط لإرادة

البشر، بل من الحتمي أن لقضاء الله وقدره تأثيراً.

والسؤال: من هو الذي ولاه الله تقدير أمر الحكام في الأرض؟

أو قل من هو المخلوق الذي يتجلى فيه فعل الله الميّن في قاعدة «لا جبر ولا تفويض

(١) الإمامة والتبصرة، علي ابن بابويه القمي ١٠٣، ١٠٩. الامالي، الطوسي / ٢٩١.

ولكن أمرين أمرين؟

وجوابه: إِنَّ ما وَرَدَ في روايات المصحف مِنْ كون فاطمة عليها السلام معنيّة بأمر مَنْ يملك في الأرض وَمَنْ يحكم فيها سواء في الزمن الذي تكون فيه فاطمة عليها السلام على قيد الحياة أو بعده فيه إشارات إلى عموم ولايتها، وأنَّ لها مسؤوليّة إلهية مستمرة بلا توقّف.

ومعنى أن فاطمة عليها السلام تجلّي لفعل الله في سلسلة الأحداث على المستوى الفردي والمستوى الاجتماعي ليس هو الحتم والجبر وإِنَّها مسؤولة عن تسيير الأحداث بقلب جبري، بل هي معنيّة ومسؤولة عن حتم الأحداث مع اشتغالها على البداء وبقاء مسؤوليّة البشر.

وبعبارة أخرى:

إِنَّ الله تَعَالَى لم يخلق الكون ثم اعتزل عن مملكته وترك الأمور على عواهنها ففوض أمر الأفراد للأفراد، وأمر المجتمعات للإرادة الجمعيّة!!
وإنَّما الله إرادة وفعل في كلّ حدث، والمعني بالجانب الإلهي في أفعال البشر هو فاطمة عليها السلام.

حيث لم يُعط أحدا مسؤوليّة الاطلاع على مَنْ سيتقلّد الحكم والملك في الأرض سواء كان من المسلمين أو غيرهم إلا فاطمة عليها السلام.

وعلى هذا الأساس نتلمس التطابق والتشاهد بين المفاد الروائي الوارد في مصحفها وبين ما سيأتي من شهادة القرآن لها بولاية أحوال الأرض في قوله تَعَالَى: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى

رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ
يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ
وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ
الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١﴾.

نهج فاطمة عليها السلام قدوة:

وبعد كل ما بين من أدوار ومسؤوليات لفاطمة عليها السلام من حقنا أن نستغرب من سيرة
الكثير من المسلمين الذين يبنون على الاستغاثة والتوسل بأهل البيت عليهم السلام أو صحابة
الرَّسُولِ عليهم السلام لكنهم يهجرون التوسل علماً وجهلاً بمنهاج فاطمة عليها السلام رغم أن منهاجها غوث
وغياث في القرب من الله، فليست الزلفى محصورة في التحجب لأهل البيت عليهم السلام وإن كان
حجهم من أعظم الزلفى، لكن أحد أسباب التقرب والقرب إلى الله هو المثابرة في فهم نهج
فاطمة عليها السلام وأدوارها بعد أبيها إلى جنب أدوار أمير المؤمنين عليه السلام.

فقد كان من منهاجها أنها استنهضت الأنصار عسكرياً في خطبتها لتثور ضد المستولي
الأول، ولم يجرؤ بحضرتها عليها السلام أن يُبدي أي اعتراض، وهكذا سائر أركان السقيفة لم يجرؤ
أمام مرأى المسلمين أن يبدوا صوت اعتراض على منطق فاطمة عليها السلام.

وإن دل ذلك على شيء فهو يدل على ارتكاز لدى المسلمين والصحابة بثبوت

صلاحيات لفاطمة عليها السلام وموقع إلهي في المسؤولية عن ملوك وحاكم الأرض.

كما أنها أفصحت عن دور المؤمنين والمجتمع الإيماني في تغيير الحكومات والأحداث بمقتضى قاعدة «لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين».

وستظل الحقيقة الكاملة فيما يخص معارف الدين وأحداث الصراع الأول ضائعة وخفية ما لم يسترجع الباحثون البحث المركز في منهاج فاطمة عليها السلام.

إذ أنه لولا موقفها لما وصلت الحقيقة الكاملة للأجيال، فقد كان دورها نبراساً لأساس الدين ومنهاجاً لإصلاح ما فسد من أمور المسلمين.

المطلب الثالث: إشراف فاطمة عليها السلام على الإمامة الإلهية

من أعظم ما ورد في مقام بيان الولاية الكبرى لفاطمة عليها السلام ما في المأثور: «ما تكاملت النبوة لني حتى أقر بفضلها ومحبتها»^(١).

ويمكن أن نُعبّر عن مفاد هذه الرواية بإشراف فاطمة عليها السلام على النبوة ومقام الإمامة الإلهية فما من صاحب مقام - عدا سيّد الأنبياء - إلا وهو واقع تحت إشرافها ومباركتها لمقامه.

وما نحن بصدد الحديث عنه وهو مصحف فاطمة عليها السلام بيان بين لما لها من إشراف على الإمامة الإلهية ومن أكثر من بعد.

(١) مجمع النورين، أبو الحسن المرندي / ٤٠ عن السيد في مدينة المعاجز، ويشهد له ما رواه في بصائر الدرجات بسند عال عن حذيفة بن أسعد قال قال رسول الله: «ما تكاملت النبوة لني في الأظلة حتى عرضت عليه ولايتي وولاية أهل بيتي ومثلوا له فأقروا بطاعتهم وولايتهم». ٩٣.

البعد الأول: الوساطة النورية:

من أجل المعارف التي أفصحت عنها روايات المصحف هي كونه ﷺ من مصادر علوم أئمة أهل البيت عليه السلام، وبذلك يثبت لها ﷺ بالنسبة لأولادها دور المعلم الإلهي، أي مقام الوسيط بين الغيب والأئمة في تلقي العلوم الخاصة.

أي أن علوم المصحف لم تتلقاها فاطمة ﷺ من تعليم النبي ﷺ من خلال نطقه وتلفظه، وهذا لا يعني أن ثمة علم يتلقى من غير وساطة النبي ﷺ، ولو افترض أن سنخاً من العلم لم يتوسط النبي ﷺ فيه لنزعت عنه صفة الحجية والوحيانية.

وعلى هذا الأساس تكون وساطة النبي ﷺ في وصول علوم المصحف لفاطمة ﷺ وساطة روحية نورية، وهذا معنى ما قلناه من أنها لم تتلق العلم اللدني الإلهي من شفتي النبي ﷺ بينما تلقته من روح النبي ﷺ.

وهذه قاعدة معرفية عامة مفادها أن كل واحد من أئمة أهل البيت عليه السلام وإن لم يلتق بجسد النبي ﷺ ويسمع من شفتيه المباركتين إلا أنه يتلقى العلوم من نور النبي ﷺ بل هم على اتصال دائم بطبقة نوره.

وقد مرّ بيان هذا السنخ من الاتصال عند الكلام حول الحديث القدسي في تبليغ سورة البراءة.

وعلى هذا الأساس يثبت لها وساطة فيما بين النبي ﷺ والأئمة عليه السلام نظير الوساطة النورية للنبي ﷺ بين الله والأئمة، فهي وسيط علمي لهم بما توسطت فيه من علوم المصحف، بل هي دائمة الوساطة حتى وهي في عالم برزخها.

وبتصور هذه الوساطة العلمية يتبين نحو من إشراف فاطمة عليها السلام على مقام الإمامة الإلهية.

البعد الثاني: الوساطة النورية تثبت الحجية:

من الخطأ أن تفهم الوساطة العلمية في نسخها النوري على أنها مجرد نقل للعلوم من الأصل إلى الفرع كنقل علوم العالم للمتعلمين عبر الكتب المؤلفة، بل الصحيح أن للوساطة العلمية الإلهية مقاما أعلى وأشرف من مقام المتلقين عنها، ولأجل ذلك جعلت واسطة، وهذا ما يدل على أن إيمان المؤمن لا يتم بالاعتقاد بإمامة الأئمة الإلهيين مقطوعاً عن الإقرار لفاطمة عليها السلام بالحجّة.

وبذلك يثبت حجيتها عليها السلام بدليل مصحفها وما فيه من علوم، ويثبت أنها صاحبة مقام ملكوتي أعلى، وهو معنى إشرافها على الإمامة الإلهية.

فإن قال قائل:

إنها لم تكن إماماً ولا قائداً عسكرياً، فكيف يثبت لها إشراف حقيقي ومقامي على الإمامة الإلهية؟

وجوابه: إن المقامات التنفيذية والعسكرية شيء وأهلية الأمانة على الوحي ومعارفه شيء آخر، فكما أن جبرائيل قد ثبت له مقام الأمين على الوحي ويجب الاعتقاد له بذلك من غير أن يكون قائداً عسكرياً ولا إذا إمامة تنفيذية فكذلك لفاطمة عليها السلام إشراف على الإمامة الإلهية لما لها من أهلية الأمانة على الوحي، أي أمانة من سنخ عالم النور.

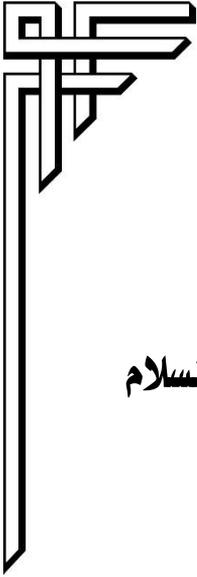
وَقَدْ مَرَّ بِنَا سَابِقاً أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الضَّرُورِيِّ فِي الْحَجَجِ وَتَمْيِيزِ مَرَاتِبِهَا أَنْ يَكُونَ لَهَا تَمَاسٌ
مَبَاشِرٌ بِالبَشَرِ، فَإِنَّ بَعْضَ الْحَجَجِ مِمَّنْ ثَبَتَ لَهُمْ مَقَامَاتٌ عَظِيمَةٌ هِيَ ثَابِتَةٌ لَهُمْ بِمَا لَهُمْ مِنْ إِدَارَةٍ
وَتَدْبِيرٍ فِي دَائِرَةِ المِصْطَفِينَ، وَبِمَا لَهُمْ مِنْ إِشْرَافٍ فِي ضَمَنِ حَلْقَةِ الْحَجَجِ الإِلَهِيَّةِ.

وَمَا يَشِيرُ وَيُؤَكِّدُ عَلَى مَوْجِعِ إِشْرَافِ لِفَاطِمَةَ عليها السلام مَا وَرَدَ فِي رَوَايَاتِ الخَمْسِ تَحْتَ قَوْلِهِ
تَعَالَى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾^(١).

فَإِنَّ بَيْنَ القُرْبَىٰ وَهُمْ (الحسن والحسين والتسعة المعصومين) وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله هَمْزَةٌ
وَصَلَّ بِبِرْكَتِهَا يَرِثُ الحَسَنانَ عليهما السلام وَيَرِثُ التَّسْعَةَ المَعْصُومِينَ عليهم السلام مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، أَيَّ أَنْ
الوَرَاثَةَ تَمْرٌ بِحَلْقَةٍ وَاصِلَةٌ، فَلَمْ يَثْبُتْ لِلأئِمَّةِ عليهم السلام وَلايَةٌ عَلَى الخَمْسِ وَلَمْ تَسْنُدْ لَهُمْ وَلايَةُ الفِئَةِ
إِلَّا عَبْرَ الوَسَاطَةِ وَالوَرَاثَةَ مِنْ فَاطِمَةَ عليها السلام، فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الأئِمَّةِ المَعْصُومِينَ عليهم السلام حَتَّى
آخِرِهِمْ وَهُوَ الحِجَّةُ المَهْدِي عليها السلام إِنَّمَا هُوَ الآنَ فِي كَنَفِ وَلايَةِ جَدَّتِهِ فَاطِمَةَ عليها السلام وَيَنْفَذُ مَا يَكُونُ فِي
دَائِرَةِ أَمْرِيَّتِهَا.

وهذه المضامين بألفاظ مُتَعَدِّدَةٌ قَدْ قُرِّرَتْ فِي الرَوَايَاتِ الشَّرِيفَةِ.

وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ مَقَامِ عَلِيٍّ عليه السلام، فَمَقَامُهُ فِي التَّوَسُّطِ فِي الوَرَاثَةِ مَقَامُ الشَّرَاكَةِ مَعَ
الزَّهْرَاءِ عليها السلام.



المقالة الثامنة: ليلة القدر أحد مقامات فاطمة عليها السلام

* كلام المجلسي في هذا المقام.

* النقطة الأولى: فاطمة عليها السلام ثالثة الحجج .

* النقطة الثانية: البيت بيت الرُّوح.

* النقطة الثالثة: الارتباط بين أرواحهم والعرش.

* النقطة الرابعة: ارتباطهم بالعرش معراج.

* النقطة الخامسة: امتداد صرح بيوت أرواحهم .

قد ورد في روايات متعددة تصريحاً وتلويحاً أن فاطمة عليها السلام هي ليلة القدر، أو أنها روح القدس، وغير ذلك من الأوصاف التي تشير إلى أنها واسطة فيض علمي للائمة من ذريتها

عليها السلام.

ولا يخفى أن تنزل الملائكة وروح القدس لا يقتصر على ليلة في شهر رمضان، بل قد ورد أنه في كل ليلة جمعة، بل في كل ساعة بعد ساعة يتنزل الأمر.

وقد ورد عن الصادق عليه السلام في صحيحة أبي بصير: «أن هذا العلم هو أعظم علومهم وأنه أعظم من علمهم بالجامعة وعلمهم بالجفر ومن علمهم بالف باب يفتح منه الف باب

ومن علمهم بمصحف فاطمة^(١).

فهذا العلم وإن كان أعظم من علمهم بمصحف فاطمةعليها السلام إلا أنه في هذه الرواية بيان أن هذا العلم هو الآخر يستفيضه الائمة من ذريتها بواسطتهاعليها السلام، مع أن علمهم بمصحف فاطمةعليها السلام قد جعل في هذه الصحيحة أعظم من العلم الذي علمه رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام الذي هو ألف باب يفتح من كل باب ألف باب، وأعظم من علم الجامعة الذي هو املاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخط علي عليه السلام، وأعظم من علم الجفر الذي فيه علم كل النبيين وكل الأوصياء من الأمم السابقة بل كل علم علماء الماضين.

والعمدة أن هذا المقام من كونها ليلة القدر جعل في صحيحة أبي بصير أعظم من مقامهاعليها السلام في تلقي المصحف ووساطتها لعلم الائمةعليهم السلام بتوسط مصحفها.

ويشير إلى ذلك عدة روايات:

(١) فرات قال: حدثنا محمد بن القاسم بن عبيد معننا عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ الليلة فاطمة والقدر الله فمن عرف فاطمة حق معرفتها فقد أدرك ليلة القدر، وإما سميت فاطمة لان الخلق فطموا عن معرفتها وقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ يعني خير من ألف مؤمن وهي أم المؤمنين.

﴿تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ والملائكة المؤمنون الذين يملكون علم آل محمد صلى الله عليه وآله

والروح القدس هي فاطمة عليها السلام ﴿يَا ذِينَ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ يعني حتى يخرج القائم عليه السلام ^(١).

(٢) وفي تأويل الآيات عن زرارة عن حمران قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عما يفرق في ليلة القدر هل هو ما يقدر الله فيها؟

قال: لا توصف قدرة الله إلا أنه قال ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ فكيف يكون حكيمًا إلا ما فرق، ولا توصف قدرة الله سبحانه، لأنه يحدث ما يشاء.

وأما قوله ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ يعني فاطمة عليها السلام، وقوله ﴿تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ والملائكة في هذا الموضع المؤمنون الذين يملكون علم آل محمد عليهم السلام والروح روح القدس وهو في فاطمة عليها السلام (من كل أمر سلام) يقول: من كل أمر مسلمة) (حتى مطلع الفجر) حتى يقوم القائم عليه السلام ^(٢).

ومفاد الروايتين على تأويل الآية الكريمة بنمط من التأويل أخفى مما ورد في بقية الروايات فقوله عليه السلام في الروايتين: (والملائكة في هذا الموضع المؤمنون الذين يملكون علم آل محمد عليهم السلام لعل ظاهره الأئمة من آل محمد عليهم السلام إذ أحد العناوين التي أشار بها القرآن لأئمة أهل البيت عليهم السلام في القرآن هو عنوان (المؤمنون) كما أشارت إليه جملة من الروايات في عدة مواضع من السور القرآنية.

فمن يعقوب بن شعيب قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿وَقُلْ

(١) تفسير فرات الكوفي، فرات بن ابراهيم الكوفي ٥٨٢.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، السيد شرف الدين علي الحسيني الاسترآبادي الغروي ٨١٨.

اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ قال: هم الأئمة عليهم السلام.

وعن عبد الله بن أبان الزيات وكان مكينا عند الرضا عليه السلام قال: قلت للرضا عليه السلام: ادع الله لي ولأهل بيتي فقال: أو لست أفعل؟ والله إن أعمالكم لتعرض علي في كل يوم وليلة، قال: فاستعظمت ذلك، فقال لي: أما تقرأ كتاب الله عز وجل: ﴿وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾؟ قال: هو والله علي بن أبي طالب عليه السلام.

وعلى ضوء ذلك فتكون نسبة مقام فاطمة عليها السلام مع الأئمة من ولدها نسبة الروح إلى الملائكة، وقد ورد أن الفارق بين الروح والملائكة أي روح القدس وجبرائيل عليه السلام وأخوته من الملائكة المقربين هو فارق شاسع جدا في القدرة والعلم والشأن.

فإذا كان تأويل الآية بارادة فاطمة عليها السلام من الروح واردة الأئمة عليهم السلام من الملائكة فهذا يبين الفارق بين مقامها عليها السلام ومقام الأئمة من ولدها عليهم السلام.

فهي عليها السلام تكون بمثابة الأم لهم أي الأصل النوري والمرجع والمآل لهم، وأنهم منها انشعبوا ومنها اشتقوا، وأنها المحكم والأئمة المحكمة لتفصيل أنوارهم وعلومهم وهداياتهم.

وهذا مطابق لما ورد في القرآن وروايات الفريقين من أنها وعلي عليهما السلام البحران الذان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان من أئمة أهل البيت عليهم السلام.

ويعاضد هذا الاحتمال في استظهار الأئمة من أهل البيت عليهم السلام أن الامامة قد ورد

(١) الكافي، الشيخ الكليني / ١ / ٢١٩.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني / ١ / ٢١٩.

التعبير عنها بالملك في القرآن الكريم في موارد عديدة، كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾^(١) وملك العلم هو ملك القدرة والولاية.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾^(٢).

قال: فالنار هو القائم عليه السلام الذي قد أثار ضوؤه وخروجه لأهل الشرق والغرب.

و «الملائكة» هم الذين يملكون علم آل محمد عليهم السلام^(٣).

وعلى ضوء هذه الاحتمال في الرواية يجتمل كون المراد من المؤمنين هم الشيعة الحواريون لأهل البيت عليهم السلام نظير أصحاب القائم.

بل يقوى احتمال كونهم أئمة أهل البيت عليهم السلام، وأصحاب القائم عليهم السلام شركاؤه في امامة أهل البيت عليهم السلام من بقية الأئمة، كما ورد التعبير في الحديث النبوي عن أئمة أهل البيت عليهم السلام فقد روى في بصائر الدرجات عن جعفر عن أبيه عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ما وجدتم في كتاب الله فالعمل به لازم لا عذر لكم في تركه وما لم يكن في كتاب الله وكانت فيه سنة مني فلا عذر لكم في ترك سنتي، وما لم يكن فيه سنة مني فما قال أصحابي فخذوه، فإنها مثل أصحابي فيكم كمثل النجوم فبأيها اخذ اهتدى وبأي أقاويل أصحابي أخذتم

(١) سورة النساء: الآية ٥٤.

(٢) سورة المدثر: الآية ٣١.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، السيد شرف الدين علي الحسيني الاسترآبادي الغروي ٧١٠، كنز

اهتديتم، واختلاف أصحابي لكم رحمة قيل: يا رسول الله ' ومن أصحابك قال أهل بيتي^(١).

وعلى كلا التقديرين فيظهر لها عليها السلام الشأن والمقام والهيمنة في الولاية على تدبير الأمور.

كلام المجلسي رحمته الله في هذا المقام:

قال المجلسي رحمته الله في شرح الرواية الأولى:

وأما تأويله عليه السلام ليلة القدر بفاطمة عليها السلام فهذا بطن من بطون الآية، وتشبيها بالليلة إما لسترها وعفافها، أو لما يغشاها من ظلمات الظلم والجور.

وتأويل الفجر بقيام القائم بالثاني أنسب فإنه عند ذلك يسفر الحق وتنجلي عنهم ظلمات الجور والظلم، وعن أبصار الناس أغشية الشبه فيهم، ويحتمل أن يكون طلوع الفجر إشارة إلى طلوع الفجر من جهة المغرب الذي هو من علامات ظهوره.

والمراد بالمؤمنون الأئمة عليهم السلام وبين عليه السلام أنهم إنما سموا ملائكة لأنهم يملكون علم آل محمد عليهم السلام ويحفظونها ونزولهم فيها كناية عن حصولهم منها موافقا لما ورد في تأويل آية سورة الدخان أن الكتاب المين أمير المؤمنين عليه السلام والليلة المباركة فاطمة عليها السلام وفيها يفرق كل أمر حكيم» أي حكيم بعد حكيم وإمام بعد إمام .

وقوله: ﴿كُلُّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ﴾ على هذا التأويل هي مبتدأ، وسلام خبره، أي ذات سلامة، ومن كل أمر متعلق بسلام، أي لا يضرها وأولادها ظلم الظالمين، ولا ينقص من

(١) بصائر الدرجات، الصفار: ٣١.

درجاتهم المعنوية شيئاً، أو العصمة محفوظة فيهم فهم معصومون من الذنوب والخطأ والزلل إلى أن تظهر دولتهم ويتبين لجميع الناس فضلهم»^(١).

(٣) روى الكليني في الكافي بسنده إلى يعقوب بن جعفر بن ابراهيم قال كنت عند ابي الحسن موسى عليه السلام إذ اتاه رجل نصراني ... فقال النصراني:

إني أسألك - أصلحك الله - قال: سل، قال: أخبرني عن كتاب الله تعالى الذي انزل على محمد ونطق به، ثم وصفه بما وصفه به، فقال: ﴿حَمْدٌ وَالْكِتَابِ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿ ما تفسيرها في الباطن؟

فقال: أما حم فهو محمد صلى الله عليه وآله وهو في كتاب هود الذي انزل عليه وهو منقوص الحروف وأما «الكتاب المبين» فهو أمير المؤمنين علي عليه السلام وأما الليلة ففاطمة وأما قوله: «فيها يفرق كل أمر حكيم» يقول: يخرج منها خير كثير فرجل حكيم ورجل حكيم»^(٢).

وهذه الرواية هي الأخرى دالة على تقدم رتبة الصديقة عليها السلام على الائمة عليهم السلام من ذريتها وأن ربتها بعد النبي صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام، وأن مقامها مقام التدبير والتقدير وأن الائمة عليهم السلام من ذريتها أعوان وأعضاء ووزراء لها عليهم السلام، وأنها واسطة فيض العلم من النبي وأmir المؤمنين إلى الائمة من ذريتها عليهم السلام ومثلها دلالة الرواية السابقة.

ومفاد هذه الرواية يطابق ما مرّ من روايات الفريقين من تأويل البحرين ببحر علي وفاطمة، وأن الائمة عليهم السلام من ذريتها هم ثمار وجواهر مستخرجة من بحر علي وبحر

(١) بحار الأنوار، المجلسي ٢٥ / ٩٩.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني ١ / ٤٧٩.

فاطمة'.

وكذلك هذه الرواية تبين أن من الخير الكثير الذي يخرج من فاطمة عليها السلام الأئمة عليهم السلام من ذريتها رجل حكيم بعد رجل حكيم وامام بعد امام.

(٤) عن عبد الله بن عجلان السكوني قال:

سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول:

«بيت علي وفاطمة من حجرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وسقف بيتهم عرش رب العالمين، وفي قعر بيوتهم فرجة مكشوفة إلى العرش معراج الوحي، والملائكة تنزل عليهم بالوحي صباحا ومساء، وفي كل ساعة وطرفة عين، والملائكة لا ينقطع فوجهم، فوج ينزل وفوج يصعد.

وإن الله تبارك وتعالى كشط لإبراهيم عليه السلام عن السماوات حتى أبصر العرش وزاد في قوة ناظره.

وإن الله زاد في قوة ناظر محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وكانوا يبصرون (العرش) ولا يجدون لبيوتهم سقفا غير العرش فبيوتهم مسقفة بعرش الرحمن، ومعراج: معراج الملائكة، والروح فوج بعد فوج لا انقطاع لهم .

وما من بيت من بيوت الأئمة منا إلا وفيه معراج الملائكة لقول الله عز وجل «تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم بكل أمر سلام». قال: قلت: «من كل أمر»؟ قال: بكل أمر،

قلت: هذا التنزيل؟ قال: نعم^(١).

بيان الرواية في نقاط:

النقطة الأولى: فاطمة عليها السلام الثالثة الحجج:

مفاد الرواية هو الآخر يبين أن رتبة فاطمة عليها السلام هي الثالثة في الاصطفاء بعد الرسول صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام حيث بدأ بالثلاثة واشترآكهم في بيت واحد، حيث إن التعبير أن البيت المشترك لعلي وفاطمة عليهما السلام هو من حجرة رسول الله صلى الله عليه وآله، أي أن البيت المشترك بينهما ناشئ من حجرة رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم جمع عليها السلام الثلاثة في عنوان واحد وهو قوله (وسقف بيتهم).

النقطة الثانية: البيت بيت الروح:

لا يخفى إن المراد بالبيت هنا ليس هو الذي من حجر ومدبر وطين كما بين الباقر عليه السلام في رواية أخرى لقتادة^(٢)، بل المراد طبقات أبدانهم لأن البدن بيت للروح، والروح جسم رقيق، فالروح ذات الجسم الرقيق بيت لروح الروح وهلم ما جرى.

ومن ثم نلاحظ أنه عليه السلام أفرد عنوان البيت ابتداءً وأسنده إلى علي وفاطمة، ثم أفرده وأسنده إلى الثلاثة ثم ذكره بصيغة الجمع وأسنده إلى الثلاثة، وعلى ذلك فكون سقفهم عرش رب العالمين يراد اتصال وارتباط أرواحهم الشريفة بالعرش.

(١) تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، السيد شرف الدين علي الحسيني الاسترآبادي ٨١٨.

(٢) الكافي، الكليني ٦/٢٥٦.

النقطة الثالثة: الارتباط بين أرواحهم والعرش:

قوله عليه السلام أن سقف بيتهم عرش رب العالمين، ليس يفيد الارتباط فقط بل يفيد حملهم للعرش.

ولعله أكثر من الحمل أيضا، وأما بيان كيفية نسبة هذه الحقيقة من الارتباط بين أرواحهم والعرش من كونه سقفا لبيوتهم أي بيوت أرواحهم أو أن قعر بيوتهم أي وسط أرواحهم وهو كناية عما بطن وأبطن من طبقات الأرواح التي فيهم، أن فيها فرجة مكشوفة أي باب مفتوح إلى العرش، وهذا غير أبواب السماوات، مع - حملة العرش - في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾^(١).

وكذا مع قوله تعالى: ﴿وَأَنْشَقَّتْ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾^(٣)، لا سيما مع قوله عليه السلام: «وإن الله زاد في قوة ناظرة محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين وكانوا يبصرون العرش ولا يجدون لبيوتهم سقا غير العرش فبيوتهم مسقفة بعرش الرحمن».

النقطة الرابعة: ارتباطهم بالعرش معراج:

ثم إنه عليه السلام بين الرابطة بينه وبين العرش بأن هذا الارتباط معراج للوحي والملائكة

(١) سورة غافر: الآية ٧.

(٢) سورة الحاقة: الآية ١٦.

(٣) سورة الحاقة: الآية ١٧.

والروح فوج بعد فوج لا ينقطع لا صباحا ولا مساء ولا ساعة ولا طرفة عين.

ثم إنه عليه السلام شارك بيوت الأئمة عليهم السلام بهذا الوصف أيضا وأنه مفاد قوله تعالى: «تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم بكل أمر سلام» وأن هذا التنزل وهو مفاد السورة دائم دائم لا ينقطع.

النقطة الخامسة: امتداد صرح بيوت أرواحهم:

أن قوله عليه السلام: «لا يجدون لبيوتهم سقفا غير العرش فيوتهم مسقفة بعرش الرحمن» يدل على امتداد صرح بيوت أرواحهم، والروح جسم رقيق في طبقات أرواحهم، أي طبقات الأجسام الرقيقة المشتدة لطافة بطبقات ممتدة في اللطافة إلى العرش بناء على أن العرش من الروحانيين كما بسطنا بحثه في الجزء الرابع من كتاب الرجعة.

والمحصلة:

قد مرّ وجوه دلالة الرواية في صدرها على كونها عليها السلام في الرتبة الثالثة في أهل البيت عليهم السلام اصطفاء وأن لها عليها السلام نحو مشاركة لأمر المؤمنين عليهم السلام ولرسول الله صلى الله عليه وآله، وفي وسط الرواية أيضا قوله عليه السلام الذي مر «إن الله زاد في ناظرة محمد وعلي وفاطمة..» جعلت فاطمة عليها السلام في الرتبة الثالثة.



المقالة التاسعة: إرهاصات النبوة في فاطمة عليها السلام

- * الأمر الأول: تكرر نزول الملائكة العظام عليها
- * الأمر الثاني: التعبير عما تتلقاه بالنزول
- * الأمر الثالث: تسالم المسلمين على الخصائص الاصطفائية لفاطمة عليها السلام
- * الأمر الرابع: التولد من النبي صلى الله عليه وآله ممزوج بالجينات النبوية.
- * الأمر الخامس: توصيفها بينوة أوصاف مقامات النبي صلى الله عليه وآله
- * الأمر السادس: مصحف فاطمة عليها السلام فيه تنزيل وتأويل القرآن.
- * علم جمع الجمع النبوي لدى فاطمة عليها السلام
- * إرهاصات الوحي
- * ذكر شؤونها وصلاتها من المصحف
- * مسألة: هل المصحف أكبر من القرآن

دلت على وجود إرهاصات للنبوة في فاطمة عليها السلام عدة نصوص وروايات، منها:

ما في زيارة عظيمة من زيارتها رواها بن طاووس في الإقبال والتي منها «..وسللت منها أنوار الأئمة، وأرخيت دونها حجاب النبوة»^(١).

وما رواه في الاحتجاج من قول أمير المؤمنين عليه السلام لها عليها السلام: «لا ويل لك بل الويل لسائتك، ثم نهني عن وجدك يا ابنة الصفاة، وبقية النبوة»^(٢).

وما رواه في المناقب عن النبي صلى الله عليه وآله: «فأنزل الله: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾، يقول [الله]: أنا أرسلت البحرين علي بن أبي طالب بحر العلوم، وفاطمة بحر النبوة»^(٣).

إن الملاحظ فيما يرتبط بشؤون مقام العلم اللدني لفاطمة عليها السلام ورود التعبير المتعدد من أئمة أهل البيت عليهم السلام بما يبين أن فاطمة عليها السلام وإن لم تكن نبية لكنها وعاء لنبوة أبيها، وأنها اختصت بشؤون نبوة أبيها وورثت تلك الشؤون عنه صلى الله عليه وآله، فهي وإن لم تكن نبية إلا أن جملة من شؤون الأنبياء والوحي النبوي النازل عليهم قد تحقق لها عليها السلام، فهي وإن لم تكن نبية إلا أنها واجدة لكمالات النبوة.

وقد أشير إلى هذه الشؤون في الروايات المستفيضة بألفاظ وعناوين عديدة، ونظيره المقام ما حررناه في الجزء الثاني من أن فاطمة عليها السلام وإن لم تكن إماما إلا أنها واجدة لكل مقامات الإمامة الإلهية بنص القرآن والسنة النبوية وسنة المعصومين القطعية، وكذلك الحال بالنسبة إلى مقام

(١) إقبال الأعمال، السيد ابن طاووس ٣ / ١٦٦

(٢) الاحتجاج، الشيخ الطبرسي ١ / ١٤٦

(٣) مناقب آل أبي طالب، بن شهر آشوب ٣ / ١٠١

النبوة والوحي النبوي.

ولبيان ذلك نذكر عدة أمور مرتبطة بشؤونها في هذا المقام توضح معنى ارخاء حجاب النبوة عنها ومعنى كونها بقية النبوة ومعنى كونها بحر النبوة.

الأمر الأول: تكرر نزول الملائكة العظام عليها ﷺ:

إن المستفاد من الروايات المستفيضة في مصحف فاطمة ؑ تعدد وتكرر نزول جبرئيل عليها بعد موت أبيها كما في قول الصادق ؑ في شرح مصحف فاطمة ؑ: (كان جبرئيل يأتيها فيحسن عزاها على أبيها ويطيب نفسها ويخبرها عن أبيها ومكانه ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها وكان علي يكتب ذلك فهذا مصحف فاطمة)^(١).

وهذا الحديث يبين أن مجيء جبرائيل ونزوله عليها كان باستمرار وأن قسما مهما من مصحفها كان نزوله تدريجيا وبنحو مستمر لا دفعة كما في قسم آخر من المصحف كما بيته رواية الباقر ؑ.

وهذا التعبير بحد نفسه أيضا مما يناسب شؤون الوحي النبوي وإن لم تكن بنية.

بل في بعض الروايات نزول إسرافيل وميكائيل عليها، بل في بعض الروايات جملة من الملائكة العظام.

وهذا الشأن من تكرر نزول جبرئيل والملائكة العظام لا يتحقق إلا للأنبياء أولي العزم ومن يتلو تلوهم من الأنبياء لا لسائر الأنبياء كما نبّه إلى ذلك المحقق الشاه آبادي ؑ حسب

(١) بصائر الدرجات، الصفار ١٧٤.

ما نقل عنه.

وقد شدّ المحقق القرطبي في (الجامع لأحكام القرآن) فذهب إلى كون مريم نبية لتحديث الملائكة لها وتمثل جبرائيل وتكلمه لها^(١)، مع أنه لم يحصل لمريم ما حصل لفاطمة عليها السلام من تكرر نزول جبرائيل فضلا عن اسرافيل وميكائيل ولا أنزل عليها مصحف ومع ذلك استدعى هذا الشأن في مريم القرطبي إلى القول بأنها نبية.

وهذا القول وإن كان خاطئا عن الحقيقة وشاذا بين علماء الأمة إلا أنه ينبه على أنه تحقق لمريم بعض شؤون النبوة وإن لم يكن نبوة حقيقية فكيف بها تحقق لفاطمة عليها السلام مما هو أعظم.

الأمر الثاني: التعبير عما تتلقاه بالنزول:

إنه ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام في بيان مصحف فاطمة عليها السلام تعبير الباقر عليه السلام بقوله: «انزل عليها بعد موت أبيها»^(٢).

وهذا التعبير نظير ما ينزل على الأنبياء عليهم السلام من كتب وكذلك نظير قوله عليه السلام: «فلما أراد الله تعالى أن ينزله عليها، أمر جبرئيل وميكائيل وإسرافيل أن يحملوا المصحف».

(١) وإذا تقرر هذا فقد قيل: إن الكمال المذكور في الحديث يعني به النبوة فيلزم عليه أن تكون مريم = وآسية نبيتين، وقد قيل بذلك، والصحيح أن مريم نبية، لأن الله تعالى أوحى إليها بواسطة الملك كما أوحى إلى سائر النبيين حسب ما تقدم ويأتي بيانه أيضا في (مريم)، وأما آسية فلم يرد ما يدل على نبوتها دلالة واضحة بل على صديقتها وفضلها، على ما يأتي بيانه في التحريم..... فظاهر القرآن والأحاديث يقتضي أن مريم أفضل من جميع نساء العالم من حواء إلى آخر امرأة تقوم عليها الساعة، فإن الملائكة قد بلغت الوحي عن الله عز وجل بالتكليف والابحار والبشارة كما بلغت سائر الأنبياء، فهي إذا نبية والنبي أفضل من الولي). الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) ٤ / ٨٣.

(٢) دلائل الامامة، محمد بن جرير الطبري (الشيعة) ١٠٥.

وهذا التعبير إنما يرد في وصف الوحي النبوي على عظام الأنبياء عليهم السلام، فهذه الارهاصات ارهاصات شؤون الوحي النبوي وإن لم تكن نية.

ونظيره قوله عليه السلام: «فهبطوا به وهي قائمة تصلي، فما زالوا قياماً حتى قعدت، ولما فرغت من صلاتها سلموا عليها وقالوا: السلام يقرئك السلام، ووضعوا المصحف في حجرها»^(١).

فهذا تعبير عن شؤون نزول الوحي النبوي ثم كيفية تعظيمهم لها وتسليمهم لها المصحف نظير نزول الألواح على النبي موسى عليه السلام ثم نقلهم قول الله لها بالسلام ولاسيما أنه عليه السلام ذيل هذا الشأن لها بوصفه: «ولقد كانت مفروضة الطاعة على جميع من خلق الله من الجن والإنس والطير والوحوش والأنبياء والملائكة»^(٢).

فبين عليه السلام ولايتها عليها السلام على جميع الأنبياء عليهم السلام وعلى جميع الملائكة وهذا إنما هو مقام خليفة الله في الأرض بل أعلى خلفاء الله في الأرض.

الأمر الثالث: تسالم المسلمين

على الخصائص الاصفائية لفاطمة عليها السلام:

الملفت للنظر أن ائمة أهل البيت عليهم السلام رغم تسترهم في بيان أسرار الإمامة الإلهية وطريق الارتباط الوحياني بينهم وبين الغيب والسماء وتعبيرهم عن قناة ارتباطهم بألفاظ وعناوين بعيدة عن الايهام بأنها وحي نبوي، بينما نراهم عليهم السلام في شأن مصحف فاطمة عليها السلام وكيفية نزوله عليها لا يتحاشون هذه التعبيرات التي هي خاصة بشؤون الأنبياء.

(١) مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النازي الشاهرودي / ٦ / ٢٠٨.

(٢) مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النازي الشاهرودي / ٦ / ٢٠٨.

وهذا مما ينبه على اصرار أئمة أهل البيت عليهم السلام على بيان عظمة شؤون مقام العلم الوحياني لفاطمة عليها السلام كما أن ذلك يؤشر على تسالم المسلمين على خصائص اصطفاوية إلهية في فاطمة عليها السلام فلا يستطيع المخالفون الانكار على أئمة أهل البيت عليهم السلام ما يبينونه من عظام شؤون علم فاطمة عليها السلام ولا يتخوفون من ايها ذلك بالقول بنبتها بعد بداهة أنها ليست بنبيه .

الأمر الرابع: التولد من النبي صلى الله عليه وآله ممزوج بالجينات النبوية:

إن خصوصية الوراثة والولادة من النبي صلى الله عليه وآله تعطي خصائص متميزة وراثيا، وقد أكد القرآن وأهل البيت عليهم السلام على خصوصية الوراثة وتأثيرها في النسل والسلالة نظير قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(١).

ونظير ذكر القرآن آل ابراهيم وآل موسى وآل هارون وآل داود فضلا عن ذكر آل ياسين وهم آل محمد.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَتَقَلَّبُكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾^(٢).

وكذلك قوله تعالى على لسان زكريا: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرْتُئِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾^(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾^(٤).

(١) سورة آل عمران: الآية ٣٤.

(٢) سورة الشعراء: الآية ٢١٩.

(٣) سورة مريم: الآية ٥-٦.

(٤) سورة النمل: الآية ١٦.

فضلا عما ورد في متواتر الزيارات المروية من نعت أئمة أهل البيت عليهم السلام بكيونتهم في الأصباب الشاخنة والأرحام المطهرة.

والحاصل إن تركيز الوحي على العامل الوراثي الحاضن شيء كبير لسنا في صدد الخوض والبسط فيه.

وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله في توصيف عمه أبي طالب عليه السلام: «لو أن أبا طالب ولد الناس لكانوا شجعانا»^(١).

وفي كشف الغمة «لله در أبي طالب لو ولد الناس كلهم كانوا شجعانا»^(٢).

وورد عنه قوله في شأن ابنه ابراهيم: «ولو عاش إبراهيم لكان نبيا»^(٣).

وهذا يعطي الميزة الوراثية للنبي صلى الله عليه وآله في سلالته أنها انبائية .

وقد ورد في شأن القاسم والطاهر ابناؤه من خديجة ما يدل على اصطفاؤهما، فعن حذيفة قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله حاملا للحسن على عاتقه والحسين على صدره،... ثم قال: هذا الحسن والحسين خير الناس جدا وجدة، وهذا الحسن والحسين خير الناس أما وأبا، وهذا الحسن والحسين خير الناس عما وعمة، وهذا الحسن والحسين خير الناس خلا وخالة.

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، الزمخشري ٢ / ٢٠٤ / شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١٠ / ٧٨.

(٢) كشف الغمة في معرفة الأئمة، الاربلي ٢ / ٢٣٥.

(٣) كنز جامع الفوائد / تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، السيد شرف الدين علي الحسيني الاسترآبادي ٨٣٢

/ تفسير فرات الكوفي، فرات بن ابراهيم الكوفي ٥٨٦ / حلية الأبرار، السيد هاشم البحراني ٢ / ٤٠٩ فتح الباري، ابن

حجر ١٠ / ٤٧٧ / كنز العمال، المتقي الهندي ١٢ / ٤٥٥.

أما جدّهما فرسول الله صلى الله عليه وآله وجدّتهما خديجة وهما في الجنة .

وأما أبوهما فعلي وأمهما فاطمة عليها السلام وهما في الجنة .

وأما عمهما فجعفر بن أبي طالب وعمتها أم هانئ ابنة أبي طالب وهما في الجنة .

وأما خالهما فإبراهيم والقاسم ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله وخالتهما رقية وزينب وأم كلثوم وهم

في الجنة^(١).

وروى في كشف الغمة عن يونس بن عبيد قال لما حضرت الحسن بن عليّ الوفاة كأنه

جزع عند الموت! فقال له الحسين عليه السلام - كأنه يعزيه - : يا أخي! ما هذا الجزعُ؟ إنك تردُّ على

رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَعَلِيِّ عليه السلام، وَهُمَا أَبَوَاكَ، وَعَلَى خَدِيجَةَ وَفَاطِمَةَ وَهُمَا أُمَّكَ، وَعَلَى الْقَاسِمِ

وَالطَّاهِرِ وَهُمَا خَالَكَ، وَعَلَى حَمْزَةَ وَجَعْفَرَ وَهُمَا عَمَّاكَ^(٢).

وهذا مما يدل على أن السلالة الوراثية عن سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله مزوجة بالجينة النبوية والطينة

الإنبائية.

الأمر الخامس: توصيفها ببنوة أوصاف مقامات النبي صلى الله عليه وآله:

يلاحظ في زيارة البضعة الصديقة عليها السلام - التي من فقراتها: «السلام عليك يا بنت رسول

الله، السلام عليك يا بنت نبي الله، السلام عليك يا بنت حبيب الله، السلام عليك يا بنت

(١) مناقب الإمام أمير المؤمنين، محمد بن سليمان الكوفي ٢ / ٤١١ شرح الأخبار، القاضي النعمان المغربي ١ / ١٢٠ / مناقب علي بن أبي طالب،

بن المغازلي ٢٤١ / الروضة في فضائل أمير المؤمنين، شاذان بن جبرئيل القمي (بن شاذان) ٩٠ / الطوائف في معرفة مذهب الطوائف،

السيد بن طاووس ٩٢ / حلية الأبرار، السيد هاشم البحراني ٢ / ١٤٥ / مدينة المعاجز، السيد هاشم البحراني ٣ / ٢٨٢.

(٢) كشف الغمة في معرفة الأئمة، الاربلي ٢ / ١٧٥

خليل الله، السلام عليك يا بنت صفي الله، السلام عليك يا بنت أمين الله، السلام عليك يا بنت خير خلق الله، السلام عليك يا بنت أفضل أنبياء الله ورسله وملائكته، السلام عليك يا بنت خير البرية»^(١) - التركيز على توصيفها ببنوة أو صاف مقامات النبي ﷺ .

فكيف يكون شأنًا ومقامًا لها ﷺ؟

ولبيان ذلك نقول: إن كل مقام من مقامات النبي ﷺ لا محالة ينعكس عليها وراثته، ولا سيما وأنها وريثة له بوراثته اصطفاوية، أي ترث مقاماته الاصطفائية باصطفاء الله لها كوارث، وما اعظمه من مقام وشأن.

ومن ثم قد يعد هذا المقام من أعظم مقاماتها، وهذا ما نراه بوضوح في رواية المفاضلة بينها وبين أمير المؤمنين ﷺ.

فهذا المقام يفتح عموم اتصافها بمقامات أبيها تبعًا ويا له من مقام.

الأمر السادس: مصحف فاطمة فيه تنزيل وتأويل القرآن:

روى في الكافي عن أبي بصير قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم جالسًا... ثم أتى الوحي إلى النبي ﷺ فقال: سألت سائل بعذاب واقع * للكافرين (بولاية علي) ليس له دافع * من الله ذي المعارج قال: قلت: جعلت فداك إنا لا نقرأها هكذا، فقال: هكذا والله نزل بها جبرئيل على محمد ﷺ وهكذا هو والله مثبت في مصحف فاطمة»^(٢).

(١) مصباح المتعجب، الشيخ الطوسي ٧١١ / تهذيب الاحكام، الشيخ الطوسي ٦ / ١٠ / من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق ٢ / ٥٧٣ / المزار، محمد بن جعفر المشهدي ٨٠.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني ٨ / ٥٨ ، تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، السيد شرف الدين علي الحسيني

وروى في شرح الأخبار عن أبي بصير، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد، عن أبيه، إنه قال في قول الله عز وجل: «سأل سائل بعذاب واقع، للكافرين ليس له دافع، من الله ذي المعارج»، قال: نزلت والله بمكة للكافرين بولاية علي عليه السلام، وكذلك هي في مصحف فاطمة^(١).

وفي البحار عن تأويل الآيات عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: والله ما كنى الله في كتابه حتى قال: «يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلانا خليلا» وإنما هي في مصحف فاطمة عليها السلام «يا ويلتي ليتني لم أتخذ - الثاني - خليلا» وسيظهر يوما^(٢).

وهذا مما يعطي عظمة أخرى لمصحف فاطمة عليها السلام أنه يضاهي مصحف علي عليه السلام الذي جمعه بخط يده وزیاد.

ومن ثمة ورد في روايات أخرى أن في مصحف فاطمة عليها السلام علم القرآن كما أنزل وعلم التوراة كما أنزل وعلم الانجيل كما أنزل وعلم الزبور كما أنزل فضلا عن الأبواب الأخرى في مصحفها عليها السلام.

وهذا المفاد بنفسه يبين هيمنة فاطمة عليها السلام على الأنبياء من أولى العزم علما، بل على الأئمة عليهم السلام من ذريتها علما وقدرة وولاية.

الاسترابادي ٧٢٤ / ما رواه محمد البرقي.

(١) شرح الأخبار، القاضي النعمان المغربي ١ / ٢٤١.

(٢) بحار الأنوار، المجلسي ٣٠ / ٢٤٥ ينقله عن كنز جامع الفوائد وتأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة.

علم جمع الجمع النبوي لدى فاطمة عليها السلام:

وإن علمها من جوامع العلوم النبويّة وإلى هذا يشير وصفها ببقية النبوة أو بحر النبوة أو أرخت دونها حجاب النبوة وليس المقصود نبوءات الأنبياء بل نبوة سيد الأنبياء.

ارهاصات الوحي:

وروى في بصائر الدرجات عن الصادق عليه السلام أنه قال: «إن الله تبارك وتعالى لما قبض نبيه صلى الله عليه وآله دخل على فاطمة من وفاته من الحزن ما لا يعلمه الا الله عز وجل فأرسل إليها ملكا يسلي عنها غمها ويحدثنا فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال لها إذا أحسست بذلك فسمعت الصوت فقولي لي فأعلمته فجعل يكتب كلما سمع حتى أثبت من ذلك مصحفاً.

قال ثم قال أما أنه ليس فيه من الحلال والحرام ولكن فيه علم ما يكون»^(١).

وروى بصائر الدرجات عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «وإن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام وما يدرهم ما مصحف فاطمة قال مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلث مرات والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد إنما هو شيء أملاها الله وأوحى إليها»^(٢).

وروى في بصائر الدرجات عن أبي عبد الله عليه السلام قال: مصحف فاطمة ما فيه شيء ما كتاب الله وإنما هو شيء القمي عليها بعد موت أبيها»^(٣).

وروى في دلائل الامامة عن أبي بصير، قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام عن

(١) بصائر الدرجات، محمد بن الحسن (الصفار) ١٧٧ / الكافي، الشيخ الكليني ١ / ٢٤٠.

(٢) نفس المصدر / ١٧٢.

(٣) بصائر الدرجات، الصفار / ١٦٩.

مصحف فاطمة عليها السلام فقال: انزل عليها بعد موت أبيها»^(١).

وهذه النصوص تبيّن مدى قابلية الزهراء عليها السلام لتنزل الملك عليها واحساسها به، ومن ثم تعلم أمير المؤمنين علي عليه السلام، وهذا نظير ما في الخطبة: «وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرَّسَالَةِ وَأُشْمُ رِيحَ النَّبُوَّةِ، وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ ﷺ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذِهِ الرَّنَةُ، فَقَالَ هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ آيَسَ مِنْ عِبَادَتِهِ، إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَتَرَى مَا أَرَى إِلَّا أَنْكَ لَسْتَ بِنَبِيِّ وَلَكِنَّكَ لَوْزِيرٌ وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ»^(٢).

وقد يثار تساؤل وهو إن التعبير بنزول أو بإلقاء مصحف لفاطمة عليها السلام من الله تعالى هل هو نظير نزول القرآن على محمد عليه السلام أو إلقاء التوراة لموسى عليه السلام والإنجيل لعيسى عليه السلام والزبور على داود عليه السلام؟

وهل فاطمة عليها السلام في عداد الأنبياء ينزل عليها كتاب ويلقى عليها مصحف؟

وكيف يتم التعبير من أئمة أهل البيت عليهم السلام إن المصحف «املاها الله وأوحى إليها، انزل عليها، القي عليها»؟

وهذه التعابير نظير نزول الكتب على الأنبياء لا سيما وأن المصحف كما بيّنت الروايات فيه علم القرآن كله وعلم التوراة كله وعلم الزبور كله، أي علم الكتب السماوية كلها غير ما فيه من أمور عظام كبيرة وكثيرة ومهولة، فأبي كتاب هذا؟

(١) دلائل الامامة، محمد بن جرير الطبري الشيعي ١٠٥.

(٢) نهج البلاغة، خطب الإمام علي (تحقيق صالح) ٣٠١.

وكيف أصبحت فاطمة عليها السلام من أصحاب الكتب في عداد وصف الأنبياء وإن لم تكن
بنية بالبديهة لكنها وصفت في الروايات في طرق الفريقين أنها بحر النبوة.

والتعبير بـ (بحر النبوة) فيه من الإشارة والتلويح الشيء العظيم حيث إنه يشير إلى أنها
معدن النبوة والنبوءات لسائر الأنبياء، وأنها مخزن نبوة أبيها الذي له أعظم النبوءات .

وقد مرّ أن أمير المؤمنين عليه السلام وصف أنه (بحر العلم) بينما وصفت هي بـ (بحر النبوة)،
وفي ذلك إشارة واضحة إلى أن سنخ مستقى علم أمير المؤمنين عليه السلام هو علم الولاية، بينما سنخ
مستقى الصديقة عليها السلام هو علم النبوة فمن ثم شوهد فيها ارهاصات النبوة ونزول هذا الكتاب
العظيم عليها وإن لم تكن بنية.

ومن الملفت للنظر أن هذا المصحف ليس علمه لعموم الناس، بل ولا لعموم العلماء،
بل ولا لعموم الأنبياء، بل هو خاص خصيص بأئمة أهل البيت عليهم السلام .

فما السرّ السّار في علم هذا الكتاب الذي حجب عن جميع الأنبياء وخص به أئمة أهل
البيت عليهم السلام ومن ثم ورد في شأنها أن الخلق فطموا عن معرفتها بما فيهم الأنبياء والرسل «وأن
على معرفتها دارت القرون الأولى»^(١).

ولعل أحد أهم معاني (دارت) الحيرة والتحير.

ذكر شؤونها وصلاتها من المصحف:

ففي مصححة أبي بصير في دلائل الإمامة وقد رواها عن أعلام زعماء الإمامية قال:

(١) الأمالي، الشيخ الطوسي ٦٦٨.

سألت أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام عن مصحف فاطمة عليها السلام، فقال: انزل عليها بعد موت أبيها.

فقلت: ففيه شيء من القرآن؟ قال: ما فيه شيء من القرآن.

قال: قلت: فصفه لي، قال: له دفتان من زبرجدتين على طول الورق وعرضه حمر اوين

قلت له: جعلت فداك صف لي ورقه، قال: ورقه من در أبيض قيل له: (كن) فكان .

قلت: جعلت فداك، فما فيه؟

قال: فيه خبر ما كان، وخبر ما يكون إلى يوم القيامة، وفيه خبر سماء سماء، وعدد ما في سماء سماء من الملائكة، وغير ذلك، وعدد كل من خلق الله مرسلا وغير مرسل، وأسماءهم، وأسماء الذين أرسلوا إليهم، وأسماء من كذب ومن أجاب منهم، وفيه أسماء جميع من خلق الله من المؤمنين والكافرين، من الأولين والآخرين، وأسماء البلدان، وصفة كل بلد في شرق الأرض وغربها، وعدد ما فيها من المؤمنين، وعدد ما فيها من الكافرين، وصفة كل من كذب، وصفة القرون الأولى وقصصهم، ومن ولي من الطواغيت ومدة ملكهم وعددهم، وفيه أسماء الأئمة وصفتهم، وما يملك واحدا واحدا، وفيه صفة كراتهم، وفيه صفة جميع من تردد في الأدوار من الأولين والآخرين.

قال: قلت: جعلت فداك وكم الأدوار؟ قال: خمسون ألف عام، وهي سبعة أدوار،

وفيه أسماء جميع من خلق الله من الأولين والآخرين وآجالهم، وصفة أهل الجنة، وعدد من يدخلها، وعدد من يدخل النار، وأسماء هؤلاء وأسماء هؤلاء، وفيه علم القرآن كما أنزل، وعلم التوراة كما أنزلت، وعلم الإنجيل والزبور، وعدد كل شجرة ومدرّة في جميع البلاد .

قال أبو جعفر عليه السلام: فلما أراد الله تعالى أن ينزله عليها، أمر جبرئيل وميكائيل وإسرافيل أن يحملوا المصحف فينزلوا به عليها، وذلك في ليلة الجمعة من الثالث الثاني من الليل، هبطوا به عليها وهي قائمة تصلي، فما زالوا قياما حتى قعدت، فلما فرغت من صلاتها سلموا عليها، وقالوا لها: السلام يقرئك السلام، ووضعوا المصحف في حجرها .

فقلت لهم: الله السلام، ومنه السلام، وإليه السلام، وعليكم يا رسل الله السلام، ثم عرجوا إلى السماء، فما زالت من بعد صلاة الفجر إلى زوال الشمس تقرأه، حتى أتت على آخره .

ولقد كانت عليها السلام طاعتها مفروضة على جميع من خلق الله من الجن والإنس، والطير والبهائم، والأنبياء والملائكة.

فقلت: جعلت فداك فلما مضت إلى من صار ذلك المصحف؟ فقال: دفعته إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فلما مضى صار إلى الحسن، ثم إلى الحسين، ثم عند أهله حتى يدفعوه إلى صاحب هذا الأمر .

فقلت: إن هذا العلم كثير!

فقال: يا أبا محمد، إن هذا الذي وصفته لك لفي ورقتين من أوله، وما وصفت لك بعد ما في الورقة الثالثة، ولا تكلمت بحرف منه^(١).

وفي هذه الرواية بيان لما يتضمنه المصحف وهو في الحقيقة بيان لمواطن ولاية فاطمة عليها السلام

(١) دلائل الإمامة، محمد بن جرير الطبري (الشيعة) ١٠٤، ١٠٦.

وهيمنتها في التدبير.

وكتابة هذه الحقائق العظيمة المهمولة في مصحفها ليس مجرد إنباء وإخبار، وإنما هو بيان مواطن وموارد مسؤولياتها ومحال رعايتها لتلك الأمور وتديرها لها وصلاحياتها الموكلة لها من الله تعالى، ولا سيما مع ما تمت الإشارة إليه من أن مصحف فاطمة عليها السلام ليس مجرد ورق منقوش بل أصله روح من عالم الأمر وإنما هذا المنزل تنزّل له وهذا شأن جميع الكتب السماوية النازلة، وبالتالي فإن هذا الروح من عالم الأمر هو مقام وقدرة تكوينية مهيمنة على أرواح الكتب السماوية.

مسألة: هل المصحف أكبر من القرآن:

وقد يعترض أن هذا الشأن المهمول العظيم لمصحف فاطمة عليها السلام ولا سيما أنه حقيقة ملكوتية تفوق بقية الكتب السماوية، فهل هذا يعني أنه قد أنزل على فاطمة عليها السلام ما لم ينزل على سيد الرسل صلّى الله عليه وآله، وهل يعني ذلك أن كتابها يعظم كتاب أبيها، وكيف يصار إلى ذلك؟

والجواب:

١) قد بين في الروايات أنه إملاء من رسول الله صلّى الله عليه وآله، أي من مقامه النوري وقلبه الذي هو بيت الله المعمور وخط علي عليه السلام.

ولا منافاة بين ما ورد من أنه إملاء الله إليها وأوحى إليها وبين ما ورد أنه إملاء من رسول الله صلّى الله عليه وآله لكنه إملاء منه بعد رحيله إلى الرفيق الأعلى.

والحاصل أن ما نزل على فاطمة عليها السلام إنما هو من فيوضات النبي صلّى الله عليه وآله، أي أنه فيض الله

على فاطمة عليها السلام بتوسط النبي صلى الله عليه وآله.

وقد قرر أهل البيت عليهم السلام قاعدة في معارفهم قد عقد لها الكليني بابا في أصول الكافي وهي أن ما ينزل على عترة النبي صلى الله عليه وآله من علوم وكمالات وفيوضات إنما هي من الله بتوسط وواسطة من النبي صلى الله عليه وآله، فهو الشافع التكويني لنزول الفيض لهم من الله تعالى.

(٢) إن ما ذكر من شؤون في مصحف فاطمة عليها السلام إنما هو باطن حقيقة القرآن وتأويلاته . وقد ورد نظير هذه المقامات والشؤون لمنازل ومقامات القرآن الغيبية.

وأما ما ورد في عدة روايات أن مصحف فاطمة عليها السلام ليس فيه (شيء من قرآنكم) فالمراد به تنزيل القرآن وهو المصحف الشريف، ومن ثم عليها السلام أضاف القرآن إلى الناس (قرآنكم).

(٣) قد بينا في كتاب (مقامات النبوة) أن ما يشير إليه القرآن من مقامات النبي صلى الله عليه وآله هي أعظم من القرآن، وأن القرآن العظيم هو أحد بحور النور النابع من مقامات النبي صلى الله عليه وآله.

ومن ثم قدمت مقامات النبي صلى الله عليه وآله الغيبية المشار إليها بالحروف المقطعة في بديات السور على اسم الكتاب نظير قوله تعالى: ﴿يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾^(١)، ونحو ذلك.

وقد اشار إلى ذلك زين العابدين عليه السلام في الصحيفة السجادية في ذكر الصلوات وهي: (وقلت جل قولك له حين اختصاصته بما سميته من الأسماء: ﴿طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ وقلت عز قولك: ﴿يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ وقلت تقدست أسماؤك ﴿ص * وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ وقلت عظمت آلاؤك ﴿ق * وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ فخصصته أن جعلته

قسمك حين أسميته وقرنت القرآن به، فما في كتابك من شاهد قسم والقرآن مردف به إلا وهو اسمه، وذلك شرف شرفته به، وفضل بعثته إليه، تعجز الألسن والأفهام عن وصف مرادك به»^(١).

وقد ذكر عليها السلام في الرواية السابقة جملة مواطن لولايتها وهيمنتها ومقام تديرها:

(١) خبر ما سيكون إلى عالم القيامة.

والظاهر أن المراد من ذلك مستقبل العوالم من البرزخ والرجعة والرجعات إلى يوم القيامة.

(٢) عدد كل سماء سماء.

(٣) وعدد ما في سماء سماء من الملائكة، وغير الملائكة.

(٤) وعدد الأنبياء المرسلين وغير المرسلين، وأسماء الذين أرسلوا إليهم، وأسماء من كذب ومن أجاز منهم.

وهذه احاطة عظيمة بمسؤوليات الأنبياء عليهم السلام.

(٥) أسماء جميع من خلق الله من المؤمنين والكافرين، من الأولين والآخرين.

وهذا ديوان حساب الخلائق يوم القيامة مما يبين أنها عليها السلام ولية الحساب.

(٦) أسماء البلدان، وصفة كل بلد في شرق الأرض وغربها، وعدد ما فيها من المؤمنين، وعدد ما فيها من الكافرين.

(١) الصحيفة السجادية، الامام زين العابدين (الابطحي) ٣١١ دعاؤه × في يوم الفطر.

وهذا مما يدل على ولايتها ﷺ على كل أهل الأرض ورعايتها وتديرها لهم.

(٧) صفة القرون الأولى وقصصهم، وصفة أسماء جميع من خلق الله من الأولين والآخرين وأجالهم.

وهذا ما يدل على أن ولايتها ﷺ قبل ولادتها، وأنها شاهدة على كل الخلق، وأنها وليّة الحساب على الإنس والجن والملائكة وغيرهم من المخلوقات.

(٨) ومن ولي من الطواغيت ومدة ملكهم وعددهم.

(٩) وفيه أسماء الأئمة وصدقتهم، وما يملك واحد واحد، وفيه صفة كراتهم.

وكون مصحفها ﷺ حاويا لأسماء أئمة أهل البيت ﷺ نظير ما ورد من نزول اللوح الأخضر المدوّن فيه أسماء الأئمة ﷺ واسم النبي ﷺ واسم الوصي ﷺ ليس شأن هذا التدوين لأسمائهم يقف عند كونه سجل ملكوتي دوّن فيه مقامات سادات الأوصياء فحسب، بل إن في ذلك اطلاع وإنباء عن أخطر أسرار المقامات الإلهية، وهو بيان أسماء أئمة العترة ﷺ .

وهذا مما يبين أنها ﷺ ذات صلة وشأن بتعيين وجعل الله لإمامة أئمة أهل البيت ﷺ، فإن لاطلاع الله تعالى لها ﷺ على هذا الجعل الإلهي العظيم دلالة واضحة أنها معنيّة بشؤون الأئمة من ذريتها كما أنها معنيّة بنبوة أبيها ﷺ وإمامة بعلمها ﷺ شراكة تبعية لسيد الأنبياء وسيد الأوصياء.

وكذلك أنها ﷺ مهيمنة على إمامة ذريتها ﷺ، ففي صحيحة سليمان بن خالد الواردة

حول منازعة بني الحسن وادعائهم الإمامة في زمان الصادق عليه السلام قال سمعته يقول: (إن في الجفر الذي يذكرونه لما يسؤهم لأنهم لا يقولون الحق والحق فيه فليخرجوا قضايا علي عليه السلام وفرايضه إن كانوا صادقين، وسلوهم عن الخالات والعمات وليخرجوا مصحف فاطمة فإن فيه وصية فاطمة ومعه سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إن الله يقول إيتوني بكتاب من قبل هذا أو إثارة من علم أن كتتم صادقين)^(١)، وكذا صحيحة هشام بن سالم.

ومفاد هذا الصحيح كما بيناه في الجزء الأول من كتاب المقامات دال بوضوح على أن مقام الإمامة في ذريتها هو من شؤون وصيتها، ووصية الموصي إنما تتعلق بموارد وشؤون ولايته.

فهذا المفاد دال بوضوح على أنها عليها السلام ذات مقام ولائي مشرف ومهيمن على إمامة الأئمة عليهم السلام من ذريتها.

(١٠) وفيه صفة جميع من تردد في الأدوار من الأولين والآخرين، وأن كل دور خمسون ألف عام، وهي سبعة أدوار.

وهذا مما يدل على أن ولاية فاطمة عليها السلام محيطة بدورات الخلق السابقة نظير ما ورد أن جابر بن يزيد قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿أَفَعَيْنَا بِالْخُلُقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ فقال: يا جابر تأويل ذلك أن الله عز وجل إذا أفنى هذا الخلق وهذا العالم وأسكن أهل الجنة الجنة وأهل النار النار جدد الله عز وجل عالما غير هذا العالم وجدد عالما من غير فحولة ولا إناث يعبدونه ويوحدونه، وخلق لهم أرضا غير هذه الأرض تحملهم وسماء غير هذه

(١) بصائر الدرجات، محمد بن الحسن (الصفار) ١٧٧.

السماء تظلمهم، لعلك ترى أن الله عز وجل إنما خلق هذا العالم الواحد، وترى أن الله عز وجل لم يخلق بشرا غيركم، بل والله لقد خلق الله تبارك وتعالى ألف ألف عالم وألف ألف آدم أنت في آخر تلك العوالم وأولئك الآدميين^(١)، إلى غير ذلك مما يشير في الروايات إلى دورات الخلق السابقة.

(١) وصفة أهل الجنة، وعدد من يدخلها، وعدد من يدخل النار، وأسماء هؤلاء وأسماء هؤلاء.

وهذا بيّن ولايتها ﷺ على الحساب نظير ما ذكر من مقام لأمر المؤمنين ﷺ أنه قسيم الجنة والنار فقد روى في الأمالي عن عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: (معاشر الناس، إن عليا قسيم النار، لا يدخل النار ولي له، ولا ينجو منها عدو له، إنه قسيم الجنة، لا يدخلها عدو له، ولا يزحزح عنها ولي له)^(٢).

وقال ﷺ: «أنا قسيم الجنة والنار ادخل أوليائي الجنة وادخل أعدائي النار»^(٣).

وورد في زيارته ﷺ: «السلام عليك يا قسيم الجنة والنار»^(٤).

(١٢) وفيه علم القرآن كما أنزل، وعلم التوراة كما أنزلت وعلم الإنجيل والزرور.

وهذا إشارة إلى هيمنة مصحفها ﷺ على الكتب السماوية وهي ما تلقته عن نور النبي ﷺ وقلبه الذي هو البيت المعمور وليس عن بدنه، إذ قد أنزل عليها وأوحى إليها بعد

(١) الخصال، الشيخ الصدوق: ٦٥٢.

(٢) الأمالي، الشيخ الصدوق: ٨٣.

(٣) بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار ٤٣٥.

(٤) الكافي، الشيخ الكليني ٤ / ٥٧٠.

شهادة أبيها.

ومصحفها مهيمن على تنزيل القرآن، إذ قد مر أن هذا المصحف الشريف متطابق مع باطن القرآن.

(١٣) وتنصيصه عليه السلام بقوله: (طاعتها عليها السلام مفروضة على جميع من خلق الله من الجن والإنس، والطير والبهائم، والأنبياء والملائكة) لأجل أن يبعد عن ذهن الراوي توهم الاعتراض على هول ما في مصحف فاطمة عليها السلام من عظام الأمور من أسرار أمر الله ووحيه فيجيبه عليه السلام بأن مقام ولايتها عليها السلام مهيمن على الخلق كلهم بما فيهم الأنبياء وجميع الملائكة.

فكيف لا يكون ما اوحى إليها من المصحف مشتمل على هذه المقامات والشؤون العظيمة من الصلاحيات والولايات في العوالم كُلِّها!.

(١٤) ووصف المصحف الشريف في الرواية «له دفتان من زبرجدتين على طول الورق وعرضه حمراوين، وورقه من در أبيض»، وأنه مشتمل على ورق وأن ما حكاه عليه السلام إنما هو ورقتين.

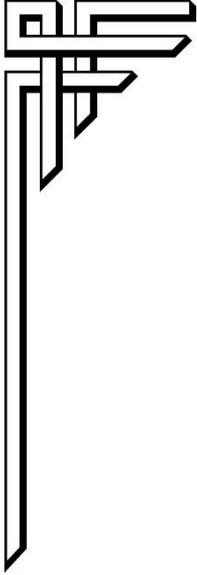
فيه إشارة إلى أن فيه أمور عظام لم يتحملها أبو بصير وهي من الأسرار الخاصة بأئمة أهل البيت عليهم السلام والظاهر ارتباطها بشؤون إمامتهم.

ومن ثم ورد في الرواية أن من علامات إمامة الإمام قبضه لمصحف فاطمة عليها السلام، فعن أبي بصير قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «ما مات أبو جعفر عليه السلام حتى قبض مصحف

فاطمة عليها السلام ^(١).

وكل ما ذكره الإمام عليه السلام من شؤون وصلاحيات لفاطمة عليها السلام في العوالم المذكور في ورقتين من مصحفها، فكم بقي من ورق؟

(١) بصائر الدرجات، محمد بن الحسن (الصفار) ١٧٨.



المقالة العاشرة: الكفوية

- * منهج الاستدلال على المقامات
- * حديثا الثقلين والكفوية قرآنيان
- * فوائد من حديث الكفوية
- * الفائدة الأولى: المديح الشخصي في القرآن اصطفاء إلهي
- * الفائدة الثانية: ضرورة إرجاع معادلات الروايات للقرآن
- * الفائدة الثالثة: علم فاطمة عليها السلام أسماي جامع
- * الفائدة الرابعة: علو رتبها على الأنبياء ما عدا الخاتم
- * لفظة معرفية
- * اشكالية الكفوية الاجتماعية
- * تقريب ثالث لحديث الكفاءة
- * سؤال حول الكفوية
- * تنافسها قربي لا قبلي
- * وصيتها لعلي عليه السلام وشركتها في الأمر

من عظيم مقاماتها وأعلى شؤونها عليها السلام ما ورد في الرواية المستفيضة: «لولا أن أمير المؤمنين عليه السلام

تزوجها لما كان لها كفو إلى يوم القيامة على وجه الأرض آدم فمن دونه»^(١).

منهج الاستدلال على المقامات:

ويحسن في البداية أن ننبه على مطلب مغفول عنه عند الخاصة فضلا عن العامة في

منهج الاستدلال على مقامات أهل البيت عليهم السلام.

وهو أن أكثر مقاماتهم عليهم السلام إذا ما كان كلها ورد دليلها في القرآن فضلا عن السنة

المطهرة، وعليه فما جاء في السنة ليس تأسيسا لأمر ليس في القرآن، وإنما هو شرح وبسط بلغة

معرفية يفهمها الناس.

فلو وضع الباحث يده على كل رواية حكمت مقاما لهم عليهم السلام وتذرع بالتنقيب العلمي

بلا كلل لوجد أن القرآن قد طرح ذلك في معادلة من معادلاته الجزلة.

حديثا الثقلين والكفؤية قرآنيان:

خذ مثالا على ذلك معادلة ملازمة الثقلين في الحديث المشهور، فقد دار الجدل العلمي

كررا بين الشيعة وأهل الخلاف في أن المعادلة الروائية النبوية هل هي ملازمة (الكتاب والسنة) أم

هي ملازمة (الكتاب والعترة)؟

وبغض النظر عن امكانية الجمع بين المعادلتين وعن كثرة ورود المعادلة في كتب

الفريقين بهذا النحو (كتاب الله وعترتي)^(٢) إنه بغض النظر عن كل ذلك فإن الشيعة فضلا عن

(١) الخصال، الشيخ الصدوق/ ٤١٤.

(٢) روى في البصائر عن أبي جعفر أنه قال: «دعا رسول الله أصحابه بمنى قال يا أيها الناس انى تارك فيكم الثقلين اما ان

تمسكتم بهما لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي فإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض...». بصائر الدرجات، الصفار/

السنة لم يتوسلوا لرفع النزاع ببيان أن احدى المعادلتين قرآنية في الأصل .

والحال أن المحققين أخيرا يعبرون عن بعض الآيات بأنها حديث الثقلين القرآني، أي أنه بالتتبع والتعمق تبين أن الملازمة بين الثقلين (الكتاب والعترة) ملازمة قرآنية قبل أن تكون روائية، والقرآن هو من أسسها وما في الروايات إنما هو صياغة أخرى لما في القرآن، وواحدة من آيات الثقلين في القرآن قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾^(١).

ونظيره ما نحن فيه فإن مقام الكفوية بين فاطمة وعلي عليهما تأسيسه من القرآن في آيات كثيرة وتبينه روائي، فإن آيات الولاية وآيات القربى أسست لكفوية فاطمة وعلي عليهما قبل حديث المفاضلة وحديث الكفوية، وبالتالي فهما صدى وانعكاس عن ما في القرآن الكريم، وسيجيء ذلك تحت قوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾^(٢).

وكم لهذا المنهج في الاستدلال من ثمار جليلة سواء على مستوى تقوية اليقين بمقاماتهم عليهم أو على مستوى توضيح الحق في الحواريات المذهبية.

إذ أن الاستدلال بالقرآن وحده عادة ما يواجه بالاحتمالات الكثيرة تأويلا، كما أن الاستدلال بالسنة المطهرة وحدها يواجه إما بأنها روايات خاصة وإما برميها بالضعف

٤٣٤ . وروى في فضائل الصحابة عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله: «إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعدي واحد منها أكبر من الآخر كتاب حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي إلا وأنها لن يفترقا حتى يردا علي الحوض» فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل ٢/ ٥٨٥ .

(١) سورة آل عمران: الآية ٧.

(٢) سورة الرحمن: الآية ١٩.

السندي رغم رواية رواة الفريقين لها، ولا يمكن التخلص من هذه الاشكالات الا بمنهج معية الثقلين، وبيان المعادلات القرآنية بمحكّمات معادلاته وبولاية أهل البيت عليهم السلام.

فوائد من حديث الكفوية

وفي حديث الكفوية عدة فوائد:

الفائدة الأولى: المدح الشخصي في القرآن اصطفاً إلهي:

إن المدح في لسان الوحي على نحوين:

أولهما: أن ينصب المدح في لسان الوحي على وصف عام وعنوان عام ينطبق على أفراد

كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾^(١).

وثانيها: أن ينصب المدح الوحياني على العنوان الشخصي والهوية الشخصية لواحد

بعينه، أو على عنوان مشير لشخصه.

وهذا النمط من المدح في لسان الوحي يعني الاصطفاء ويشير للمقام والمنصب

الإلهي والموقعية الدينية، وليس من عادة الوحي أن يمدح بالعنوان الشخصي ويكون المشار

(١) سورة الفتح: الآية ١٨.

إليه في الشخص من قبيل الكمالات المعتادة .

وحدث الكفؤية من قبيل الثاني، أي مدح بلسان وحياني لفاطمة وعلي عليهما السلام وسيتين أنه يحكي عن مقام اصطفاء لهما وعن كمال وسؤدد غير اعتيادي فيها.

الفائدة الثانية: ضرورة إرجاع معادلات الروايات للقرآن:

إن معادلات الروايات كما هي معادلات القرآن إذا ما أرجعت لمطالب ومعادلات محكمة وواضحة فيها فإنه يتبين عمق الدلالة المطروحة، فإذا قورن في روايات لسان الوحي بين علي وهارون عليهما السلام أو بين فاطمة ومريم فهذا بالتالي ارجاع للقرآن في معادلات شبيهة توخيا للتوضيح والتبيين، أي على الباحث أن ينقب قرآنيا عن مقامات هارون ليتعرف على نسخ المقامات التي تثبت لعلي عليه السلام، وليفتش عن سؤدد مريم في القرآن ليعرف أي سؤدد وعلو لفاطمة عليها السلام، ولهذا الارجاع غايات مهمة:

منها: بيان أن ما في القرآن من مقامات الأولياء السابقين إنما هي أمثلة ضربت لبيان مقامات الأولياء في أمة الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم.

ومنها: إن الإرجاع خير وسيلة لدفع الاستنكار والاستبعاد الذي يخالج أذهان الكثيرين عند تعداد مقامات أهل البيت عليهم السلام، إذ أن وجود نظائرها في القرآن ينتج أنها ليست بدعا وليست أمرا منكرا.

وفي حديث الكفؤية جعلت موقعية آدم صفي الله دون موقع فاطمة عليها السلام، فيكون لهذا الحديث لوازم وأبعاد وإشارات مهمة لا تقرأ في سطحه بل تقرأ في اللغة الاشارية له، فكأنه يعزو الباحث للقرآن ليتعرف على موقعية آدم فيه ليكون دليلا له في استيعاب مقامات

فاطمة عليها السلام.

(١) ومما يشير إليه القرآن أن آدم عليه السلام أول نبي من أنبياء الله وفي ذلك يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(١).

وفي قراءة عبد الله بن عباس (وآل محمد على العالمين) فعن هشام بن سالم قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا﴾ فقال: هو آل إبراهيم وآل محمد على العالمين، فوضعوا اسماً مكان اسم^(٢).

فأول الأصفياء في سلسلة النبوات زمانا وليس رتبة هو آدم، وبحسب رواية البحث يكون اصطفاء فاطمة عليها السلام فوق اصطفاء آدم رتبة.

(٢) كما أن أحد مقامات آدم أنه نبي، أي له علم من جهة النبوة، فيكون العلم الذي لفاطمة عليها السلام من جهة النبوة فوق ما لآدم.

(٣) ومما ثبت لآدم قرآنياً أنه خليفة الله في الأرض كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٣).

وإذا ثبتت الخلافة عن الله لآدم في الأرض فكيف بمن كان فوق آدم، فيثبت بدلالة الحديث النبوي والتأمل القرآني أن فاطمة عليها السلام خليفة الله في الأرض بل ويثبت أن خلافتها أعظم من خلافة آدم.

(١) سورة آل عمران: الآية ٣٣.

(٢) تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي ١ / ١٦٨.

(٣) سورة البقرة: الآية ٣٠.

ولو سأل سائل: إن ما لآدم من مقامات قد نص عليه القرآن، والقرآن لم ينص على ما تقولونه في فاطمة عليها السلام؟

فجوابه إنه بعد ثبوت حديث الكفؤية وشهرته يكون بنفسه تنصيب على كون فاطمة عليها السلام خليفة الله وولية الأمر.

وأيضاً مما دل عليه القرآن أن ولاية آدم وطاعة أمره افترضت على جميع الملائكة وطبقاتهم أي على جبرائيل واسرافيل وميكائيل ورضوان خازن الجنان ومالك خازن النيران، ومن فوقهم.

حَيْثُ إِنَّ الآيَاتِ الْمُتَعَدَّةَ تَفِيدُ فَرَضَ طَاعَةِ آدَمَ عَلَى عَمُومِ الْمَلَائِكَةِ بِلَا اسْتِثْنَاءٍ ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾^(١).

فَقَدْ دَلَّتْ الآيَةُ عَلَى التَّعْمِيمِ بِدَوَالٍ مُتَعَدَّةٍ، بِلِ طَبِيعَةِ الأَمْرِ بِالْخُضُوعِ لَوَلايَةِ آدَمَ أَخَذَتْ بِنَحْوِ صَارِمٍ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ﴿فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾^(٢).

فليس المطلوب السجود حتى لو كان عن تراخ بل سجود فوري وقهري وصارم فضلاً عن أنه منتهى الخضوع والتسليم.

فلآدم ولاية تكوينية وولاية تشريعية لا بمعنى أنه يفعل بهواه وبمشيئته بل ضمن برنامج المشروع الإلهي فهو القائد والملائكة أتباعه وتحت إمرته.

(١) سورة الحجر: البية ٣٠.

(٢) سورة الحجر: الآية ٢٩.

وملف أنشطة الملائكة في القرآن عظيم ومبسوط فما من مجال إلا ولهم فيه نشاط وفعل، فما من أمر في الأرض أو في السماء أو في الهواء أو أمر من الموت أو أمر من الحياة إلا ولهم فيه النشاط الأكبر وفيه يقول تعالى: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا * فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا * فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا * فَالْمُتَسَّمَاتِ أَمْرًا﴾^(١).

ولا تقتصر أنشطتهم على عالم الدنيا بل عظيم نشاطهم سيكون في يوم القيامة ﴿ثُمَّ الْجَحِيمِ صَلْوُهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾^(٢).

وتعداد أنشطة الملائكة بحسب القرآن خارج عن إحاطتنا، غير أن كل الملائكة بأنشطتهم تحت نظام قيادة خلفاء الله، وخلافة الله طبقات وآدم طبقة من الخلافة وتتلوه سلسلة من طبقات الخلافة.

ويتحصل أن كل ما ثبت لآدم من ولاية تكوينية في الدنيا والآخرة وما ثبت له من حكومة على الملائكة بنص القرآن تكون بنمط أعلى وأشرف ثابتة لفاطمة عليها السلام بنص حديث الكفوية.

ثم إن ولاية آدم لم يثبتها القرآن الكريم لمريم، لكننا استفدنا من خلال الجمع بين السنة والقرآن ثبوت سنخ ولايته لفاطمة عليها السلام، إلا أن ما لفاطمة عليها السلام من ولاية مشابهة لولاية آدم نحوها أعلى وأشرف لكونه ليس كفوا لها، فآدم ومن تحت إمرته وفي ولايته تحت طاعة وولاية فاطمة عليها السلام.

(١) سورة الذاريات: الآية ١ - ٤.

(٢)

ونفس سورة البقرة تدل على أن الخلافة طبقات وأنه فوق خلافة آدم طبقات باعتبار أن تشرف آدم بالخلافة كان نتيجة توسل آدم بما هو أكبر منه كما في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(١).

ولم يقل (عرضها) مما يدل على أنها أسماء حية وغير جامدة وأنها شاعرة وغير ساكنة.

فما هي تلك الأسماء؟؟

لقد أفصح الحديث الشريف بأن تلك الموجودات الحية الشاعرة العاقلة الموجودة قبل آدم بوجود نوري واضح في ملكوت السماء هم أهل البيت عليهم السلام وفيهم فاطمة عليها السلام.

وبالتالي فإن الحديث يدل على أن ولاية آدم وبما يندرج تحتها مندرجة تحت ولاية فاطمة عليها السلام.

وفي نفس السورة عندما يحاسب الباري ويعاتب إبليس يخاطبه بهذا الخطاب: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِيٍّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾^(٢).

ولفظة (العالين) في الآية تشير إلى العالين على آدم عن أن يطيعوه، أي لهم علو حقيقي مقامي على الملائكة بل على أمر الملائكة وهو آدم، فهم فوق أن يسجدوا ويخضعوا له، وفاطمة من العالين على آدم الذين اندرج آدم بما تحته تحت ولايتهم^(٣).

(١) سورة البقرة: الآية ٣١.

(٢) تفسير العسكري/ ٢١٧.

(٣) سورة ص: الآية ٧٥.

(٤) روى في صفات الشيعة عن أبي سعيد الخدري قال كنا جلوسا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ أقبل إليه رجل

فيدل وينص حديث الكفؤية على أن فاطمة عليها السلام من العالين، أي أنها من الأسماء الإلهية النورانية الحية الشاعرة قبل وجودها البدني، فهي وجود ملكوتي مفترض الطاعة ومن ذلك العالم.

الفائدة الثالثة: علم فاطمة عليها السلام أسمائي جامع:

ومن فوائد حديث الكفؤية أن لفاطمة عليها السلام سنخا خاصا من العلم، إذ إن قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ يشير إلى العلم المعبر عنه بالعلم الاسمائي وهو علم جامع وبه استحق آدم الخلافة، فيثبت أن لفاطمة عليها السلام علما اسمائيا جامعا وبنحو أعلى مما ثبت لآدم ببركة حديث الكفؤية.

الفائدة الرابعة: علو رتبتها على الأنبياء ما عدا الخاتم:

ومن الفوائد العالية لحديث الكفؤية - الذي لا ينتهي رفده ونميره الصافي - علو وتعالى رتبة فاطمة عليها السلام على رتب الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، لأن في الحديث صدرا وذبيلا، وصدرة هو قوله: (لولا أن أمير المؤمنين) وبهذه الفقرة والضابطة يكون الصدر أعظم من الذيل وهو قوله: (آدم فمن دونه) لأن عليا عليه السلام ميزان كبير وأكبر من ميزانية آدم ومن دونه في الرتبة إلا

فقال يا رسول الله اخبرني عن قوله عز وجل لإبليس ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ فمن هو يا رسول الله الذي هو أعلى من الملائكة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله انا وعلى وفاطمة والحسن والحسين كنا في سرادق العرش نسبح الله وتسبح الملائكة بتسبيحنا قبل ان يخلق الله عز وجل آدم بألفي عام فلما خلق الله عز وجل آدم أمر الملائكة ان يسجدوا له ولم يأمرنا بالسجود فسجد الملائكة كلهم الا إبليس فإنه أبي (و) لم يسجد فقال الله تبارك وتعالى ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ عني من هؤلاء الخمسة المكتوبة أسماؤهم في سرادق العرش فنحن باب الله الذي يؤتى منه بنا يهتدى المهتدى فمن أحبنا أحبه الله وأسكنه جنته ومن أبغضنا أبغضه الله وأسكنه ناره ولا يجننا الا من طاب مولده. صفات الشيعة، الصدوق/ ٨.

أن نرجع قوله (آدم فمن دونه) إلى الحيشية الزمانية لا إلى الحيشية الرتبية أي دونه زمانا فيشمل كل الأنبياء عدا سيد الأنبياء' وحيثئذ تتطابق الضابطتان.

وعلى كل حال فإن حصر الكفوية في علي عليه السلام - بنص القرآن وبيانات أهل البيت عليهم السلام وتعليمهم - يدل على أن عليا عليه السلام يفوق مقام بقية الأنبياء من أولى العزم والرسول، لأنه جعل عدلا لمن لا يكافؤها آدم ومن دونه، هذا مضافا إلى أن القرآن وصفه بأوصاف لم يصف بها ابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وغيرهم، منها أنه عليه السلام بمنزلة نفس النبي صلى الله عليه وآله وهو وصف لم يصف به القرآن أحدا من النبيين.

بل حصر الكفوية في علي عليه السلام دون البقية هو دليل أعظمية علي عليه السلام على سائر الأنبياء عدا الخاتم صلى الله عليه وآله من جهة، ومن جهة أخرى هو بنفسه دليل أعظمية فاطمة عليها السلام على الحسين عليه السلام وعلى الحجة وبقية المعصومين عليهم السلام لأن مرتبة ومقام عدلها وهو علي عليه السلام فوق رتب المعصومين.

ولأن أولاد أمير المؤمنين عليه السلام في عالم الأنوار هم أولاد فاطمة عليها السلام فلا يمكن أن يكونوا لها كفوا في الزواج، والمسألة قبل ترتيب النسل والترتيب في النسل بيد الله هو المقدم وهو المؤخر.

وقد اعترضت إحدى زوجات النبي صلى الله عليه وآله على وصفه عليا عليه السلام بالأخوة، فقد روى في المناقب عن علي عليه السلام قال: جاء رسول الله صلى الله عليه وآله ذات ليلة يطلبني فقال: يا أم أيمن أين أخي؟

قال: فقالت له: من أخوك؟

قال: علي.

قالت: أخوك وتزوجه ابتتك؟ قال: نعم أما والله لقد زوجته شريفا في الدنيا والآخرة ومن المقربين»^(١).

ومضمون جوابه ﷺ هو أنه أخي في النور وليس أخا في البدن، وأخوة البدن مانعة عن الزواج دون أخوة النور.

لفتة معرفية:

إن إخبار النبي ﷺ عن الأخوة النورية يفتح بابا يفتح منه ألف باب، منها إن قول النبي ﷺ: «كنت نبيا وآدم بين الماء والطين»^(٢) محصله أنه حسب عالم النور يكون سيد الأنبياء ﷺ أبا لآدم وأبا لعبد الله والده وأبا لإبراهيم، والأب هنا بمعنى المنشأ.

وقوله ﷺ: «يا علي، أنا وأنت أبوا هذه الأمة»^(٣) يشمل الأنبياء لأن كل النبيين من أمة سيد الأنبياء ﷺ وتابعون ومنقادون له ورسل عنه، وفي الرجعة تكون الأمم أمة واحدة تحت سلطانه ومنقادين له ومتعبدين بشريعته.

والأبوة هي أبوة نور لكل الأنبياء وأحكام عالم النور مغايرة لأحكام عالم البدن. ولذا فقولهم ﷺ «لولا أمير المؤمنين» لا يشير إلى خلقه بحسب الولادة والبدن بل

(١) مناقب الإمام أمير المؤمنين، محمد بن سليمان الكوفي ١ / ٣١٠.

(٢) مناقب آل أبي طالب، بن شهر اشوب ١ / ١٨٣، عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور الاحسائي ٤ / ١٢١. ويؤيده قوله ﷺ «نبئت وآدم بين الروح والجسد» الاحتجاج، الطبرسي ٢ / ٢٤٨، الفضائل، شاذان بن جبرئيل القمي ٣٤، وقوله: (كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد) المستدرک، النيشابوري ٢ / ٦٠٩، كنز العمال، المتقي الهندي ١١ / ٤٠٩، ويؤيده قول أمير المؤمنين ﷺ: «صدفته وآدم بين الروح والجسد» الأمالي، المفيد ٦. الأمالي، الطوسي / ٦٢٦.

(٣) الأمالي، الشيخ الصدوق / ٧٥٥، علل الشرائع، الصدوق ١ / ١٢٧، روضة الواعظين، النيسابوري / ٣٢٢.

بحسب عالم النور، أي لو لم يخلق نور علي عليه السلام لم يكن لفاطمة عليها السلام كفؤ، ليس بحسب البدن والتزاوج البدني، بل حتى بحسب تزاوج عالم الأنوار لأن آدم ها هنا وبحسب البدن أب لفاطمة عليها السلام فلو كان بحسب البدن فكيف يتم الحديث؟

ولذا ورد حتى في علاقتها بعلي عليه السلام: «يا محمد زوج النور من النور».

وعليه فقوله عليه السلام: «لو لا أمير المؤمنين» هذا ليس ملحوظ فيه عالم البدن بل وقبل تقدير وقضاء عالم البدن وهندسة عالم الدينا وفي عالم الأنوار، فليس لها كفؤ إلا علي عليه السلام بعد سيد الأنبياء عليه السلام، وسيد الأنبياء ليس كفؤا لفاطمة عليها السلام بل أعلى منها.

كما أن هذا الحديث الشريف دليل على أن رتبة فاطمة عليها السلام رتبة مشاركة لرتبة علي عليه السلام في الولاية، وإن كان لها مرتبة تتلو مرتبته في حيثيات معينة.

وهذا دليل على أن موقع فاطمة عليها السلام في الكائنات وفي الملكوت وفي الأنوار وفي الخلائق وفي الحجية وفي الدين وفي الصلاحية وفي المنصب بعد الله ورسوله عليه السلام قرن بأمر المؤمنين عليهم السلام.

فلا يتأتى لأحد من المعصومين عليهم السلام غير علي عليه السلام أن يعدل فاطمة عليها السلام، وقد بينا سابقا في آية الفيء أن لها أمرية على أولادها.

وسيجيء في مقالة مستقلة حول مقامها الأم أن لها ولاية على الأحد عشر عليهم السلام.

ونفس هذه المعادلة والرسم المعرفي والتسلسل المقامي مبين في حديث الكفاءة.

اشكالية الكفوية الاجتماعية:

قد يقول قائل لقد شرقتم وغربتم واطلتم وافضتم في بسط معارف حديث الكفوية إلا أننا يمكن أن نعالج مفاد الحديث بالالتفات إلى مسألة فقهية واضحة وهي مسألة الكفوء في باب الزواج ومرادهم الكفوء في باب الحسب والنسب والرتبة الاجتماعية.

وهذا هو المقصود من الكفوية ولا دخل لعالم الأنوار وعالم الحجية وعالم الاصطفاء وغيره ولا موجب لهذا البسط والغور وإنما المسألة وبكل وضوح تختصر في باب الكفوية الاجتماعية.

والجواب:

نقبل من السائل تفسيره الكفوء بهذا المعنى لكن هذا المعنى للكفوء منظو فيه كل شيء، لأن الكفوء الاجتماعي بحسب توصيات الدين ليس بحسب المال بالأصل لأن المؤمن كفوء المؤمنة، وإنما هو بحسب ديني ولا تنفي الشؤون الاجتماعية التي أدرجها جملة من الفقهاء، لكن الشؤون المادية الدنيوية لا مانع فيه لكن الأصل فيها هو الدين أي الدين ودرجات الدين والإيمان هو الكفوية في الأصل.

وعليه ما هو دين آدم عليه السلام؟

إن دينه دين النبوة والاصطفاء ودين عصمة وخلافة الهية، وإذا كان تدين وعصمة وطهارة واصطفاء آدم ليس بدرجة ما لفاطمة عليها السلام من دين وعصمة وطهارة واصطفاء، وإنما بدرجة دينها وطهارتها واصطفائها وعلمها درجة علي عليه السلام فقط و فقط فهو رجوع لنفس روح المطلب الذي قررناه.

هذا مضافا إلى أن الحسب والشرف في منطق الدين غير الحسب والشرف لدا البشر،
وحسب وشرف الدين أشير إليه في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَأَكُمُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ
خَيْرٌ﴾^(١).

وهذا هو المرعي توصيته في الروايات.

وحسب علي عليه السلام ليس في نسبه القبلي وإن كان نسبه اصطفائيا وإنما حسب علي عليه السلام في
الاصطفاء نفسه.

تقريب ثالث لحديث الكفاءة:

وهناك تقريب ثالث لأصل مفاد الحديث يعرف بملاحظة مساجلات الصحابة مع
بني هاشم، وهي نوع من المنازلة تجري دائما بين قبائل العرب أو بين قريش وبني هاشم،
ومنها وهي متواترة عند المسلمين ما رواه علي بن إبراهيم: أن صفية بنت عبد المطلب مات
ابن لها فأقبلت، فقال لها الثاني غطي قرطك فإن قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله لا تنفعك شيئا،
فقال له هل رأيت لي قرطا يا بن اللخناء، ثم دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبرته بذلك
وبكت، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله فنادى الصلاة جامعة، فاجتمع الناس.

فقال ما بال أقوام يزعمون أن قرابتي لا تنفع لو قد قربت المقام المحمود لشفعت في
أحوجكم، لا يسألني اليوم أحد من أبواه إلا أخبرته، فقام إليه رجل فقال من أبي فقال أبوك
غير الذي تدعى له أبوك فلان بن فلان، فقام آخر فقال من أبي يا رسول الله؟

فقال أبوك الذي تدعى له، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما بال الذي يزعم أن قرابتي لا تنفع

(١) سورة الحجرات: الآية ١٣.

لا يسئلي عن أبيه، فقام إليه الثاني فقال له أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله اعف عني عفى الله عنك فأنزل الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ - ألى قوله - ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾^(١).

ومفادها في نقاط:

(١) كان لصفية شأن ففي حرب الأحزاب قتلت يهوديا وهي بنت عبد المطلب، وبنت عبد المطلب عظام، وقد دفنت في البقيع وبقرها مدفونة أم البنين وعاتكة.

ومن شأنها أن النبي ﷺ غطى الحمزة سيد الشهداء لكي لا تراه صفية.

(٢) أحاديث واقعة استهزاء ذلك الصحابي بصفية متواترة ومرصودة في كتب الفريقين.

(٣) إن غضب النبي ﷺ لا يكون إلا غضبا وحيانيا ولا يكون إلا غضبا إلهيا، بل لا يكون غضبه عقليا كما في موسى فقد كان غضبه عقليا قال تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ﴾^(٢) سكت مقابل نطق أي هو عقلي، لكن غضب نبينا ﷺ وحياني، وهو منزه حتى عن الغضب العقلي لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٣).

(٤) إن الغضب الذي أبداه النبي ﷺ كان لأجل الاستهزاء بمقام اصطفتائي لبني هاشم، ومقام الأصطفاء مرة يكون في الدائرة الأولى وتارة يكون للدائرة الثانية، وقد حققناه في بحوث تحت الطبع.

(١) تفسير القمي، علي بن ابراهيم القمي ١ / ١٨٨.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٥٤.

(٣) سورة القلم: الآية ٤.

(٥) الاصطفاء في دائرة بني هاشم ليس تعصبا وإنما هو عناية من الله أي أن الأصلاب الطاهرة الشاخنة والأرحام المطهرة اصطفاء وفعل الله تعالى، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(١).
فهو فعل من الله وتقدير واعداد رباني.

وسواء ثبتت قراءة بن عباس (وآل محمد على العالمين) أم لم تثبت ففي القرآن آية أخرى وهي قوله: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ﴾^(٢) والمقصود آل محمد.

(٦) حتى لو بنينا على الكفوية بمعنى البعد الاجتماعي فهذا البعد في بني هاشم نسبا وحسبا وفخارا وهو اصطفائي، وبينت الآيات أن حسب ونسب وفخار بني هاشم اصطفائي وليس بشريا وقبليا في قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٣) وفي قراءة كثير من القراء: (ورهلك المخلصين).

فقد روى في الأمالي عن الريان بن الصلت، قال: حضر الرضا عليه السلام مجلس المأمون بمرو، وقد اجتمع في مجلسه جماعة من علماء أهل العراق وخراسان... قالت العلماء: فأخبرنا هل فسر الله عز وجل الاصطفاء في الكتاب؟

فقال الرضا عليه السلام: فسر الاصطفاء في الظاهر سوى الباطن في اثني عشر موضعا وموطنا، فأول ذلك قوله عز وجل: (وأنذر عشيرتك الأقربين ورهلك المخلصين) هكذا في

(١) سورة آل عمران: الآية ٣٣.

(٢) سورة الصافات: الآية ١٣٠.

(٣) سورة الشعراء: الآية ٢١٤.

قراءة أبي بن كعب، وهي ثابتة في مصحف عبد الله بن مسعود، وهذه منزلة رفيعة وفضل عظيم وشرف عال حين عنى الله عز وجل بذلك الآل، فذكره لرسول الله ﷺ، فهذه واحدة^(١).

وهذه القراءة سواء كانت قرآنية أو تأويلا نبويا فهي تدل على أن رهط النبي ﷺ مخلصين له وللدین.

والغريب أنهم لا يشبونها في القرآن وهي موجودة في أكثر القراءات.

وأحد أعمدة بني هاشم أبو طالب، فلو سألت أين يشهد القرآن لأبي طالب بالاصطفاء؟

جوابه في آية الانذار السابقة، وفي موضع آخر يشهد القرآن لأبي طالب بمقام الاصطفاء في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾^(٢).

فالله يسند فعل أبي طالب لنفسه وهو فعل منه أجراه على يد أبي طالب، وهذا معناه أنه فعل اصطفائي، فهو نظير قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾^(٣).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾^(٤).

فدوما يسند الله الفعل الاصطفائي إلى جنده ويسنده إلى نفسه لأنهم لا يفعلون إلا بأمر

(١) الأمامي، الشيخ الصدوق / ٦١٨.

(٢) سورة الضحى: الآية ٦.

(٣) سورة الأنفال: الآية ١٧.

(٤) سورة السجدة: الآية ١١.

منه تعالى .

والمحصلة أن هناك أحاديث متواترة عديدة دلت على اصطفاء بني هاشم، وبالتالي لو اخذنا كفاية فاطمة عليها السلام في بعدها الاجتماعي والحسب والنسب فإن اصطفاء الله لها في الحسب والنسب والفخار والشرف أعظم من اصطفاء آل ابراهيم وغيرهم وهذا مثبت في الروايات، فقد بين عليه السلام أن الله لا زال يصطفيه من اصفياء، فقد روى في الأمالي عن جابر قال رسول الله عليه السلام: يا جابر «إن الله تعالى لما أحب أن يخلقني، خلقني نطفة بيضاء طيبة، فأودعها صلب أبي آدم عليه السلام، فلم يزل ينقلها من صلب طاهر إلى رحم طاهر إلى نوح وإبراهيم عليهم السلام، ثم كذلك إلى عبد المطلب، فلم يصبني من دنس الجاهلية، ثم افرقت تلك النطفة شطرين: إلى عبد الله وأبي طالب، فولدني أبي فحتم الله بي النبوة، وولد علي فحتمت به الوصية... الحديث»^(١).

يعني تطهير بعد تطهير، أي أطهر فاطهر وأصفي فاصفي، فصفاء آل ابراهيم دون بني هاشم فكيف بغير آل ابراهيم؟

والاصطفاء الأعظم لبني هاشم ومن هو أعظم في الاصطفاء لا كفؤ له إلا أن يكون من دائرة اصطفائهم أعظم .

فتبين أن الكفؤ حتى بحسب النسب والشرف والفخر الاجتماعي يكون في لبة الاصطفاء.

وسيجيء زيادة في بيان الكفوية بين علي وفاطمة في آية (مرج البحرين).

سؤال حول الكفوية:

ما هو المقصود من حجية فاطمة عليها السلام وكيف تكون حجة على علي عليه السلام؟ ألا يتعارض مع

ماله من كمال؟

الجواب:

لا يخفى أن مقام أمير المؤمنين علي عليه السلام مقدم على مقام فاطمة عليها السلام من جهات، وإن كان بينهما اشتراك تكافؤ في الحجية من جهات.

وهكذا حال الولاية بينهما، والتكافؤ مقتضاه المعية في الولاية والحجية كوزيرين لسيد الأنبياء' كما ورد في نصوص الفريقين أنهما البحران في قوله تعالى (مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) وهذه الصورة التي يرسمها القرآن كأصل لهندسة بيان الولاية والحجية بين علي وفاطمة' ومن بعدهما الائمة عليهم السلام من ذريتهما وبينما البرزخ المهيمن عليهما هو النبي صلى الله عليه وآله.

وغير ذلك من الدلائل القرآنية والسنة القطعية الدالة على التكافؤ من جهات وأفضلية علي عليه السلام من جهات أخرى.

والمعية التكافؤية لا تستلزم نقص في الحجج وإلا استلزم تفضيل الرسل والأنبياء بعضهم على بعض نقصاً فيهم.

كما أن تقدم الخضر عليه السلام من جهة على موسى النبي عليه السلام من أولي العزم وتقدم موسى على الخضر من جهة لا يستلزم نقص فيهما كما لم يستلزم تساويهما في المحصلة النهائية فإن

موسى عليه السلام في المحصل المجموعي أفضل من الخضر عليه السلام كما بعض الروايات.

ولباب المطلب:

(١) إن نسبة مقامها عليها السلام لعل عليه السلام تختلف عن نسبة مقامها لبقية الأئمة عليهم السلام فإنها في الثاني

مهيمنة ولاية وحجية كما سيأتي.

وأما في الأول فتكافؤ من جهات وأفضلية وتقدم لعل عليه السلام من جهات .

(٢) إن ائتلاف جهاز المصطفين كمجموع دولة إلهية كل يقوم بدور وموقع لا يحتاج إلى

من هو خارج الجهاز الإلهي من الرعية.

وأما تعاضد الجهاز بعضه ببعض فلا يستلزم نقصا في أي منهم.

أليس جبرئيل عليه السلام ينزل بالوحي على النبي صلى الله عليه وآله مع أن النبي صلى الله عليه وآله أفضل من جبرئيل في

كل الكمالات بلحاظ مرتبة نور النبي صلى الله عليه وآله لا بدنه أو نفسه النازلة.

وهذه الشؤون لا بد من الالتفات إليها.

قد يقال: إلا إن تعبير الحجية على عليه السلام معناه ما هو؟ فهل هو بحاجة لمصحفها؟

الجواب:

ليس الحجية على عليه السلام بنسق ما في بقية الأئمة عليهم السلام كما مر مفصلاً.

أما أخذه عليه السلام بما أنزل عليها فهو مفاد روايات مصحفها التي روتها طائفة الإمامية.

وهذا على نسق أخذ النبي صلى الله عليه وآله ما يوحيه إليه جبرئيل عليه السلام الزاما مع أنه صلى الله عليه وآله أفضل من

جبرئيل .

فلو قيل: هل المراد والمقصود من الحجية كونها منبع علم وواسطة ليس أكثر؟

الجواب:

العلم اللدني الوحياني ليس وساطة رواية كالرواية بل وساطة فيض كمالات وولاية لكن بالمعنى غير المنافي للأفضلية إذا كما إذا قايسنا نور النبي ﷺ مع جبرئيل بخلاف جسده ونفسه النازلة .

تنافسهما قربي لا قبلي:

روى في المناقب عن عائشة أنه قال علي عليه السلام للنبي ﷺ لما جلس بينه وبين فاطمة عليها السلام وهما مضطجعان: أينا أحب إليك أنا أو هي؟

فقال عليه السلام: هي أحب إلي وأنت أعز علي منها^(١).

وفي المناقب في خبر عن جابر بن عبد الله: أنه افتخر علي وفاطمة بفضائلهما، فأخبر جبرئيل للنبي 'أنهما قد أطالا الخصومة في محبتك فاحكم بينهما، فدخل وقص عليها مقالتهما ثم أقبل على فاطمة عليها السلام وقال: لك حلاوة الولد، وله عز الرجال، وهو أحب إلي منك.

فقالت فاطمة عليها السلام: والذي اصطفاك واجتباك وهدى بك الأمة لا زلت مقرة له

ما عشت^(٢).

(١) مناقب آل أبي طالب، بن شهر آشوب ٣ / ١١٢ .

(٢) نفس المصدر.

والسؤال من سيد الأوصياء عليه السلام وسيدة النساء عليها السلام ليس تفاخر عصبية قلبية أو عنصرية ولا مجرد تغالب، بل تنافس في القرب من رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا القرب لا محالة اصطفائي ومرتبب بالمقامات.

كما أن جوابه صلى الله عليه وآله ليس عاطفة بشرية طبيعية نازلة كغرائز طبيعية نفسانية بل جوابه بحسب القرب الاصطفائي من مقامه صلى الله عليه وآله النوري الاصطفائي، فعندما تخص فاطمة عليها السلام بالأكثر حبا ويتميز أمير المؤمنين عليه السلام بالأكثر عزا فهذا يعني تكافئهما عليهما السلام من جهات.

وصيتها لعلي عليه السلام وشراكتها في الأمر:

روى في معاني الأخبار عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: لما حضرت فاطمة عليها السلام الوفاة دعيتي فقالت: أمنفذ أنت وصيتي وعهدي؟ قال: قلت: بلى، أنفذها.

فأوصت إلي وقالت: إذا أنا مت فادفني ليلا ولا تؤذنن رجلين ذكرتهما^(١).

وفي نسخة أخرى في أنوار اليقين أنه لما حضرت فاطمة عليها السلام الوفاة، دعت عليا عليه السلام فقالت: أمنفذ أنت وصيتي وعهدي، أو والله لأعهدن إلى غيرك، فقال عليه السلام: بلى أنفذها، فقالت عليها السلام: إذا أنا مت فادفني ليلا ولا تؤذنن بي أبا بكر وعمر^(٢).

فكانت إرادتها عليها السلام أن تنجز وصيتها بنحو الحتم، وهذه الإرادة الحتم منها كمسؤولية تقع على عاتقها لبناء صرح الدين، ولا تريد أن تفرط في القيام بهذه المسؤولية الملقاة على

(١) معاني الأخبار، الشيخ الصدوق ٣٥٥، ٣٥٦.

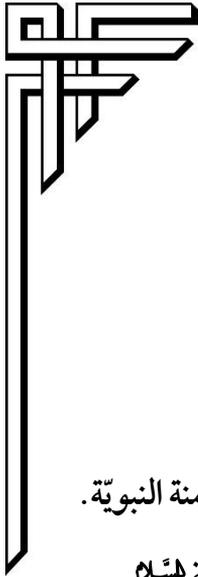
(٢) أنوار اليقين (مخطوط) ٢٧ / اللجنة العاصمة ٣٠٣.

عاتقها وإن كان أمير المؤمنين عليه السلام معذورا في عدم القيام بها، فكان اللازم عليها عليها السلام على هذا التقدير لو فرض أن توفي وتعهد لغير أمير المؤمنين عليه السلام لإنجاز ذلك.

وهذا مما يشير إلى أن فاطمة عليها السلام كانت تتشاطر مع أمير المؤمنين عليه السلام في القيام بمسؤوليات حفظ الدين كلا منهما في عرض الآخر وإن كان كل منهما قد أختص بوظائف مسؤول عنها، ولا بد له من القيام بها وإن كان الآخر معذورا أو ممنوعا عن القيام بها.

ثم إن مضمون ومفاد هذا الخطاب من فاطمة عليها السلام لأمر المؤمنين عليهم السلام إنما هو من الكفو للكفو في الولاية ولو في بعض المساحات المشتركة، بخلاف بقية الأئمة الأحد عشر عليهم السلام فإنه لم يكن لهم هذا الشأن مع أبيهم أمير المؤمنين عليه السلام.

فإذا كان هذا شأنها عليها السلام مع أمير المؤمنين عليه السلام فتبين بوضوح هيمنتها بوضوح على أولادها عليهم السلام.



المقالة الحادية عشر: شراكتها لعلي عليه السلام وتقدم رتبته عليها السلام على رتبة أولادها

* التوازن والعدل بين اقتضاء البحرين وأثارهما هو ببرزخ الهيمنة النبوية.

* رتبة فاطمة عليها السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام ثم الحسين ثم التسعة عليهم السلام.

قال تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ * فَبِأَيِّ آءِ رَبِّكُمَا تُكذَّبَانِ * يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾^(١).

هذه الآية الكريمة من الطوائف الدالة على مرتبتها عليها السلام ودرجة مرتبتها، وقد ذكرت هذه

الفضيلة لها عليها السلام في مصادر عديدة من الفريقين وبأسانيد كثيرة.

فقد روى بن شهر آشوب في مناقبه: (وفي الحديث ان آسية بنت مزاحم ومريم بنت

عمران وخديجة يمشين أمام فاطمة عليها السلام كالحجاب لها إلى الجنة، وفي الحساب من سيدة الحور

من ولد آدم كلهم، وزنه أم الحجج فاطمة البتول)^(٢).

وروى علي بن إبراهيم في تفسيره موثقة يحيى بن سعيد القطان (الطارخ ل) قال:

سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول في قول الله تبارك وتعالى ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ

(١) سورة الرحمن: الآية ١٩ - ٢٢.

(٢) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب ٣ / ١٠٥.

لا يُعْجَبَانِ ﴿١﴾ قال علي وفاطمة بحران عميقان لا ينبغي أحدهما على صاحبه «يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان» قال الحسن والحسين عليهما السلام، وقال علي بن إبراهيم في قوله: «مرج البحرين يلتقيان» أمير المؤمنين وفاطمة عليها السلام «يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان» الحسن والحسين عليهما السلام ﴿١﴾.

وفي طريق الصدوق في الخصال قال: «علي وفاطمة عليهما السلام بحران من العلم عميقان» ﴿٢﴾.

وروى قريبا منه بهذا التأويل بطرق أخرى محمد بن العباس بن مهيار عن الصادق عليه السلام تارة بطرق مسندة وعن أبي سعيد الخدري وعن بن عباس وعن أبي ذر ﴿٣﴾.

وفي المناقب ذكر بن شهر آشوب ثمان مصادر من كتب الحديث والتفسير أنهم رووا عن سعيد بن جبير، وسفيان الثوري، وأبو نعيم الأصفهاني مسندا عن أنس وعن بن عباس والقاضي النطنزي عن سفيان بن عيينه بهذا المضمون.

وفي المناقب لابن المغازي ﴿٤﴾.

وروى الثعلبي بسنده إلى سفيان الثوري في ذيل الآية ﴿٥﴾.

وروى بن شهر آشوب في مناقبه عن أبي معاوية الضرير عن الأعمش عن أبي صالح عن ابن عباس إن فاطمة عليها السلام بكت للجوع والعري، فقال النبي صلى الله عليه وآله: اقنعي يا فاطمة بزوجك فوالله إنه سيد في الدنيا سيد في الآخرة، وأصلح بينهما فأنزل الله: (مرج البحرين يلتقيان) يقول: أنا

(١) تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي ٢ / ٣٤.

(٢) الخصال، الشيخ الصدوق / ٦٥، وفي روضة الواعظين، الفتال النيسابوري ١٤٨.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، السيد شرف الدين علي الحسيني الأسترآبادي ٢ / ٦٣٦.

(٤) مناقب علي بن أبي طالب، ابن المغازلي ٢٩٤.

(٥) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (تفسير الثعلبي)، الثعلبي ٩ / ١٨٢.

الله أرسلت البحرين: علي بن أبي طالب بحر العلوم، وفاطمة بحر النبوة، يلتقيان يتصلان، أنا الله أوقعت الوصلة بينهما.

ثم قال: (بينهما برزخ) مانع رسول الله ﷺ يمنع علي بن أبي طالب عليه السلام أن يحزن لأجل الدنيا، ويمنع فاطمة عليها السلام أن تخاصم بعلمها لأجل الدنيا (فبأي آلاء ربكم) يا معشر الجن والإنس (تكذبان) بولاية أمير المؤمنين وحب فاطمة الزهراء (فاللؤلؤ) الحسن عليه السلام (والمرجان) الحسين عليه السلام، لأن اللؤلؤ الكبار، والمرجان الصغار، ولا غرو أن يكونا بحرين لسعة فضلها وكثرة خيرهما، فإن البحر سمي بحرا لسعته، وأجرى النبي ﷺ فرسا فقال: وجدته بحرا^(١).

ولا يخفى سر التعبير عنهما بالبحرين في الآية الكريمة فإنه مطابق لما في بيانات الوحي المستفيضة في الآيات والرويات عن عوالم الملكوت مما دون العرش أو فوقه بالبحر والبحور، فالتقاء البحرين إلتقاء واقتران وتناسب وتناسق وتوافق وتوازن وترابط شأنين ملكوتين ذوي هول عظيم.

وبعبارة أخرى:

إن تكيّف موجودين جوهريين ماديين عن التزاحم والتدافع والتنافر إلى التواؤم والتلاؤم والتأثير المشترك الموحد يتوقف على إعدادات تكوينية وكونية عديدة، فكيف الحال بموجودين من عالم الملكوت، وكيف الحال بموجودين من أعلى مراتب الملكوت، ألا ترى إلى صعوبة انقياد الملائكة لجعل خليفة لله تعالى إلى أن أطوعهم الله عز وجل إلى ذلك الخليفة

(١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب ٣ / ١٠١.

والملائكة من عالم الملكوت، وكذلك لاحظ قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يُخْتَصِمُونَ﴾ * إِنَّ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ * إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ^(١)، ولعله يشير إلى ما ذكرناه من اختصاص الملائكة في شأن استخلاف خليفة الله وجعل آدم خليفة، ونظير اعتراض النبي إبراهيم عليه السلام وهو من أولي العزم على إهلاك قوم لوط فقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ * يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ^(٢)، ونظير ما جرى بين الخضر وموسى إلى غير ذلك من الموارد التي يستعرضها القرآن والروايات لبيان احتياج الملائكة المقربين أو الأنبياء المرسلين إلى هاد موفق بينهم مما يدل على أن شؤون عوالم الملكوت والموجودات الملكوتية تحتاج توفيق بينها بمهيمن عليهم.

وهذا شأن ملحوظ حتى في الأسماء الإلهية فإن لكل إسم إلهي حكما وآثارا واقتضاء لا بد من التوفيق والتوافق بينه وبين حكم إسم آخر وتأثيره وآثاره واقتضائه.

ومن ثم يلاحظ في الآيات والروايات أن الأسماء الإلهية المركبة الشفع أكبر رتبة من أفراد تلك الأسماء، وأما الإسم الفرد المهيمن عليها فهو وتر أعلى رتبة من الشفع، فالشفع في الأسماء أعلى من وتر الأسماء المشفوعة، ولكن الوتر المهيمن عليها أعلى من شفعا، نظير السميع العليم فإن السميع بوتره والعليم بانفراذه دون الشفع في السميع العليم، بينما (الله) الإسم الوتر المهيمن على السميع العليم أعلى رتبة منها، وكذلك الحال فيما بين (الله) و

(١) سورة ص: الآية ٦٩ - ٧١.

(٢) سورة هود: الآية ٧٥ - ٧٦.

(تبارك) و (تعالى) بالمقارنة مع (هو) أي أن الثلاثة منفردة دون الثلاثة الشفع لكنها شفعا دون وتر (هو)، وهذا يستفاد من أوائل آيات سورة الحديد وأواخر آيات سورة الحشر كما بيته روايات أهل البيت عليهم السلام.

فإذا تقرر ذلك فيتبين خطورة وأهمية مفاد قوله تعالى: (مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان)، ولا سيما وأن التعبير ورد بلفظة (مرج) والمروج في كل بحر يزيد هول الحقيقة، فالبحر من جهة أنه بحر فيه هول العظمة، وإذا أسند إليه المرج والمروج إزداد هول العظمة أكثر، وإذا التقى هول عظمة كل بحر مع الآخر إزداد الهول هولا والعظمة عظمة، لكن التوازن والعدل بين اقتضاء البحرين وأثارهما هو ببرزخ الهيمنة النبوية، وهذا سر عظمة خطب هذه الآية الكريمة في شأن علي وفاطمة، وهو سر هول خطب تزويج علي من فاطمة عليها السلام.

رتبة فاطمة عليها السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام

ثم الحسنين ثم التسعة عليهم السلام:

روى في المحتضر عن بن عباس قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: (ليلة عرج بي إلى السماء .. فرأيت سرير علي وعلي واقف يصلي وفاطمة عن يمينه والحسن والحسين عن شماله يصلون بصلاته والملائكة تنزل عليهم أفواجا أفواجا تقف في نورهم وتسمع قراءتهم..)^(١).

فوقوفها عليها السلام عن يمين أمير المؤمنين عليه السلام دون خلفه مع أن الحكم في بقية الناس أن تقف في الخلف، كما أن وقوفها عن اليمين والحسنان عن الشمال لا العكس هو مؤشر ومنبه علي

(١) المحتضر، الخلي ح ١٥٦ / ١٤٦.

تقدم رتبها على الحسين عليه السلام، كما أن وقفها على يمينه دون خلفه دال على أن مقام علي عليه السلام وإن تقدم عليها عليها السلام إلا أن بينهما نحو من المشاركة والكفوية كما هو مقتضى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث قال: هبط علي جبرئيل فقال: يا محمد إن الله عز وجل يقول: لو لم أخلق عليا، لم يكن لفاطمة بنتك كفو على وجه الأرض، من آدم ومن دونه^(١).

وقد أشرنا فيما تقدم من الأجزاء المطبوعة في مقاماتها أن مستفيض روايات النور الدالة على صدور نورها ثالثا، ولا ينافي ما في لسان البعض الآخر من صدور نورها بعد الاثني عشر، فإنه لا تعرض فيه لوساطة أنوار الاثني عشر في إيجاد وصدور نورها، بخلاف اللسان الأول الأكثر استفاضة، والأول محمول على خلقة أنوارهم قبل العرش بينما الثاني يتعرض إلى طبقات أنوارهم الأخرى ما دون العرش.

وفي رواية الروضة والفضائل بالإسناد - يرفعه - إلى عبد الله بن أبي أوفى عن رسول الله ' أنه قال: لما خلق الله إبراهيم الخليل كشف له عن بصره، فنظر إلى جنب العرش نورا، فقال: إلهي من هذا النور؟ فقال: هذا محمد صفوتي.

فقال: إلهي وسيدي إني أرى بجانبه نورا آخر؟

فقال: يا إبراهيم هذا علي ناصر ديني.

فقال: إلهي وسيدي ومولاي إني أرى بجانبه نورا آخر ثالثا؟

فقال: يا إبراهيم، هذه فاطمة تلي أباهما وبعلمها، فطمت محبيها عن النار.

(١) الفصول المهمة في أصول الأئمة، الحر العاملي / ١ / ٤٠٨.

فقال: إلهي وسيدي إني أرى نورين يليان الثلاثة الأنوار؟

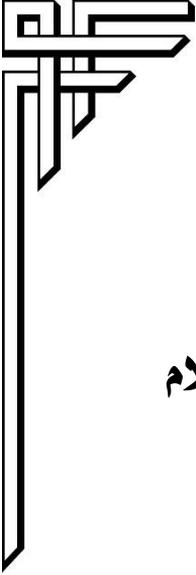
قال: يا إبراهيم، هذان الحسن والحسين، نوراهما يليان أباهما وأمهها وجدهما.

قال: إلهي وسيدي إني أرى تسعة أنوار، فقد أحدقوا بالخمسة الأنوار؟

قال: يا إبراهيم، هذه الأئمة من ولدهم...^(١).

فإن الرواية صريحة في أن مرتبتها عليها السلام الثالثة في مراتب أهل البيت عليهم السلام.

(١) الروضة في فضائل أمير المؤمنين بن شاذان / ١٨٦، الفضائل، بن شاذان / ١٥٨.



المقالة الثانية عشر: طبقات تزويج الزهراء عليها السلام

بعلي عليه السلام قرآن في عوالم الولايات

- * سر هول وعظمة تزويج علي من فاطمة عليها السلام
- * النقطة الأولى: ولاية أمر زواجهما عليهما السلام بيد الله خاصة
- * النقطة الثانية: الحفاوة الملكوتية لزواجهما عليهما السلام
- * الأمر الأول: ولاية زواج علي عليه السلام أيضا بيد الله
- * الأمر الثاني: اقترانهما عليهما السلام تم في الجنة الابدية قبل الدنيا
- * الأمر الثالث: الحفاوة بزواجهما عليهما السلام ذو صلة بولايتها
- * الأمر الرابع: مهرها تولية الهية لها على شؤون العالم كله
- * تبرك الملائكة المباركين ببركات زواجهما عليهما السلام
- * محورية فاطمة عليها السلام كفو لعلي عليه السلام في الرتبة
- * انفعال العرش وما دونه بزواجهما عليهما السلام ارتباط الداني بالعالى
- * تولى الله لزواجهما لكونه اقتران نظم وتدبير الهى
- * النقطة الثالثة: التزويج والمؤاخاة
- * التراتبية بين الثلاثة

* قران كفوئية في عالم الملكوت

* زواجهما نظير القران الاسمائى

* المؤاخاة بين النبي صلى الله عليه وسلم والوصى عليه السلام نورية

* النقطة الرابعة: حديث الكساء

* التألف في الولايات الاصفائية سر عظمة أهل البيت عليهم السلام

* تفوق علي عليه السلام في امتحان الولاية تدبير الملائكة

* أهل البيت نبراس في تدبير الولاية لكل طبقات الملكوت وطبقات الملك

* اختصاص أصحاب الولايات الإلهية في الملكوت والملك

* النقطة الخامسة: الولادة في الكعبة والتزويج

سر هول وعظمة تزويج علي من فاطمة عليها السلام:

الملاحظ في روايات التزويج بين فاطمة وعلي عليهما السلام أنه لم يكن كبقية الزيجات بين

البشر، بل إنه زواج اصفائى من الله ويحمل أسراراً في المقامات والمراتب في شؤون الولاية

الإلهية.

ولتوضيح نبذة من حقيقته نذكر النقاط التالية:

النقطة الأولى: ولاية أمر زواجها عليها السلام بيد الله خاصة:

إنه قد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أن ولاية تزويج فاطمة عليها السلام ليست بيده مع أنه 'سيد الخلائق وإمام

الأئمة وأولى بالناس من أنفسهم وأعظم الخلق ولاية بعد الله، ومع كل ذلك فإن تزويج

فاطمة عليها السلام خاص بيد الله.

وهذا سر عظيم الشأن في مقامها عليها السلام نظير ما مرت الإشارة إليه في بعض الروايات من أنها عليها السلام تحفة إلهية لرسوله صلى الله عليه وآله لم تدرج في الأصلاب بل في خصوص صلب النبي صلى الله عليه وآله نزولا من الجنة وفي رحم المطهرة خديجة عليها السلام.

فقد روى في المناقب عن أم سلمة وسلمان الفارسي وعلي بن أبي طالب عليه السلام قال: لما أدركت فاطمة بنت رسول الله مدرك النساء، خطبها أكابر قريش من أهل السابقة والفضل في الإسلام والشرف والمال، وكان كلما ذكرها رجل من قريش لرسول الله اعرض رسول الله عنه بوجهه حتى كان الرجل منهم يظن في نفسه أن رسول الله ساخط عليه، أو قد نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله فيه وحي من السماء، ولقد خطبها من رسول الله صلى الله عليه وآله أبو بكر الصديق فقال له رسول الله: يا أبا بكر أمرها إلى ربها، وخطبها بعد أبي بكر عمر ابن الخطاب فقال له كمثلته لأبي بكر.

وإن أبا بكر وعمر كانا ذات يوم جالسين في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله ومعهما سعد بن معاذ الأنصاري، ثم الأوسي فتذكروا أمر فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فقال أبو بكر: لقد خطبها من رسول الله صلى الله عليه وآله الأشراف فردهم رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: أمرها إلى ربها إن شاء أن يزوجهما زوجها...^(١).

النقطة الثانية: الحفاوة الملكوتية لزوجهما عليهما السلام

إن الباري تعالى قد أعد لهذا الزواج حفلا وحفاوة في الملكوت لم يذكر في الوحي

(١) المناقب، الموفق الخوارزمي ٣٤٤، كشف الغمة في معرفة الأئمة، علي بن أبي الفتح الاربلي ١ / ٣٦٤.

زواجا مثله، وحصار هذا الحفل كما في جملة من الروايات حملة العرش جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل^(١) واللوح المحفوظ والقلم ونون، وهذا الإعداد الإلهي ليس لهوا ولعبا إذ لا مسرح له في أفعاله تعالى بل الحق هو الحكمة وتمام الجد.

فقد روى في الهداية الكبرى عن أبي بصير عن الصادق عليه السلام قال: (خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فاطمة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي ما خطبتها إلا والله زوجك إياها في السماء لأن الله وعد ذلك فيك وفي ابنتي فاطمة.

فقام إليه أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري وقال: يا رسول الله وقد زوج الله عليا في السماء بفاطمة عليها السلام؟ فقال له صلى الله عليه وآله: نعم يا ابن أيوب أمر الله الجنة أن تنزحرف وشجرة طوبى أن تنشر أغصانها في السبع سماوات إلى حملة العرش، وأن تحمل بأغصانها درا وياقوتا ولؤلؤا ومرجانا وزبرجدا وزمردا أصككا مخطوطة بالنور، هذا ما كان من الله للملائكة وحملة عرشه وسكان السماوات كرامة لحبيبه وابنته فاطمة ووصيه علي وأمر لجبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل واللوح المحفوظ والقلم ونون، وهي مخازن وحي الله وتنزله على أنبيائه ورسله وان يقفوا في السماء الرابعة، وأن يخطب جبريل بأمر الله، ويزوج ميكائيل عن الله، ويشهد جميع الملائكة وانتشرت طوبى من تحت العرش إلى السماء الدنيا فالتقط الملائكة ذلك الثارة الصكك فهو عندهم مذخور....)^(٢).

وفي الرواية أمور:

(١) الأمالي، الشيخ الصدوق ٥٢٤، مناقب الامام أمير المؤمنين، محمد بن سليمان الكوفي ٢/ ٥٩٥. روضة الواعظين، الفتاوى النيسابوري ١٢٢.

(٢) الهداية الكبرى، الحسين بن حمدان الخصبي ١١٣.

الأمر الأول: ولاية زوج علي عليه السلام أيضا بيد الله:

فقوله عليه السلام: (يا علي ما خطبتها إلا والله زوجك إياها في السماء).

فيه دلالة على أن تزويج علي من فاطمة عليها السلام كان بولاية من الله على علي عليه السلام وعلى فاطمة عليها السلام، فكما أن ولاية تزويجها ليس بيد رسول الله صلى الله عليه وآله بل بيد الله، فكذلك تزويج علي من فاطمة هو الآخر ليس بيد علي ولا بيد فاطمة، ويدل عليه ما في رواية أخرى: (إن الله يأمرك أن تزوج النور من النور).

وما سيأتي في الرواية الآتية: (فكان الخاطب جبرائيل عليه السلام، والولي الله، والشاهد الملائكة) هي صريحة في أن الولاية عليها عليها السلام في أمر تزويجها بيد الله.

الأمر الثاني: اقترانهما عليهما السلام تم في الجنة الأبدية قبل الدنيا:

إن قوله عليه السلام: (أمر الله الجنة أن تتزخرف وشجرة طوبى أن تنشر أغصانها في السبع سماوات إلى حملة العرش) دال على أن هذا التزويج جناوي قد تم في الآخرة الأبدية .

وأما أنه كيف يتم أمر في الآخرة الأبدية قبل الدنيا مع أن المعروف فيها هو مقرر في العلوم الرسمية في المعارف أن الآخرة بعد الدنيا لا قبل الدنيا فهذا مبحث قد بسطنا الكلام فيه في الجزء الرابع من كتاب الرجعة، وملخصه أن الآخرة الأبدية كما تقع في قوس الصعود فهي قد وقعت في قوس النزول.

بل في رواية فرات الكوفي قوله عليه السلام: «زوجك الرحمن فوق عرشه»^(١).

(١) تفسير فرات الكوفي، فرات بن ابراهيم الكوفي ٤١٥ ح ٥٥٢ في ذيل سورة الاحقاف.

الأمر الثالث: الحفاوة بزواجها عليها السلام ذو صلة بولايتها:

إنه عليه السلام قد علل هذا الاستنفار في ملكوت السماوات والجنة وطبقات الملائكة بأنه كرامة من الله في قوله: «كرامة لحبيبه وابنته فاطمة ووصيه علي»، وهذا التكريم في محفل عظام الملائكة الذين بيدهم إدارة ما دون العرش من الجنة والنار والسماوات السبع والأرض ليس مجاملات وحفاوة صورية منه تعالى، بل إشارة إلى مقامات وولايات تكوينية نظير ما في المحفل الإلهي الذي أقامه الله تعالى لآدم.

فإن المدح بالفضائل والتعاطي بالكرامات في لغة العقل العملي بيان لحقائق الكمالات بتلك اللغة في قبال لغة العقل النظري كما مر في الباب الأول في الضوابط، فهذا التكريم يدل على أن مقام فاطمة عليها السلام ذو صلة وولاية على كل من هم دون العرش من الملائكة العظام.

الأمر الرابع: مهرها تولية إلهية لها على شؤون العالم كله:

إن جعل مهر فاطمة عليها السلام في التزويج خمس الدنيا وما فيها والنيل والفرات وسيحان وجيحان، وكل باب الخمس وأقسامه نحلة من الله وحباء لا يحل لأحد أن يظلمها فيه بورقة، وهذا المهر ليس نظير مهر النساء، وإنما هو ولاية وتولية إلهية لها على مقدرات الأرض وعلى شؤون البشر وشؤون الشعوب والدول، لأن الخمس ليس ضريبة فردية فقط بل ضريبة على ثروات الدول وما تغنمه في الحروب.

كما أن هذه الرواية في هذا المقطع دالة بوضوح على أن ولاية الخمس والفيء للأئمة عليهم السلام من ذريتها وراثه اصطفاوية من ولايتها.

وهذا ما قرناه في الجزئين السابقين من أن مقتضى جعل الخمس والفيء لعنوان ذوي

القربى، فإنها أول القربى وولدها إنما يرثون رسول الله ﷺ بتوسطها ﷺ.

وروى في شرح الأخبار أن النبي ﷺ قال لفاطمة ﷺ: (يا فاطمة والذي بعث أباك بالحق واصطفاه بالرسالة ما زوجتك عليا حتى زوجك الله إياه من فوق عرشه.

اعلمي يا فاطمة إنه لما أراد الله عز وجل تزويجك عليا أوحى إلى جبرائيل أن ناد في السماوات السبع، فنادى جبرائيل ﷺ، فاجتمع الملائكة إلى السماء الرابعة بإزاء البيت المعمور، ثم أمر جبرائيل فنصب منبرا من نور عرشه وأمره أن يخطب، ويزوجك عليا، فكان الخاطب جبرائيل ﷺ، والولي الله، والشاهد الملائكة .

ثم أوحى جل ثناؤه إلى رضوان - خازن الجنان - أن زخرف الجنان، وزين الحور.

وأمر الله عز وجل شجرة طوبى أن احملي، فحملت، وأمرها أن تشر على الحور من عجائب ما انشر عليهم، فكل حورية خلقت بعد ذلك، فالتى خلقت قبلها تفتخر عليها بما عندها من نثار ملاكك^(١).

وهذه الرواية فيها ما تقدم في الرواية السابقة وتمتاز بالآتي:

تبرك الملائكة المباركين ببركات زواجهما ﷺ:

أولاً: بما بين ﷺ أن من بركات زواجهما ﷺ تنزل خيرات وبركات من شجرة طوبى، وهي شجرة الجنة الأبدية، وأنها تشر على ما دونها من عالم السماوات.

وقد ذكر ﷺ أن الملائكة المباركين تتبرك بذلك النثار، وكذلك الحور العين في الجنة،

(١) شرح الأخبار، القاضي النعمان المغربي ٢ / ٣٧٦.

مع أن الملائكة والحوار العين في الأصل هم عين البركة، والبركة إشارة إلى الكمال والتكامل القدسي التكويني.

محورية فاطمة عليها السلام كفؤ لعل عليه السلام في الرتبة:

ثانيا: قوله عليه السلام: «يا فاطمة إن الله نظر إلى الأرض نظرة فاختار منها عليا فجعله لك بعلا» بيان أن محورية فاطمة عليها السلام كفؤ لعل عليه السلام في الرتبة حيث قال عليه السلام: «فجعله لك بعلا» ولم يقل عليه السلام: «فجعلك له زوجا» وجعل الأمير لها إشارة إلى الكفؤية.

وفي دلائل الإمامة عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: هممت بتزويج فاطمة حيناً، ولم أجسر على أن أذكره لرسول الله عليه السلام، وكان ذلك يختلج في صدري ليلاً ونهاراً، حتى دخلت يوماً على رسول الله عليه السلام فقال: يا علي، فقلت: لبيك يا رسول الله.

فقال: هل لك في التزويج؟

فقلت: الله ورسوله أعلم، فظننت أنه يريد أن يزوجني ببعض نساء قريش، وقلبي خائف من فوت فاطمة، ففارقته على هذا، فوالله ما شعرت حتى أتاني رسول الله، فقال: أجب يا علي وأسرع.

قال: فأسرعت المضي إليه، فلما دخلت نظرت إليه، فلما رأيته ما رأيته أشد فرحاً من ذلك اليوم، وهو في حجرة أم سلمة فلما أبصرني تهلل وتبسم، حتى نظرت إلى بياض أسنانه لها بريق، قال: يا علي هلم فإن الله قد كفاني ما همني فيك من أمر تزويجك.

فقلت: وكيف ذلك يا رسول الله؟

قال: أتاني جبرئيل، ومعه من قرنفل الجنة وسنبلها قطعتان، فناولنيها، فأخذتها وشممتها، فسطع منها رائحة المسك، ثم أخذها مني، فقلت: يا جبرئيل، ما شأنها؟

فقال: إن الله أمر سكان الجنة أن يزينوا الجنان كلها بمفارشها ونضودها وأنهارها وأشجارها، وأمر ريح الجنة التي يقال لها (المثيرة) فهبت في الجنة بأنواع العطر والطيب، وأمر الحور العين بقراءة سورتي طه ويس، فرفعن أصواتهن بهما.

ثم نادى مناد: ألا إن اليوم يوم وليمة فاطمة بنت محمد، وعلي بن أبي طالب رضى مني بهما.

ثم بعث الله (تعالى) سحابة بيضاء، فمطرت على أهل الجنة من لؤلؤها وزبرجدها وياقوتها، وأمر خدام الجنة أن يلقطوها، وأمر ملكا من الملائكة يقال له: (راحيل) فخطب خطبة لم يسمع أهل السماء بمثلها.

ثم نادى (تعالى): يا ملائكتي وسكان جنتي باركوا على نكاح فاطمة بنت محمد وعلي بن أبي طالب، فإني زوجت أحب النساء إلي من أحب الرجال إلي بعد محمد.

ثم قال ﷺ: يا علي أبشر أبشر، فإني قد زوجتك بابنتي فاطمة على ما زوجك الرحمن من فوق عرشه، وقد رضيت لها ولك ما رضي الله لكما، فدونك أهلك»^(١).

ولا يخفى أن صورة لفظ الحديث هي بحسب متنها في دلائل الإمامة للطبري، وهو يختلف في الجملة عن صورة المتن في رواية الصدوق في الأمالي وتمتاز هذه الرواية:

(١) دلائل الامامة، محمد بن جرير الطبري الشيعي ٨٧، الأمالي، الشيخ الصدوق ٦٥٤.

انفعال العرش وما دونه بزواجهما عليهما السلام ارتباط الداني بالعالى:

أولاً: ظاهر الرواية والروايات المتقدمة بوضوح أن العرش وما دونه من الجنة الأبدية والسبع سماوات والسبع أرضين وكل من يسكن تلك العوالم قد تأثر وانفعل ابتهاجا بهذا الحدث الذي يقع في بيت النبوة، مما يدل بوضوح على الارتباط الروحي لهذه العوالم وأهلها من العرش فما دونه بأهل البيت، وهو من ارتباط الداني بالعالى، وهذا مؤشر على مقام الولاية للنبي صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام وفاطمة عليها السلام تكويننا وديننا.

تولى الله لزواجهما لكونه اقتران نظم وتدبير إلهي:

ثانياً: قوله صلى الله عليه وآله بحسب صورة الحديث في الأمالي: «ألا إني أشهدكم أني قد زوجت فاطمة بنت محمد من علي بن أبي طالب رضا مني، بعضهما لبعض»^(١).

وفي هذا المقطع دلالة بوضوح على أن ولاية هذا التزويج سواء من طرف فاطمة أو من طرف علي ليس بتولية من النبي صلى الله عليه وآله ولا من علي ولا من فاطمة بل منه تعالى، وهذا المفاد مستفيض في روايات تزويجها.

وقد تقدم أن هذا يفيد عظم شأنهما عليهما السلام وعظم حدث الاقتران بينهما، وأنه ليس اقتران أبدان ولا مجرد اقتران أرواح بل هو اقتران نظم وتدبير إلهي في مقام الولاية وشؤونها، وأنه تتشاطر فاطمة وعلي عليهما السلام شؤون الولاية الإلهية في العوالم العلوية بعد مرتبة النبي صلى الله عليه وآله وأنها يتشاطران المقامات النبوية اصطفاء وراثيا.

وهذا هو سر لغز هذا الهول والخطب في كل عالم الملكوت حتى ارتج ارتجاجا في هذا

(١) الأمالي، الشيخ الصدوق ٦٥٤، تفسير فرات الكوفي، فرات بن ابراهيم الكوفي ٤١٥.

الاقتران، وإليه الإشارة في ما مر من قوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ فإن بحر العلم وهو بحر علي هو بحر الولاية، وبحر النبوة وهو بحر فاطمة هو بحر الوراثة الاصطفائية لها من أبيها، وهما بحران عظيمان من الملكوت من سنخين متعددين وإلتقاؤهما في التأثير والتدبير لما دونهما من شؤون العوالم يتطلب توازنا تكوينيا في غاية اللطافة والدقة، وليس هذا التوازن إلا بهيمنة المقام النوري للنبي ﷺ، وإلتقاء البحرين اقتران وتقارن.

وروى في المناقب عن عبد الرزاق باسناده إلى أم أيمن في خبر طويل عن النبي ﷺ: «وعقد جبرئيل وميكائيل في السماء نكاح علي وفاطمة، فكان جبرئيل المتكلم عن علي وميكائيل الراد عني»^(١).

وروى في المناقب أيضا حديث خباب بن الأرت: «إن الله تعالى أوحى إلى جبرئيل أن زوج النور من النور»^(٢).

ومفاد هاتين الروايتين بوضوح:

أولا: أن طبقات التزويج بينها عليهما العمدة فيه اقتران نوريهما.

ثانيا: هذا التزويج جرى بتولية من الله على أمير المؤمنين (عليه السلام) وعلى فاطمة (عليها السلام) سواء، وأن الولي هو الله تعالى.

وكان قوام الزواج وشهوده من الملائكة، كما أن قوام العقد كانوا هم الملائكة المقربين

(١) مناقب آل أبي طالب، بن شهر آشوب ٣/ ١٢٤.

(٢) نفس المصدر.

وشهوده ملائكة السماوات، مما يبين أن الاقتران بينهما أصل بيته في طبقات الملكوت، فكانت الملائكة ممن ارتباط بهذا القران .

النقطة الثالثة: التزويج والمؤاخاة:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: «وقد أمرني الله يخبرني مشافهة - حيث أسري بي إليه - أمرني أن أواخيك وأزوجك بفاطمة بنتي سيدة نساء العالمين في الأرض بعد أن زوجك الله في السماء»^(١).

وبيان الرواية في نقاط:

التراتبية بين الثلاثة:

أولاً: ردف المؤاخاة بين علي عليه السلام وبين النبي صلى الله عليه وآله وفرع على ذلك تزويج فاطمة عليها السلام به عليه السلام، وهذا مما يعطي عظم شان فاطمة عليها السلام بعد كون التزويج منظوي في ماهيته الكفوئية والكفاءة والاقتران.

مما يدل على المشاركة والترتب بين الثلاثة حيث بدأ أولاً بالمؤاخاة وهي دالة على المشاركة بين أمير المؤمنين عليه السلام والنبي صلى الله عليه وآله مع كون النبي صلى الله عليه وآله هو الأصل ورتبة أمير المؤمنين عليه السلام الثانية، ثم فرع على المؤاخاة بينهما تزويج علي بفاطمة عليها السلام، والتزويج نحو مقارنة واشتراك، وحيث كان فرع المؤاخاة كان فيه إشارة إلى تأخر رتبة فاطمة عليها السلام عنه عليه السلام في حين الكفوئية والمشاركة.

(١) الهداية الكبرى، الحسين بن حمدان الخصبي ٦٤.

قران كفوئية في عالم الملكوت:

ثانيا: ثم إن هذا الاقتران قد بدأ في السماء قبل كونه في الأرض أي أنه اقتران وكفوئية في عالم الملكوت والنور ومن ثم أردف ذلك في بعض الرويات: ان الله تعالى أوحى إلى جبرئيل: زوج النور من النور، وكان الولي الله، والخطيب جبرئيل، والمنادي ميكائيل، والداعي إسرافيل، والنائر عزرائيل، والشهود ملائكة السموات والأرضين^(١).

وفي الرواية: (نزل جبرائيل على النبي ﷺ فقال: يا محمد، إن الله يأمرك أن تزوج فاطمة من علي)^(٢).

وفي شرح الأخبار عن موسى بن جعفر عليه السلام انه قال: بينا رسول الله ﷺ جالس إذ دخل عليه ملك له أربعة وعشرون وجها، فقال له رسول الله: حبيبي جبرئيل لم أرك في مثل هذه الصورة فقال الملك لست بجبرئيل أنا محمود بعثني الله تعالى أن أزوج النور من النور قال من ومن؟ قال: فاطمة من علي)^(٣).

وروى في كشف الغمة قال الخوارزمي وأبناي أبو العلا الحافظ الهمداني يرفعه إلى الحسين بن علي عليه السلام قال: بينا رسول الله ﷺ في بيت أم سلمة إذ هبط عليه ملك له عشرون رأسا، في كل رأس الف لسان يسبح الله ويقدهه بلغة لا تشبه الأخرى، راحته أوسع من سبع سموات وسبع أرضين، فحسب النبي ﷺ أنه جبرئيل عليه السلام فقال: يا جبرئيل لم تأتني في مثل هذه الصورة قط؟ قال: ما أنا جبرئيل، أنا صرصائل بعثني الله إليك لتزوج النور من

(١) مناقب آل أبي طالب، بن شهر آشوب ٣ / ١٢٤.

(٢) شرح الاخبار، القاضي النعمان المغربي ٣ / ٢٨.

(٣) روضة الواعظين، الفتال النيسابوري ١٤٦، دلائل الامامة، محمد بن جرير الطبري (الشيعة)، الطبري ٩٣.

النور، فقال النبي صلى الله عليه وآله: مَنْ مِنْ مَنْ؟ قال: ابنتك فاطمة من علي بن أبي طالب عليه السلام، فزوج النبي صلى الله عليه وآله فاطمة من علي بشهادة جبرئيل وميكائيل وصرصائيل...^(١).

زواجهما عليهما السلام نظير القران الأسمائي:

ثالثاً: إن التزويج بين الأبدان وبين النفوس النازلة أمر معهود معروف، وأما التزويج بين الأنوار فهو سنخ ونمط من القران والشفاعة يقترب من بحث الشفاعة الذي هو اقتران في الأسماء الإلهية ويحتاج إلى مزيد بحث وبسط، كما أوضحناه في بحث مرج البحرين.

المؤاخاة بين النبي صلى الله عليه وآله والوصي عليه السلام نورية:

رابعاً: وحيث كان التزويج سماويا ونورانيا ومتفرعا على المؤاخاة كشف ذلك عن كون المؤاخاة نورية برتبة أعلى.

النقطة الرابعة: حديث الكساء:

إن عظمة هذا الحفل والتزويج لم يرد في تزويج سيد الرسل صلى الله عليه وآله بخديجة فضلا عن بقية الأنبياء عليهم السلام، مع كون النبي صلى الله عليه وآله أفضل منهما وسيدهما، بل إن فضل وعظمة تزويجهما منشؤها عظمة النبي صلى الله عليه وآله.

فما لهذا الاهتمام في الإرادة والمشية الإلهية بهذا التزويج، أي لتكوين هذه النواة من بيت النبوة والأسرة النورية.

وهذا عين المفاد الوارد في حديث الكساء أن نواة أصحاب بيت الكساء وبيت النور الذي هو

(١) كشف الغمة في معرفة الائمة، علي بن أبي الفتح الاربلي ١ / ٣٦١.

مفاد سورة النور أنه محور لוחي الاصطفاء.

التآلف في الولايات الاصطفائية سر عظمة أهل البيت عليهم السلام:

فهذا البيت وهذه الأسرة ليست قدويتها في جانب عيشها الاجتماعي الدنيوي فحسب كنبراس للأنبياء والمرسلين والأوصياء من ذريتها عليهم السلام في تكوين الأسرة في المعيشة الاجتماعية الدنيوية، بل الأعظم من ذلك هو التآلف والتوازن والتوافق في الولايات الاصطفائية بعضها مع البعض الآخر مع اختلافها رتبة من جهة وتشاركها من جهة أخرى.

فإن هذا أعظم شأن أي أسروية وبيت الولايات الاصطفائية.

فأصحاب الكساء الخمسة عليهم السلام قدوة للملائكة المقربين في التنسيق في شؤون الولايات الملكوتية في المقامات الخطيرة من تدبير الأمر الإلهي.

ومن ثم ورد من مباهاة الله عز وجل بأمر المؤمنين علي عليه السلام ليلة الميتم على فراش

النبي صلى الله عليه وآله.

روى في المناقب عن كثيرين من العامة وجماعة من أصحابنا ومن ينتمي إلينا بأسانيدهم عن ابن عباس وأبي رافع وهند بن أبي هالة: أنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أوحى الله عز وجل إلى جبرئيل وميكائيل أني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر أيكما يؤثر صاحبه بالحياة؟»

فاختار كلاهما الحياة فأوحى الله عز وجل أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب صلوات

الله على نبينا وعليه آخيت بينه وبين محمد فبات على فراشه ففديه بنفسه وأثره بالحياة اهبطا إلى

الأرض فاحفظاه من عدوه، فكان جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجله وجبرئيل ينادي بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب يباهي تعالى بك الملائكة، فأنزل الله عز وجل «ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد»^(١).

وهذه بالدقة ليست مباهاة الله على صعيد البعد الشخصي بين أحد الأدميين واثنين من الملائكة المقربين، بل هو في الحقيقة تعليم من الله وتربية منه لعظام الملائكة المقربين على أن مسؤولية التدبير للأمر الإلهي والتنسيق تتطلب درجة من تفاني الذات والتخلص من الذاتية والذوبان في الأمر الإلهي الدرجة الكبيرة كي ينتظم الفعل الإلهي في التنزل من القدس الأعلى إلى العوالم النازلة.

تفوق علي عليه السلام في امتحان الولاية تدبير الملائكة:

ومن ثم في هذا الحديث هنأ جبرئيل وميكائيل علياً عليه السلام بأنه فاق في امتحان تدبير الولاية كلا من جبرئيل وميكائيل، فكيف لا يكون علي عليه السلام معلماً وقدوة لجبرئيل وميكائيل في تدبير الولايات الملكوتية وشؤون الأمر الإلهي.

فعظمة بيت أصحاب الكساء في الأساس والأصل هي تعاضم نسق الولاية بين سيد الأنبياء عليه السلام وسيد الأوصياء عليه السلام وسيدة النساء عليها السلام وسيدي شباب أهل الجنة عليه السلام حيث إن الله جعلهم سادات الولايات الإلهية في العوالم والأكوان في أعلى عوالم الملكوت ونزولا إلى سبع أرضين، فهي بمثابة الهيئة الحاكمة العليا في دولة الشأن والأمر الإلهي وغرفة التحكم في مقامات الولايات للملائكة المقربين وحملة العرش وللأنبياء والمرسلين والأصفياء والصدقيين.

(١) مناقب آل أبي طالب، بن شهر آشوب / ١ / ٣٣٩.

أهل البيت عليهم السلام نبراس في تدبير الولاية لكل

طبقات الملكوت وطبقات الملك:

فهذه الإلفة بين أركان أصحاب الكساء عليهم السلام البالغة غايتها ولاسيما وأن هذه الإلفة لم تقتصر على الملكوت الأعلى بل هي بالغة غايتها أيضا في عالم الملك الأدنى الذي هو مثار التزاحم والتضاد والتناقض على أشد ما يمكن، فيكون ذلك البيت وأصحابه نبراسا عظيما وقدوة في الإدارة والتدبير والولاية لكل طبقات الملكوت وطبقات الملك، فضلا عن الحياة الاجتماعية السياسية للبشر في نظام الإدارة وفضلا عن نظام الأسرة المعيشية التي هي لبنة المجتمع.

فالأصل في عظمة الجلوس تحت الكساء من أصحاب الكساء وتكوينهم كبنوة البيت النبوي أساسه أن ولايتهم نظام للولايات الإلهية سواء في عالم الأرواح الأمرية أو للملائكة المقربين أو للأنبياء والمرسلين والأوصياء والمصطفين عليهم السلام، وأن نظم الولاية في ما بين أصحاب الكساء عليهم السلام أمان من فرقة وتزاحم أصحاب الولايات الإلهية في الملكوت والملك.

اختصاص أصحاب الولايات الإلهية في الملكوت والملك:

ألا ترى ما جرى بين موسى والخضر عليهم السلام وكان أحدهما نبي من أولي العزم والآخر من أعظم الأولياء في زمرة العلماء بأمر الله، فلم يصبر أحدهما على الآخر، فقال الخضر لموسى كرارا: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾^(١) فلم يصبر موسى عليه السلام على الخضر كما أن الخضر لم يصبر على موسى في قوله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾^(٢) فلم

(١) سورة الكهف: الآية ٧٥.

(٢) سورة الكهف: الآية ٧٨.

يرتضي مصاحبة موسى ولم يصابر الخضر على عدم مصابرة موسى وفوق كل ذي صبر صبور.

وقد بين أن الصبر في الإدارة والولاية منشؤها العلم كما في قول الخضر: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾^(١).

مما يدل على أن صبر الأولياء في الإدارة والتدبير للأمر الإلهي وليد أو متأثر بدرجة العلم لذلك الولي وذلك الصفي، فكلما اتسع علمه وتنوع وتبحر وترامى خبرا كلما ازداد تحمله وكفاءته في الولاية والتدبير للشأن والامر الإلهي.

ومن ثم فإن الإلفة التي بين أصحاب الكساء عليهم السلام إلى منتهى الغاية ولا يقول أحدهما للآخر «هذا فراق بيني وبينك» كما لا يقول بعضهم لبعض «إنك لن تستطيع معي صبرا»، كما أنهم لا يختصم بعضهم مع البعض كما هو حال من هم في الملام الأعلی، كما أنه لا يقول أحدهم للآخر: ﴿قَالَ ابْنُ أُمِّ إِبْرَاهِيمَ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِي الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٢) ولا: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾^(٣).

وليس هذا البيت نظير بيت آدم وحواء حيث أخرجها الشيطان مما كانا فيه ﴿فَدَلَاهُمَا بِغُرُورٍ﴾^(٤) رغم أنها صفة وآدم صفوة الله ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا

(١) سورة الكهف: الآية ٦٨.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٥٠.

(٣) سورة طه: الآية ٩٤.

(٤) سورة الأعراف: الآية ٢٢.

مِنْهَا رَعْدًا حَيْثُ شِئْتُمْ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١﴾
﴿فَازَلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ ﴿٢﴾.

ولا نظير الذي جرى بين هاجر وسارى وإبراهيم الخليل عليه السلام حتى اضطر إبراهيم إلى ما قاله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ دُونِ بَوَادِي غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ ﴿٣﴾ وإن كان ذلك مشتملا على حكمة إلهية عظيمة في تدبير الله تعالى.

وليست الإلفة بين أصحاب الكساء عليهم السلام تحت وطأت صرامة القانون وتحت مظلة التشارط والتعاقد والتعاوض كالذي بين موسى وشعيب عليهما السلام كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَةَ حِجَجٍ فَإِنْ أَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿٤﴾ بل إن الإلفة بينهم معرفة ونورية وروحية وخلقية قبل أن تكون قانونية في مادة البدن.

ولا التنسيق فيما بينهم فيه وقفة تروِّي وفترة تدبر كالذي جرى بين إبراهيم وإسماعيل في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿٥﴾.

والحاصل أنه رغم عظم مقام ولاياتهم لم يوجب ذلك تمحور كل ذات منهم حول

(١) سورة البقرة: الآية ٣٥.

(٢) سورة البقرة: الآية ٣٦.

(٣) سورة إبراهيم: الآية ٣٧.

(٤) سورة القصص: الآية ٢٧.

(٥) سورة الصافات: الآية ١٠٢.

نفسه مع أن طبيعة الإنسان بل كل مخلوق أنه يطغى أن رآه استغنى، فانظر إلى منشأ الاعتراض لدى الملائكة: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾^(١).

فوصفوا أنفسهم بالتسييح والتقديس الذي أوجب كونه مدعاة للإعتراض على جعل الله .

ونظيره ورد في قبض روح إبراهيم الخليل عليه السلام، فقد أخرج في الدر المنثور: أن ملك الموت جاء إلى إبراهيم عليه السلام ليقبض روحه فقال إبراهيم يا ملك الموت هل رأيت خليلاً يقبض روح خليله فعرج ملك الموت إلى ربه فقال قل له هل رأيت خليلاً يكره لقاء خليله)^(٢).

ونظيره ما ورد أنه إذا نفخ في الصور يأمر الله بقبض روح ملك الموت، فيقول: (إلهي وسيدي ارحم عبدك ملك الموت فإنه ضعيف، فيقول الله عز وجل له: يا ملك الموت، ضع يمينك تحت خدك الأيمن بين الجنة والنار ومت.. فيضطجع ملك الموت على يمينه ويضع يده اليمنى تحت خده الأيمن، ويده الشمال على وجهه ويصرخ صرخة فلو أن أهل السماوات والأرض أحياء لماتوا الشدة صرخته)^(٣).

فلاحظ في قبض روح إبراهيم عليه السلام وملك الموت وكذا جبرئيل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام تترأى لهم مكانة أنفسهم في مقامات الولاية فلا ينطلق منهم التسليم الذي لدى أصحاب الكساء عليهم السلام عند قبض أرواحهم بينما نرى أن سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله أول ما أخذ

(١) سورة البقرة: الآية ٣٠.

(٢) الدر المنثور، السيوطي ١/١١٧.

(٣) البحار، المجلسي ٥٧/٢٥٨.

الله عليه أن يكابد طول حياته طعم موت والاعتقال، وكذلك في سيد الأوصياء عليه السلام حيث ورد في مصباح الزائر: «السلام على من عجب من حملاته في الحروب ملائكة سبع سموات»^(١).

ونظير ما ورد في شأن سيد الشهداء عليه السلام «وقد عجبت من صبرك ملائكة السماء»^(٢).

ونظير ما في شأن صاحب العصر عليه السلام «عزيز علي أن تحيط بك دوني البلوى، ولا ينالك مني ضجيج ولا شكوى ... عزيز علي أن يجري عليك دونهم ما جرى»^(٣).

وروى الطوسي عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام: «ذو الغيبة الشريد الطريد»^(٤).

وروى النعماني في الغيبة عن الباقر عليه السلام وصف صاحب الأمر: الشريد الطريد الفريد الوحيد»^(٥).

فرغم عظمة شؤون مقامات الولاية التي أعطيت لهم بأعلى مما لدى الملائكة والأنبياء والمرسلين عليهم السلام إلا أنهم كما ورد في زيارتهم عليهم السلام: «لا يسبقهم ثناء الملائكة في الإخلاص والخشوع ولا يضادكم ذو ابتهاج وخضوع أنى ولكم القلوب التي تولى الله رياضتها بالخوف والرجاء.. الفترة»^(٦).

(١) البحار، المجلسي ٩٧/ ٣٠٢.

(٢) الزار، المشهدي / ٥٠٤.

(٣) نفس المصدر ٥٨١.

(٤) الغيبة، الشيخ الطوسي ١٦٣.

(٥) الغيبة، ابن أبي زينب النعماني ١٨٤.

(٦) الزار، محمد بن جعفر المشهدي ٢٩٣.

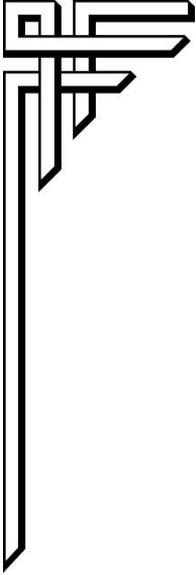
ومن ثم بلغوا في مقامات الولاية درجة كبراء الصديقين وأمراء الصالحين وقادة المحسنين وأنوار العارفين وشموس الأتقياء وبدور الخلفاء ودعائم الأخيار... وركن الأولياء.

النقطة الخامسة: الولادة في الكعبة والتزويج:

ورد في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام: «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَنْ وُلِدَ فِي الْكَعْبَةِ وَزُوجَ فِي السَّمَاءِ بِسَيِّدَةِ النَّسَاءِ وَكَانَ شُهُودُهَا الْمَلَائِكَةُ الْأَصْفِيَاءُ»^(١).

ولا يخفى أن أدنى ما يفيد الجمع بين الولادة في الكعبة والتزويج في السماء هو كون شؤون علي عليه السلام كلها إلهية وتحت ولاية الله، فما هو واقع تحت اختياره أو ليس بواقع تدبيره بولاية الله، مما يشير إلى أنه وجود إلهي محض.

(١) المزار، محمد بن جعفر المشهدي ٢٠٧، الاقبال، السيد بن طاووس ٣ / ١٣١.



المقالة الثالثة عشر: نسبة فاطمة عليها السلام

لعلي عليه السلام

* كفوئته عليه السلام لفاطمة عليها السلام وتقدمه على اولاده عليهم السلام

* اللون المشترك في دائرة الحجج لا ينافي التفاضل

* دائرة التسعة تتلو دائرة الحسين عليهما السلام

* شواهد تقدم مقام الزهراء عليها السلام على اولادها عليهم السلام

* أيهما أقرب للنبي صلى الله عليه وآله فاطمة أم علي عليهما السلام

نبدأ الشروع في هذه المقالة بذكر قواعد وأصول، ومن ثم نصل إلى المقصود بنحو

سلس.

كفوئته عليه السلام لفاطمة عليها السلام وتقدمه على اولاده عليهم السلام:

لعلي وفاطمة عليهما السلام خصوصيات مشتركة ودائرة يخلقان فيها لوحدتهما بعد رُسُول

الله صلى الله عليه وآله.

وقد مرّ في المقالة السابقة أنّ لها عليها السلام علماً خاصاً وتكافئاً مع علم أمير المؤمنين عليه السلام.

ويبين بوضوح الدائرة الخاصة بهما عليهما السلام قول رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي رواية الفريقين، فنص ما في الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لولا أن الله تبارك وتعالى خلق أمير المؤمنين عليه السلام لفاطمة، ما كان لها كفو على ظهر الأرض من آدم ومن دونه^(١).

وفي الفصول المهمة عن رسول الله ﷺ في حديث قال: (هبط علي جبرئيل فقال: يا محمد إن الله عز وجل يقول: لو لم أخلق عليا، لم يكن لفاطمة بنتك كفو على وجه الأرض، من آدم ومن دونه)^(٢).

وبتلك الخصوصيات المشتركة يتقدمان في الفضل والفضيلة على سائر الأئمة من أولادهم عليهم السلام.

ومما يشهد لهذا الأصل ما في تفسير العسكري عن الإمام الرضا عليه السلام: (... إنما شيعته الحسن والحسين وأبو ذر وسلمان والمقداد وعمار و محمد بن أبي بكر الذين لم يخالفوا شيئا من أوامره، ولم يركبوا شيئا من فنون زواجره)^(٣).

فَلَيْسَ هُمَا عليهما السلام بِكفوين لَهُ عليه السلام.

وَقَدْ وَرَدَ عَلَى لسان عدّة من الأئمة كالباقر وَالصَّادِقِ وَالكاظم عليهم السلام نظير ما رواه في الروضة عن الصادق عليه السلام: (ولايتي لعلي بن أبي طالب عليه السلام أحب إلى من ولادتي منه، لأن ولايتي لعلي بن أبي طالب فرض، وولادتي منه فضل)^(٤).

(١) الكافي، الشيخ الكليني: ١/ ٤٦١/ الأمل، الشيخ الطوسي: ٤٣/ المحتضر، حسن بن سليمان الحلي ٢٤٠.

(٢) الفصول المهمة في أصول الأئمة، الحر العاملي ١/ ٤٠٨.

(٣) تفسير الامام العسكري ٣١٣.

(٤) الروضة في فضائل امير المؤمنين، شاذان بن جبرئيل القمي ١٠٣.

أَيَّ أَنَّ النَّسَبَ الْمَعْنَوِيَّ وَالتَّبَعِيَّةَ الرَّوْحِيَّةَ وَالمَشَاكِلَةَ الدِّيْنِيَّةَ خَيْرٌ مِنْ النَّسَبَةِ الْبَدْنِيَّةِ التَّوَالِدِيَّةِ.

وَبِالتَّالِي فَهَذِهِ شَهَادَةٌ مِنْهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُمْ لَيْسُوا بِكُفْوٍ.

وَقَدْ أَصَابَ مِنْ قَالٍ أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ أَتَعِبَ أَوْلَادَهُ مِنْ بَعْدِهِ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا بَلُوغَ نَحْوِ عِبَادَتِهِ وَمَقَامِهِ الْخَاصِّ مَعَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةٍ لَا تُوصَفُ وَمَقَامٍ لَا يُدْرِكُ وَجَهْدٍ وَجِهَادٍ لَا يُجَارَى.

وَمِنْ ثَمَّ فَلَمْ يُوصَفْ أَحَدٌ بِأَنَّهُ كُفْوٌ لِعَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ.

اللون المشترك في دائرة الحجج لا ينافي التفاضل:

إِنَّ الْحُكْمَ عَلَى مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْحُجَجِ بِكُونِهِمْ فِي دَائِرَةٍ وَاحِدَةٍ يَعْنِي أَنَّ لَهُمْ لَوْنًا مُشْتَرَكًا مِنْ الْمَقَامَاتِ، أَوْ أَقْلَ إِنَّ ثَمَّةَ حَدًّا أَدْنَى مِنَ الْمَقَامَاتِ قَدْ اشْتَرَكُوا فِي بَلُوغِهِ، لَكِنَّ هَذَا لَا يَعْنِي وَلَا يَنَافِي أَنَّ يَحْكُمَ عَلَيْهِمُ بِالتَّفَاوُلِ وَالتَّمَايُزِ مَعَ اشْتِرَاكِهِمْ فِي اللَّوْنِ الْوَاحِدِ، لِأَنَّ الْاِشْتِرَاكَ مَصَبَّهُ الْحَدَّ الْأَدْنَى وَالتَّفَاوُلَ مَصَبَّهُ الْخُصُوصِيَّاتِ بِلِحَاطِ الْحَدِّ الْأَعْلَى.

وَعَلَى هَذَا الْأَسَاسِ فَهَنَّاكَ دَائِرَةٌ مِنَ الْفَضْلِ يَشْتَرِكُ فِيهَا الْحَسَنَانِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَيَتَقَارَبَانِ وَيَتَمَايِزَانِ فِيهَا عَنْ سَائِرِ الْمُعْصُومِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ بَعْدِهِمْ، وَهُوَ لَا يَنَافِي اِمْتِيَازَ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي بَعْضِ الْخُصُوصِيَّاتِ.

دائرة التسعة عليهم السلام تتلو دائرة الحسنين عليهم السلام:

وَتَتَلُو دَائِرَةَ الْحَسَنِينِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فِي الْكَمَالِ وَالتَّكَامُلِ دَائِرَةَ ثَالِثَةِ جَامِعَةٍ لِكُلِّ الْأُمَّةِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الثمانية من علي بن الحسين إلى الإمام العسكري عليه السلام، فلهم لون في دائرة واحدة مع عدم منافاة تقدم كل أب على ابنه في بعض الخصوصيات.

وقد أفرد أهل التحقيق دائرة من الفضل يسبق بموجبها الإمام الحجة عليه السلام آباءه الثمانية ويتلو بموجبها دائرة الحسين.

شواهد تقدم مقام الزهراء عليها السلام على أولادها عليهم السلام:

ثمة شواهد توضّح سبق الزهراء عليها السلام في المقام على مقام أولادها عليهم السلام جميعاً.

ومن هذه الشواهد ما مرّ في مصحفها، إذ تقدّم أن لها اطلاعاً على ملك الأئمة عليهم السلام في أدوار الإمامة الإلهية، إذ لو ترجمنا هذا العلم بلغة عصرية لتبيّن ما لها من خطورة خاصة في المقام بيسر وسهولة، فإنه لو حبي شخص من رئاسة الدولة باطلاعه على أسماء الوزراء والمدراء وملفاتهم ومدة ملكهم وتراتبيتهم وما يجري عليهم من الشؤون فأى شيء يعني ذلك؟

وهل يمكن أن تفتح سجلات الخصوصيات الخاصة بالوزراء لمن هو دونهم في المقام والتمثيل في الدولة؟

ألا يؤشر ذلك على أن من يعطى ويحبي ذلك العلم يتمتع بصفة المراقب والمشرف والمهيمن!

وهل يصح أن يتصوّر أحد في حق أيّ واحد من الأئمة الأحد عشر عليهم السلام أن يفتح باب السؤال والحساب ليُقدم تقريراً أو ما يشابهه فيما يخص أدوار إمامة أمير المؤمنين عليه السلام ولو على نحو

الحساب الصوري؟

لكن هذا بنحو ما صدر من فاطمة عليها السلام فيما يخص أمير المؤمنين عليه السلام في قولها عليها السلام: « يا بن أبي طالب، اشتملت شملة الجنين، وقعدت حجرة الظنين، نقضت قادمة الأجلد فخانك ريش الأعزل»^(١).

وليكن واضحاً أن حمل ما وردَ عنها عليها السلام على معنى الحساب الصوري ومسئولياتها في المراقبة ليسَ هوَ بمعنى استنقاص أمير المؤمنين عليه السلام، بل هوَ رقابة وحساب شكلي لإفهام الآخرين بأنَّ علياً عليه السلام لم يفترط في شيء من الحرمان والمسؤوليات.

وحاشا للصديقة عليها السلام أن تخطو خطوة أو تلفظ قولاً لا مناسبة له بالحوادث ومقام الإمامة الإلهية.

وَمِنْ ثَمَّ ولأجل مجارة عتابها والإفصاح عن كونه مناسباً للشأن وخطورة المقام أتت استجابة أمير المؤمنين عليه السلام سريعاً، فقد روى أن فاطمة عليها السلام حرضته يوماً على النهوض والثوب فسمع صوت المؤذن (اشهد أن محمداً رسول الله) فقال لها أيسرك زوال هذا النداء من الأرض قالت لا قال فإنه ما أقول لك^(٢).

وَمِنْ ثَمَّ تبين أن اطلاع فاطمة عليها السلام على ملفات الإمامة الإلهية من أدل الأدلة على كونها عليها السلام ذات صلة حيّة وموقعية تعلق الأئمة من أولادها عليهم السلام.

ويزيد ذلك وضوحاً ما يسمى بالكتاب الذي يفتحه كل إمام لنفسه لكنه لا يفتح

(١) الاحتجاج، الشيخ الطبرسي / ١ / ١٤٥.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد / ١١ / ١١٣.

كتاب إمام آخر في حين أن كتب الأئمة تعطى للزهراء عليها السلام بما فيها من أسرار عالم الغيب، وما أعدّه الله للبشر في كل المحطات والملاحم الغيبية.

أيهما أقرب للنبي صلى الله عليه وآله فاطمة أم علي عليهما السلام:

بعد كل ما اثبتناه من ترّيع علي وفاطمة عليهما السلام على عرش مشترك من الكمالات والفضائل وتقدمهما على أولادهما المعصومين عليهم السلام يصل المقام للسؤال عن ميزة أحدهما على الآخر برغم ما لهما من الدرجات المتقاربة، فهل مقام فاطمة عليها السلام أقرب لمقام أبيها من مقام علي منه؟

ومما أوضحه القرآن الكريم بشكل جلي أن من أقرب المقربين للرسول صلى الله عليه وآله علي ابن أبي طالب عليه السلام، بل عبر عن شدة القرب بأن جعله بمنزلة نفس الرسول صلى الله عليه وآله كما في آية المباهلة في قوله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾^(١).

ودل على المنزلة القريبة المعنوية بينهما في آية الولاية وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(٢).

بينما في آيات أخرى كآية المودة وآية الفياء التي هي آية ولاية بين القرآن أن أقرب المقربين من رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام.

فهل هناك تدافع بين آيات القرآن؟

وجوابه: إن الجمع بين تلك الآيات يكون من خلال القول بكفوية فاطمة لعلي عليهما السلام وكفوية علي لفاطمة عليهما السلام وكونهما لونا واحدا بلا أي منافاة في تقدّم علي عليه السلام عليها في بعض

(١) سورة آل عمران: الآية ٦١.

(٢) سورة المائدة: الآية ٥٥.

الخصوصيات.

وفي القرآن شاهد أن الولاية بعد الله ورسوله ﷺ لعلي وفاطمة عليهما في الدرجات الأولى قبل الحسن والحسين عليهما وقبل التسعة المعصومين عليهم فضلاً عن سائر الأنبياء عليهم، ففي آية المودة وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(١) بيان ما قلناه، إذ هي دالة على أن أساس الدين مودة القربى، وأقرب القربى هي فاطمة عليها.

ولابد من التدقيق أن مودة القربى لم تجعل أساساً للشريعة، بل أساس للدين، والدين قد بعث به جميع الأنبياء عليهم، فسائر النبيين يدينون إلى الله بولاية الله وبطاعة خاتم الأنبياء ﷺ وبطاعة قربي خاتم الأنبياء.

أي أن قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ فالضمير في كلمة «عليه» لا يرجع إلى الشريعة، بل يرجع إلى الدين أو إلى جهود النبي ﷺ في تبليغ الدين، وبالتالي فهو راجع إلى الدين، والدين كما هو معلوم واحد بين الأنبياء في نظامه ومنظومته، وإن كان فيه تفاضل في العمق من شريعة إلى أخرى.

ومن ثم فإن الدين الموحد بين الأنبياء عليهم مرتب في القرآن على درجات والرتبة الأولى منه لله بلا أن يكافئه أحد، والرتبة الأولى فيه بحسب دائرة المخلوقين وفي العباد المقربين المكرمين هو سيد الأنبياء وبعده قربه عليه.

وخلاصة المطلب أنه ثبت لفاطمة عليها كل ما للأئمة عليهم من صلاحيات وولايات

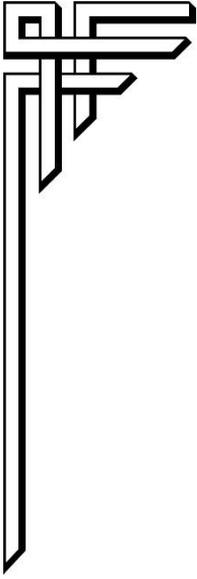
(١) سورة الشورى: الآية ٢٣.

وحجية واصطفاء ولزوم طاعة، وزادت عَلَيْهِمْ فِي أَنَّ رَتْبَهَا تَتَلَوُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام.

وفي بيانات وشواهد كثيرة أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ عليهم السلام إِنَّمَا أَوْتُوا النُّبُوَّةَ بِإِقْرَارِهِمْ بِالْوِلَايَةِ لِسَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ، وَالْوِلَايَةَ لِأَهْلِ بَيْتِهِ عليهم السلام مِنْ أَوْلِهِمْ وَهُوَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام ثُمَّ فَاطِمَةَ عليها السلام ثُمَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَالتَّسْعَةَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ عليهم السلام، وَقَدْ مَرَّ ذَلِكَ.

وَلَا يَتَوَهَّمُ أَحَدٌ أَنَّ الْإِقْرَارَ بِهِمْ مَخْصُوصٌ بِبَعْثَةِ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّ ذَلِكَ عَقِيدَةٌ، وَالْعَقِيدَةُ لَا نَسْخَ وَلَا تَبَدُّلَ فِيهَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَى نَبِيٍّ، وَالذِّينَ مَنْظُومَتُهُ ثَابِتَةٌ بَعَثَ بِهَا آدَمَ وَنُوحَ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى وَسَائِرَ الْأَنْبِيَاءِ عليهم السلام.

وَمَا لِلْقُرْآنِ مِنْ هَيْمَنَةٍ عَلَى عِلْمِ مُوسَى «التَّوْرَةَ» وَعَلَى عِلْمِ عِيسَى «الْإِنْجِيلَ» وَعَلَى عِلْمِ إِبْرَاهِيمَ «الصَّحْفَ» ثَابِتٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَهْلِ بَيْتِهِ الْمُطَهَّرِينَ عليهم السلام، وَبِالتَّالِيِ فَلِفَاطِمَةَ عليها السلام هَيْمَنَةٌ عَلَى أَوْلَادِهَا الْمُعْصُومِينَ عليهم السلام وَهِيَ مُهَيْمَنَةٌ عَلَى عِلْمِ الْأَنْبِيَاءِ عليهم السلام.



المقالة الرابعة عشر: مقام ولاية الأمر ثابت لفاطمة عليها السلام

* ثبوت ما وراء الإمامة السياسية لفاطمة عليها السلام

* ولاية أمر الأئمة عليهم السلام وراثه من فاطمة عليها السلام

* إنعكاس ولاية فاطمة عليها السلام الملكوتية في الشؤون الخطيرة

* الأبعاد الثابتة من ولاية الأمر لفاطمة عليها السلام

* سؤدد وطهارة وحجية فاطمة مأخوذ في الدين

* أدلة ولايتها الأمرية

* خلو كتب الكلام عن نسبة عنوان ولاية الأمر لفاطمة

* دليل ولايتها للأمر بمعناه الأرضي

* الفرق بين الأمرية الدينية والفرعونية الدكتاتورية

* تروِّي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي إِسْنَادِ وَلايَةِ إِلى لفاطمة عليها السلام

ثبوت ما وراء الإمامة السياسية لفاطمة عليها السلام:

لقد ثبت لفاطمة عليها السلام بأدلة قرآنية محكمة وأدلة روائية متينة كل ما ثبت للأئمة عليهم السلام من مقامات عدا الإمامة السياسية ومباشرة أمور الرجال، وما في معنى ذلك من المناصب التنفيذية.

وأما ما وراء الإمامة السياسية من مقامات خطيرة كمقام ولاية الأمر المشار إليه في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(١) فهي ثابتة بحسب كل معادلات القرآن ومعادلات السنة النبوية والمعادلات العلمية الرصينة للصديقة عليها السلام، بل ثبت مقام ولاية الأمر لها بحسب الدليل مقدم على ثبوته للحسين عليه السلام والأئمة التسعة عليهم السلام.

ومن أوضح الشواهد على ذلك قوله تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى...﴾^(٢)، إذ أن أول القربى هي فاطمة عليها السلام.

ولاية أمر الأئمة عليهم السلام وراثتاً من فاطمة عليها السلام:

ومما يستفاد هاهنا من قاربته القربية أنها تورث أولادها المعصومين عليهم السلام مقام ولاية الأمر، ففضلاً عن كونها ولية أمر بحسب القاعدة القرآنية المبدّهة فإنها زيادة على ذلك تتوسط في توريث ذلك المقام بما له من طبقات ودرجات لقبية المعصومين عليهم السلام.

ومن الوهم أن يعتقد بانحصار ولاية الأمر في البعد السياسي والقيادة السياسية فيفسر

(١) سورة النساء: الآية ٥٩.

(٢) سورة الحشر: الآية ٦.

قوله تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(١) عَلَى أَنَّهَا نازلة في بيان الحاكمية السياسية للأئمة عليهم السلام، بل الصحيح أن الحاكمية السياسية بعد نازل بمراتب من ولاية الأمر، وإلا فإن لمقام ولاية الأمر أصل وبعده متجذّر وهو ولاية الأمر الملكوتي الأعلى، وما الحاكمية السياسية في الأرض إلا ظل وظلال من ذلك الأصل.

وَقَدْ بَيَّنَّ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾^(٢).

وأفصح في سورة الواقعة أن ذلك الرُّوح يمسه المطهرون، ويَبِّنُ مصداق المطهرين في سورة الأحزاب، وَهُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ الْخَمْسَةِ وَأَحَدُهُمْ فَاطِمَةُ عليها السلام، فيثبت لها مقام ولاية الأمر بذلك المعنى الأصل الذي تتفرع عَلَيْهِ ولاية الأمر في عالم الأرض، إذ من الخطأ انسباق المعنى الأرضي من الأمر حيث إن القرآن قَسَمَ العوالم إلى خلقية وأمرية، وعالم الأمر هو عالم الإبداع، وعالم ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٣)، وعالم ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٤)، فالمعنى الأوّل والأصل لقولنا إن فَاطِمَةَ عليها السلام وليّة الأمر أنّها تلي عالم الأمر.

إنعكاس ولاية فاطمة عليها السلام الملكوتية في الشؤون الخطيرة:

ولو سأل سائل عن صدى ومقابل ما لها من ولاية أمرية ملكوتية على عالم الخلق وعالم

(١) سورة النساء: الآية ٥٩.

(٢) سورة الشورى: الآية ٥٢.

(٣) سورة يس: الآية ٨٢.

(٤) سورة الإسراء: الآية ٨٥.

الأرض؟

فلو قيل: هل انعكس ما تثبتونه لها من مقام أمري على دورها في عالم الدنيا، إذ أن الأدوار الأرضية كيفاً ومساحة منعكسة عن سعة المقام الأمري؟

وقبل الإجابة يحسن أن نشير إلى اشتباه البعض في وزن المقامات الأمرية للحجج بما ينعكس عنها لهم في عالم الدنيا بنحو ظاهر وواضح، فلو لم يُشهد لهم احتكاك مباشر بعالم الخلق والأرض لكان ذلك ذريعة لإنكار ما لهم من مقام في عالم الأمر!!

أي أنه مع القول بضرورة انعكاس ما هناك على ما هنا إلا أن الاشتباه هو في وضوح الانعكاس الذي هو المهم لدى المشتبه.

ومن ثم فنحن نقول بضرورة كون الزهراء عليها السلام وليّة للأمر في عالم الدنيا انعكاساً عما لها من ولاية للأمر في عالم الأمر لكنه ليس بنحو ما لأولادها عليهم السلام حرفياً لخصوصية الأنثى فيها.

ولنضرب مثلاً لإيضاح المطلب وهو أن القرآن يلزمنا بالاعتقاد بجبرائيل عليه السلام وبمقام أمين الله على وحيه في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾^(١)، والمقصود به جبرائيل ويصفه القرآن بذي قوة وأنه مكين لذي العرش.

ويترتب على ذلك ضرورة الإيمان بأمانة جبرائيل عليه السلام في نقل الوحي وإلا تتلاشى العقيدة بالقرآن.

ولا شك أن من يسأل عن انعكاس مقامات الزهراء عليها السلام الأمرية على وجودها الدنيوي

(١) سورة التكوين: الآية ١٩، ٢٠.

يؤمن بحجّية جبرائيل عليه السلام برغم أنّه لا يتعاطى مع البشر وليس له تماس مباشر معهم.

فلنا أن نتساءل هنا أيضاً أين هو انعكاس مقام جبرائيل عليه السلام الأمرى وهو الوساطة بين

المقام الصاعد والمقام النازل لسيد الأنبياء عليه السلام في عالم الأرض وفي حركة البشر!!

وبعبارة أخرى:

إنّه لا تستم لدى أيّ مسلم الشهادة لرسول الله صلى الله عليه وآله بالرسالة إلا بالاعتقاد بأن

جبرائيل أمين الله على وحيه، ولا يبرر عدم كونه إماماً ولا قائداً بشرياً وأنه ليس له تماس بالبشر رفع أحد اليد عما له من مقامات واجبة الاعتقاد.

ونظير ذلك في فاطمة عليها السلام فعدم كونها إماماً أو قائداً بشرياً على حدّ ما للأئمة عليهم السلام من

قيادة تنفيذية لا يزعم الاعتقاد بولايتها الأمرية ومقامها الأمرى.

وقد انعكس ما ثبت لها هناك على وجودها الأرضي فكانت معلّمة وملهمة لخاصة

أولياء الله، وهذا أعظم أثر من أن يكون لها نشاط في تعليم عموم البشر.

الأبعاد الثابتة من ولاية الأمر لفاطمة عليها السلام:

ولنخوض أكثر في أبعاد ولاية الأمر الثابتة للزهراء عليها السلام، فإنّه مقام لا يضاهيه مقام ولاية

الأمر للأنبياء عليهم السلام وولاية الأمر لمريم عليها السلام.

ودليله آيات قرآنية عظيمة لا يخطأ مفادها العقل لو تسلّح بسلاح التدبر مقروناً

بإشارات روايات أهل البيت عليهم السلام.

فإنّ تلك الآيات الناصّة على مقام فاطمة عليها السلام سلكت منهاجاً وأسلوباً غير ما هو معهود

مِنْ أَسْلُوبِ قِرَائِي فِي آيَاتِ مَرْيَمَ وَسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ عليهم السلام، فَإِنَّهُ فِي مَرْيَمَ وَسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ أَثْبَتَ لَهُمُ الْمَقَامَاتِ بِأَسْلُوبٍ مُبَاشِرٍ وَبِالتَّنْصِيصِ عَلَى الْأَسْمَاءِ، غَيْرَ أَنَّهُ أَثْبَتَ مَقَامَ وَلايَةِ الْأَمْرِ وَغَيْرِهَا مِنْ الْمَقَامَاتِ لِفَاطِمَةَ عليها السلام فِي ضَمَنِ إِثْبَاتِهَا لِأَهْلِ الْبَيْتِ عليهم السلام، فَشَارَكَ اللَّهُ فِي وَلايَةِ وَطَهَارَةِ وَسُودِدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عليهم السلام، وَلَمْ يَشَارِكْ غَيْرَهُمْ مِنْ الْمُصْطَفِيِّينَ لِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَالْمُرْسَلِينَ وَلا مِنْ النِّسَاءِ الطَّاهِرَاتِ.

وَمَعْلُومٌ سَلْفًا أَنَّ سَائِرَ مَقَامَاتِ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ صلى الله عليه وآله لَا يَشَاكِلُهَا وَلَا يَجَانِسُهَا وَلَا يَشَابِهُهَا مَا لَدَى الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ مِنْ مَقَامَاتٍ.

فَإِشْرَاكَ أَهْلِ الْبَيْتِ عليهم السلام مَعَ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ صلى الله عليه وآله فِي بَيَانِ مَا لَهُ مِنْ مَقَامَاتٍ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا...﴾^(١) يُوَضِّحُ أَنَّ مَا ثَبَتَ لَهُمْ عليهم السلام يَكْبُرُ وَيَعْظَمُ مَا ثَبَتَ لِلنَّبِيِّينَ.

سُودِدِ وَطَهَارَةُ وَحُجِّيَّةُ فَاطِمَةَ عليها السلام مَاخُودًا فِي الدِّينِ:

وَإِذَا كَانَ الْقُرْآنَ لَا يَفْتَأُ مِنَ الْمُنَادَاةِ بِسَيَادَةِ مَرْيَمَ عليها السلام وَطَهَارَتِهَا وَحُجِّيَّتِهَا وَوَلَايَتِهَا فَمُنَادَاتِهِ بِسَيَادَةِ وَطَهَارَةِ وَحُجِّيَّةِ وَوَلَايَةِ فَاطِمَةَ عليها السلام أَكْبَرَ وَأَعْظَمَ.

وَإِذَا مَا فَتَأَ عَنِ الْإِشَادَةِ بِخِصَالِ وَمَقَامِ وَاصْطِفَاءِ وَسُودِدِ أَوْلِي الْعِزْمِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فَإِشَادَتِهِ بِاصْطِفَاءِ وَسُودِدِ فَاطِمَةَ عليها السلام أَكْبَرَ وَأَعْظَمَ.

وَمِنْ ثَمَّ إِذَا كَانَ سُودِدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله عَلَى الْأَنْبِيَاءِ مَوْخُودًا فِي دِينِ اللَّهِ فَسُودِدِ فَاطِمَةَ عليها السلام مَوْخُودًا عَلَى مَرْيَمَ وَحَوَاءَ وَسَارَةَ وَسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ عليهم السلام فِي دِينِ اللَّهِ.

(١) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

وَلَقَدْ حَرَّصَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى بَيَانٍ أَنَّ سُودَّهَا ثَابِتٌ لَهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ،
فَبَقُولِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ»^(١) أَفْصَحَ عَنْ سُودِّهَا فِي عَالَمِ الدُّنْيَا، وَبَقُولِهِ: «فَاطِمَةُ
سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(٢) أَثْبَتَ سُودَّهَا عَلَى غَيْرِهَا فِي عَالَمِ الْآخِرَةِ.

وَلَا يَنْحَصِرُ مَعْنَى السُّودِّ الْأَخْرَوِيِّ فِي الْفَضِيلَةِ وَالتَّفْضِيلِ، وَإِنَّمَا هُوَ بِمَا تُعْطَى فِي
ذَلِكَ الْعَالَمِ مِنْ صِلَاحِيَّاتٍ وَحَاكِمِيَّةٍ وَمَقَامٍ تَدْبِيرٍ وَسُلْطَةِ إِدَارَةٍ يَأْذَنُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى سِوَاءِ قَبْلِ
دَارِ الْجَنَّةِ أَوْ فِيهَا، إِذْ فِي الْجَنَّةِ مَرَاتِبٌ مِنْ مَنْظُومَةِ الْإِدَارَةِ وَمَنْظُومَةِ الصِّلَاحِيَّاتِ وَمَا شَابَهُ
ذَلِكَ مِمَّا لَيْسَ فِي دَارِ الدُّنْيَا.

فَكَمَا أَنَّ عَالَمَ الْمَلَائِكَةِ فِيهِ أَمْرٌ وَمَأْمُورٌ وَسَيِّدٌ وَمَسُودٌ وَنِظَامٌ وَتَرَاتِيْبِيَّةٌ صِلَاحِيَّاتٍ،
فَكَذَلِكَ الْحَالُ فِي عَالَمِ الْجَنَّةِ، فَمَعَ كَوْنِهَا دَارَ نَعِيمٍ لَا يَتَخَلَّلُهَا أَيُّ تَسَيِّبٍ أَوْ فَوْضُوِيَّةٍ بَلَّ يَحْكُمُهَا
نِظَامُ الْإِمَامِ وَالْمَأْمُومِ وَالسَّيِّدِ وَالْمَسُودِ وَنِظَامُ الْإِدَارَةِ وَالْحَاكِمِيَّةِ.

وَقَدْ مَرَّ فِي ضَوَابِطِ الْبَحْثِ أَنَّ الدِّينَ وَكَأَيَّسَ الشَّرِيْعَةَ مَوْجُودٍ فِي كُلِّ الْعَوَالِمِ أَرْضِيَّةٍ أَوْ
سَمَاوِيَّةٍ وَدُنْيَوِيَّةٍ أَوْ أَخْرَوِيَّةٍ وَبَشَرِيَّةٍ أَوْ مَلَائِكِيَّةٍ وَأَدْمِيَّةٍ أَوْ جَنِّيَّةٍ وَظَاهِرِيَّةٍ أَوْ بَرْزَخِيَّةٍ.
وَتَقْدَمُ أَنْ مَنْ لَهُ مَوْقِعِيَّةٌ فِي الدِّينِ لَهُ مَوْقِعِيَّةٌ فِي كُلِّ الْعَوَالِمِ الَّتِي يَحْكُمُهَا الدِّينُ.

وَمِمَّا يُوْضِحُ أَنَّ الْوَلَايَةَ مِنَ الدِّينِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ...﴾^(٣) حَيْثُ

(١) الأُمَلِي، الشَّيْخُ الصَّدُوقُ ١٧٥، كِهَالِ الدِّينِ وَتَمَامِ النِّعْمَةِ، الشَّيْخُ الصَّدُوقُ ٢٦٠، الْمُسْتَدْرَكُ، النَّسَائِبُورِي: ١٥٦/٣، مَسْنَدُ أَبِي دَاوُدَ الطَّيَالِسِيِّ،
سَلِيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ الطَّيَالِسِيِّ ١٩٧.

(٢) الأُمَلِي، الشَّيْخُ الصَّدُوقُ ١٨٧، كِهَالِ الدِّينِ وَتَمَامِ النِّعْمَةِ، الشَّيْخُ الصَّدُوقُ ٢٦٣، مَسْنَدُ أَحْمَدَ، الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ٣/ ٨٠، صَحِيْحُ
الْبُخَارِيِّ، الْبُخَارِيُّ ٤/ ١٨٣.

(٣) سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الْآيَةُ ٥٥.

أسند الولاية الحقيقية لله تعالى وما لله دين عام مستمر وكيس شريعة متبدلة، فكذاك ما أسند لأهل البيت عليهم السلام من ولاية ظلية هي من الدين الثابت فلهم ولاية في التكوين وولاية في التشريع وولاية في سائر العوالم.

وَمِنْ الخَطَأِ القَوْلَ أَنَّ مَفَادَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ...﴾ هُوَ مَفَادٌ تَشْرِيْعِي بَلْ هُوَ مَفَادٌ اِعْتِقَادِي، أَيِّ مَرْتَبِطٌ بِجَانِبِ الدِّينِ وَكَيْسَ بِجَانِبِ الشَّرِيعَةِ.

وَمِنْ ثَمَّ فَكُونَ فَاطِمَةَ عليها السلام وَلِيَّةَ الأَمْرِ يَعْنِي أَنَّ لَهَا وَايَةَ دِينِيَّةً وَسِيْعَةً بِسَعَةِ العَوَالِمِ، وَعَلَى اِخْتِلَافِهَا وَتَنَوُّعِهَا.

أدلة ولايتها الأمرية:

روى في الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «إن الله عز وجل لما عرج بنبيه صلى الله عليه وآله إلى سماواته السبع... ثم أوحى الله عز وجل إليه اقرأ يا محمد نسبة ربك تبارك وتعالى: «قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوا أحد»... ثم أوحى الله عز وجل إليه اقرأ إنا أنزلناه فإنها نسبتك ونسبة أهل بيتك إلى يوم القيامة»^(١).

فما هو معنى النسب، وما هو معنى إضافتهم لسورة القدر؟

وجوابه: إن الحديث القدسي يخط المسار الذي ينبغي أن يتوجه من خلاله للتعرف على هوية أهل البيت عليهم السلام، فإذا أراد الباحث أن يتعرف على الهوية الحقيقية لهم عليهم السلام فلا سبيل له

(١) الكافي، الشيخ الكليني: ٣/٤٨٦، ويدل عليه ما رواه في كمال الدين بسنده عن أبي جعفر الثاني، عن أبيه عن آبائه عليهم السلام أن أمير

المؤمنين صلوات الله عليه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لأصحابه: آمنوا بليلة القدر إنها تكون لعلي بن أبي طالب وولده الأحد

عشر من بعده. كمال الدين وتمام النعمة/ ٢٨١.

لذلك في المسار التأريخي العائلي، فليست حقيقة تعريف النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ مُحَمَّدٌ بن عبد الله بن عبد المطلب، وليست حقيقة علي عليه السلام أَنَّهُ علي بن أبي طالب، وليست هوية فاطمة عليها السلام أَنَّهَا فاطمة بنت مُحَمَّد بن عبد الله بن عبد المطلب، بل التعريف الحقيقي في هويتهم القرآنية الإلهية أعظم بمراتب من انتمايتهم العائلي وإن كَانَ نسبهم في الشرف والسؤدد لا يُجَارَى ولا يضاهى، لكنه لا يجاري نسب هوياتهم القرآنية والإلهية.

وبكلمة أدق:

إن نسب الله تَعَالَى في رتبة من رتب آيات القرآن وبالتحديد في سورة التوحيد، أي أَنَّهَا المنظار المقرب للمعرفة التوحيدية.

ونسب أهل البيت عليهم السلام في رتبة من رتب آيات القرآن وبالتحديد في سورة القدر.

فأي باحث أراد أن يُسلِّط الأضواء ليقترَب من هوياتهم الحقيقية فلا سبيل له إلا الغوص الفكري والسباحة العقلية بين طيات آيات سورة القدر، فلبَّ هويتهم ولبَّاب حقيقتهم كما من في ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾^(١).

وختام آيات سورة القدر قوله تَعَالَى: ﴿تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ...﴾^(٢).

والسؤال من هم أصحاب الأمر، والذين لا يتنزل الأمر إلا عليهم؟

ذَلِكَ ما توضحه سورة النحل في قوله تَعَالَى: ﴿يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ

(١) سورة القدر: الآية ١.

(٢) سورة القدر: الآية ٤.

يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ... ﴿١﴾

فَلَمْ يَقُلْ مِنْ أَنْبِيَائِهِ أَوْ رَسَلِهِ إِنَّهَا قَالَتْ مِنْ عِبَادِهِ، أَيَّ أَنْ أَصْحَابِ الْأَمْرِ لَيْسُوا هُمْ بِالْخُصُوصِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ وَإِنَّمَا هُوَ فِي الدَّرَجَةِ الْأُولَى لِسَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ، وَمِنْ ثَمَّ لَعَنَتْهُ عَلَيْهِمَا.

ويتجلى نفس هذا المعنى في سورة الدخان في قوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ ﴿٢﴾.

وفي قوله تَعَالَى: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ...﴾ ﴿٣﴾.

وقوله تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٤﴾.

فتلاحظ أن الله تَعَالَى قَدْ ذَكَرَ فِي كُلِّ تِلْكَ الْآيَاتِ أَصْحَابِ الْأَمْرِ بِلَفْظِ عِبَادِنَا وَلَمْ يَذْكُرْهُمْ بِلَفْظِ أَنْبِيَاءٍ أَوْ رُسُلٍ، فَيَكُونُ مَعْنَاهُ أَنَّ لِلْقُرْآنِ حَقِيقَةً عَظِيمَةً وَهُوَ ذَلِكَ الْأَمْرُ الْمَلَكُوتِيُّ وَهُوَ ذَلِكَ الرُّوحُ الْأَمْرِيُّ، وَأَنَّهُ يُلْقَى وَيَسْتَوْدِعُ عِنْدَ مَنْ يَشَاءُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ مِنْ بَعْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فثمة مَنْ يورثهم اللهُ ذَلِكَ الْأَمْرَ الْمَلَكُوتِيَّ.

وَفِي خُطْوَةٍ مَعْرِفِيَّةٍ أُخْرَى أَفْصَحَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ عَنْ أَصْحَابِ ذَلِكَ الْأَمْرِ الْمَقْرُونِينَ

(١) سورة النحل: الآية ٢.

(٢) سورة الدخان: الآية ٣-٥.

(٣) سورة غافر: الآية ١٥.

(٤) سورة الشورى: الآية ٥٢.

بالقرآن والمستودع عندهم الرُّوحِ فِي سِوَةِ الْوَاقِعَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾^(١) وَلَمْ يَقُلِ الْمُطَهَّرُونَ الَّذِينَ تَطَهَّرُوا بِالتَّوْبَةِ، وَإِنَّمَا الْمُطَهَّرُونَ الَّذِينَ تَطَهَّرُوا مِنْ قَبْلِهِ تَعَالَى، وَهُمْ الَّذِينَ أَفْصَحَ عَنْهُمْ الْقُرْآنُ فِي سِوَةِ الْأَحْزَابِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٢).

ومحصل تلك المعادلات هو أن أصحاب الأمر في الدرجة الأولى هم الخمسة أصحاب الكساء عليهم السلام، وفي الدرجة الثانية هم التسعة المعصومون من ذرية الحسين، وفاطمة عليها السلام ثالث أفراد الدرجة الأولى فيثبت لها كلِّ صلاحيات ولي الأمر.

خلو كتب الكلام عن نسبة عنوان ولاية الأمر لفاطمة عليها السلام:

وإذا قلت: إن ما وصلت إليه من نتيجة عقائدية في مقامات فاطمة عليها السلام لم يشتها المتكلمون في كتبهم الكلامية برغم تعددها؟

فقول: إن النتيجة التي وصلنا إليها نتيجة قطعية من ضمن معادلات قرآنية، فكيف يجوز أن نحيد عن الدليل وهو ماثل أمام أعيننا، فيثبت أنها عليها السلام ولية أمر، بل من أعظم مقاماتها أنها ولية أمر في الدين وبها للدين من ربح وسيع في كلِّ العوالم.

هذا فضلاً عن الروايات الشريفة التي أثبتت لها أنها ولية أمر، بل أنها تسبق أولادها في هذا المقام، ومن ثمَّ يدين كلهم بطاعتها وولايتها.

(١) سورة الواقعة: الآية ٧٧-٧٩.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

دليل ولايتها للأمر بمعناه الأرضي:

وما مرَّ هو دليل ولايتها للأمر بمعناه الملكوتي، وأمّا دليل ولايتها للأمر بمعناه الأرضي فلتوضيحه نمهد بهذه المقدمة:

فإنَّه لا يرتاب عاقل في أنَّ العلم والقوة والثروة من الأركان التي تقوم عَلَيْهَا الحكومات في الأرض.

وهي العوامل الرئيسية للحاكمية في الأرض، وهي الآثار التي يقوم عَلَيْهَا الحكم السياسي.

والثروة باعتبارها أحد الأركان ليست عنواناً للصلاحيّة في جانب المال وإنما هي عنوان للحاكمية السياسية.

وَلَقَدْ أَفْصَحَ الْقُرْآنُ عَنْ تَوَافُرِ تِلْكَ الْأَسْبَابِ لِلْحَاكِمِيَّةِ فِي أَهْلِ الْبَيْتِ عليهم السلام، وفاطمة عليها السلام ممن جُعِلَ لَهُمُ الْوِلَايَةُ عَلَى الْأَمْوَالِ الْعَامَّةِ فِي الْأَرْضِ كُلِّهَا، حَيْثُ عَزَى وَأَسْنَدَ وَوَلَّى الْحَاكِمِيَّةَ وَالْإِدَارَةَ وَالتَّدْبِيرَ لَهَا عليها السلام كَمَا فِي سُورَةِ الْحَشْرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى...﴾^(١).

والفيء في تعريف كافة مذاهب المسلمين على اختلاف تعابيرهم هو عبارة عن كلّ ثروات الأرض باستثناء الملكيات الخاصّة، أو قل هو خاص بالثروات العامّة، وهو نفسه متّحد ومنطبق على الأنفال الوارد في قوله تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ

(١) سورة الحشر: الآية ٧.

وَالرَّسُولِ... ﴿١﴾.

وفي قراءة قرأ بن مسعود، وسعد بن أبي وقاص، وعلي بن الحسين، وأبو جعفر بن محمد بن علي الباقر، وزيد بن علي، وجعفر بن محمد الصادق عليه السلام، وطلحة بن مصرف: (يسألونك الأنفال) ﴿١﴾.

فَهِيَ تَسْنَدُ أَمْرِ الثَّرَوَاتِ الْعَامَّةِ أَوْ تَنْقَلُ مَا زَادَ وَمَا خَرَجَ عَنِ الْمَلَائِكَةِ الْخَاصَّةِ مِنَ الثَّرَوَاتِ الْعَامَّةِ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَيْسَ أَمْرُهَا مَسْنُودًا لِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ، هَذَا بِحَسَبِ آيَةِ الْأَنْفَالِ.

وَأَمَّا آيَةُ الْفِيءِ فِي سُورَةِ الْحَشْرِ فَتَضْيِفُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ وَحَيْثُ إِنَّ كُلَّ لَفْظٍ فِي الْقُرْآنِ بِحِسَابِ وَوِزْنِ، فَالسُّؤَالُ هُنَا عَنْ تَكَرُّرِ اللَّامِ ثَلَاثَ مَرَاتٍ فِي نَفْسِ السِّيَاقِ، حَيْثُ مَرَّةً دَخَلَتْ عَلَى لَفْظِ الْجَلَالَةِ وَمَرَّةً عَلَى لَفْظِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُخْرَى عَلَى ذِي الْقُرْبَى، بَيْنَمَا جَرَّدَتْ أَلْفَاظَ «الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ» عَنْ سَبْقِهَا بِاللَّامِ، مِمَّا يُعْطِي حَقِيقَةَ مَفَادِهَا أَنَّ كُلَّ مَا وَرَدَ فِي الْآيَةِ لَهُ صِلَةٌ وَعِلَاقَةٌ بِاللَّامِ لَكِنَّهَا تَخْتَلِفُ وَتَتَفَاوَتُ نَوْعًا وَسِنْخًا، فَإِنَّ دُخُولَ اللَّامِ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ يُوحِي بِالْهِمْنَةِ مِنَ اللَّهِ وَالرَّسُولِ وَذِي الْقُرْبَى عَلَى ثَرَوَاتِ الْأَرْضِ.

وَلَيْسَتْ «اللَّامُ» مُجَرَّدَ تَعْبِيرٍ عَنْ مَلَائِكَةٍ مُتَوَاضِعَةٍ عَلَى حَدِّ مَا فِي الْمَلَائِكَةِ الْخَاصَّةِ، وَإِنَّمَا هِيَ لَامُ الْوِلَايَةِ، وَفَرَقَ بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ الْخَاصَّةِ الَّتِي لَا شَأْنَ فِيهَا وَبَيْنَ مَلَائِكَةِ الْوِلَايَةِ عَلَى الْأَمْوَالِ وَالثَّرَوَاتِ، فَإِنَّ أَمْرَهَا أَعْظَمُ وَشَأْنُهَا أَجَلٌ.

(١) سورة الأنفال: الآية ١.

(٢) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي ٤ / ٤٢٣.

إذ من الفوارق بينها أنَّ الملكية الخاصّة إذا ما تعارضت مع الصالح العام للمجتمع ولعمران المدن وحاجات العباد فإنّها تسقط، كما إذا استلزمت المصالح المدنية العامة شق طريق يمر على أرض مملوكة بملكية خاصّة فإن الصالح العام يتغلب على الملكية الخاصّة وتزال الأرض عن صفتها الأولى ويشق الطريق العام.

بينما الملكية بالولاية لا يمكن أن تُزال أو تنزل، فالولاية ملكية أعظم لاشتغالها على التدبير والتصرّف المتصل بالانتفاعات الخطيرة.

أو قل إن ملكية الولاية تعني ملكية التدبير والإدارة والحاكمية.

ولنضرب مثلاً توضيحاً للفرق بينهما في ملكية الرقبة، فإن ملك المالك لرقبة العبد ملك بحسب الواقع لمنافع محدودة في العبد، فهي وإن عبّر عنها بملك الرقبة لكنها بالدقة ملك لمنافع خاصّة.

وقد يغفل من يخالف الإسلام في بحث العبيد والرقيق فيتصور أن الإسلام يُبيح بالرق إنساناً لآخر بشكل مُطلق، ومن هذا المنطلق يُشكل وسيتفهم، بينما ملك العبيد في دين الإسلام شبيه بالدقة بالأجير والمستأجر، فكما أن المستأجر له دائرة خاصّة يحق له فيها أن يتحكم في الأجير لكنها ليست مطلقة، ولا يتحكم فيه كيفما يشاء، بل له الحاكمية في منافع خاصّة فكذلك في ملك العبيد.

وهذا بخلاف من ملكه الله طاعة البشر بدائرة مُطلقة فهو يملك من البشر الكثير والكثير من المنافع.

أو قل ملكية الولي للإنسان وسيعة بسعة الدين، فليس لطاعة الرسول حد محدود كما

كَيْسَ لَطَاعَةِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَدٌّ أَوْ قَيْدٌ.

الفرق بين الأمرية الدينية والفرعونية الدكتاتورية:

وما ينبغي الالتفات إليه أن أمرية الرسول ﷺ مختلفة سنخاً عن الدكتاتورية والفرعونية التي هي ناتجة عن تضخم الأنا والزهو بفعل إغراء إبليس الرجيم، بل إن ملاك وأساس طاعته وولايته ﷺ كونه أعبد الخلق وأطوعهم لله تعالى، وولايته على الناس تعكس تجليات ومشيات الله، فمعنى أمريته ﷺ هو أنه أجلى من يتجلى فيه أمر الله تعالى لعبوديته كأعظم مخلوق لله.

وهذا بعينه يجري في ولاية أهل البيت عليهم السلام على الخلق وولاية فاطمة عليها السلام فلا تتم أعباد الخلق وأجلى تجليات الله في نزول أمريته ومشيته وربوبيته لخلقه وجب طاعتهم.

وبما مرّ يتبين معنى ملكية الولاية المبيّنة في آية الفياء إذ مفادها إسناد الفياء للرسول ﷺ ولذي القربى عليهم السلام، أي أنهم أولياء ثروات الأرض وأنهم الحاكمون في الأرض.

وقد مرّ بنا القول أن الثروة هنا عنوان للحاكمية التي هي حاكمية متولّدة ومنشعبة وممتدة من حاكمية الله وحاكمية الرسول ﷺ.

ولأن فاطمة عليها السلام أول مصداق لقربي النبي ﷺ، فالنتيجة أن الآية وبصريح العبارة تسند الحاكمية بعد الله والرسول ﷺ لعلي وفاطمة عليهما السلام على السواء.

وهذا معنى ما مرّ بنا غير مرّة من أن النصوص القرآنية قد فعلت الحقيية الوزارية للزهراء عليها السلام. إن صحّ التعبير - في حكومة الرسول ﷺ، بل المعنى في ولاية الزهراء عليها السلام أعظم وأكبر شأنًا مما يسمى بالحقيية الوزارية.

وأعجب ما في الأمر أن تُسند لها تلك الوزارة في ضمن حكومة أبيها، وتحت ظل حاكميته هذا مع التحفظ على عدم إطلاق عنوان الإمامة على موقعية فاطمة عليها السلام مع ما لها من ولاية أرضية وحاكمية على ما بيناه؛ وذلك لعدم إسناد عنوان الإمامة لها في لسان الوحي؛ ولأجل ذلك فإننا نتقيد بالقوالب والأوسمة الوحيانية، إذ أن لكلّ وسام وحياني أساساً تكوينياً غيبياً وحقيقة غيبية لا ندرك عمقها ولا نتلمس شأنها.

ولذا لا نطلق عليها عليها السلام عنوان الإمام ولكن تسند لها ولاية الأمر لورود هذا العنوان في ألفاظ الوحي وإن كانت الشؤون المختصة بالرجال لم تُسند لها.

تروى النبي صلى الله عليه وآله في إسناد ولاية إلى فاطمة عليها السلام:

من الجدير بالذكر إن إجماع المفسرين وإجماع روايات الفريقين قائم على أن النبي صلى الله عليه وآله قد تروى في تفعيل ذلك المنصب لفاطمة عليها السلام.

وكان ذلك التروى إشفاقاً منه ودرءاً لفتنة أهل الشقاق والنفاق، وحتى لا يُقال أنه رتب الشؤون الدينية لذويه وحسبه، أو يُثار في وجهه نعرات الجاهلية فيقال كيف أسند مثل تلك الصلاحيات لإمرأة، فلأجل تلك الأسباب وغيرها تروى النبي صلى الله عليه وآله في إسناد ذلك المقام لفاطمة عليها السلام كما تروى في إسناد الإمامة لعلي عليه السلام إلى بيعة الغدير.

وكما أتته النذارة الخاصة من الله بضرورة التفعيل للإمامة وإسنادها لعلي عليه السلام بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(١)، ومعناها العصم من فتنة الناس،

فكذا وَرَدَ الإنذار وبتفاق أكثر المفسرين مِنْ الفريقين واتفاق روايات الفريقين فِي تفعيل منصب فاطمة عليها السلام.

فالمشهد القرآني الذي حث فِي الرَسُولِ عليه السلام عَلَى سرعة الإفصاح عَنْ إمامة علي عليه السلام لَهُ نظير فِي ما يتصل بمنصب فاطمة عليها السلام، حَيْثُ إِنَّ النَّبِيَّ عليه السلام قَدْ تَرَوَى فِي تفعيل صلاحيات فاطمة عليها السلام فِي العلن فأنته نذارة مِنْ الله فِي سورتين قرآنتين فِي الروم قوله تَعَالَى: ﴿فَأْتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾^(١)، وَفِي الإسراء فِي قوله تَعَالَى: ﴿وَأْتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾^(٢).

فَقَدْ وَرَدَ فِي روايات الفريقين أَنَّ جبرائيل نزل بها عَلَى النَّبِيِّ عليه السلام لِيُعْطَ لفاطمة عليها السلام ما أُسْنَدَ إِلَيْهَا مِنْ قَبْلِ الله تَعَالَى.

وَلَيْسَ ما أُسْنَدَ إِلَيْهَا مِنْ قَبْلِ الله تَعَالَى هُوَ ما تبادر مِنْ معنى للمفسرين مِنْ الفريقين عَلَى أَنَّهُ إِسْنَادٌ لِلْمَلَكِيَةِ الْخَاصَّةِ وَالَّذِي بَيَّنَّا أَنَّهُ مَعْنَى هَابِطٍ وَضَحْلٍ، فليس ما أُسْنَدَ لفاطمة عليها السلام فِي آية سورة الحشر هُوَ الْمَلَكِيَةُ الْخَاصَّةُ وَما يترتب عَلَيْهَا مِنْ لذائذ ونزوات نفسانية، وَإِنَّمَا هُوَ ملكية ولاية الأمر وَهُوَ عِبْرَةٌ عَنْ الْحَاكِمِيَّةِ.

فِيكون معنى قوله تَعَالَى: ﴿وَأْتِ ذَا الْقُرْبَى﴾ هُوَ ضرورة أَنْ يَفْعَلَ النَّبِيُّ عليه السلام فِي حياته ذَلِكَ الْمَنْصِبَ الْوَلَائِيَّ لفاطمة عليها السلام، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ تَرَوَى النَّبِيُّ عليه السلام رَأْفَةً بِالْعِبَادِ وَبَغِيَّةَ ترويضهم عَلَى استيعاب ما لفاطمة عليها السلام مِنْ منصب، فنزلت مَرَّةً أُخْرَى آية ثالثة تدفع النَّبِيَّ لِلتَّعْجِيلِ وَالْإِسْرَاعِ فِي تفعيل ذَلِكَ الْمَقَامَ لفاطمة عليها السلام، فَقَدْ أَجْمَعَ الْمَفْسُرُونَ وَاتَّفَقَتْ رَوَايَاتُ

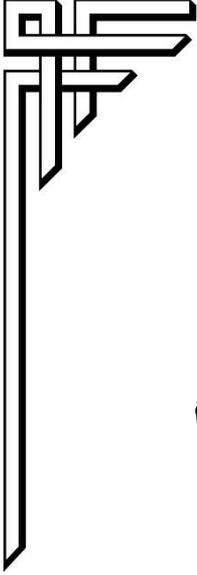
(١) سورة الروم: الآية ٣٨.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٢٦.

الفريقين أن قوله تَعَالَى: ﴿وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ نزلت في سورة الروم بحسب التسلسل الزمني للآيات.

ومما يُؤسف له أن ما بيناه من مقام لها عليها السلام لم يبلور حتى الآن لا في بحوث الفقه ولا في بحوث الكلام رغم أنه من العقائد الخطيرة والواجبة الاعتقاد.

وقد قامت على إثباته مواد قرآنية ومواد الحديث النبوي ومواد حديث العترة، وهو المعول عليه في تكامل المعرفة ورصد العقائد وتطوير الجانب العلمي، وكَيْسَ المعول على التتاج العلمي البشري.



المقالة الخامسة عشر: حقيقة فاطمة عليها السلام

* تعريف أهل البيت عليهم السلام على وجه الحقيقة

* حقيقة الإنسان لا في بدنه ولا في عقله بل في كماله النهائي

* التعريف الوحياني لفاطمة عليها السلام

تعريف أهل البيت عليهم السلام على وجه الحقيقة:

لَعَلَّهُ يَسْتَعْرَبُ الْكَثِيرَ إِذَا مَا قَلْنَا أَنَّ لِفَاطِمَةَ عليها السلام أَدْوَارًا وَتَأْثِيرًا فِي عَوَالِمٍ عَدِيدَةٍ، وَهِيَ عَوَالِمُ قَوْسِ الصُّعُودِ وَعَوَالِمُ قَوْسِ النُّزُولِ.

وَنظِيرَ هَذَا الِاسْتَعْرَابِ بِيَدِيهِ الْبَعْضُ اتِّجَاهِ الْبَحْثِ عَنْ أَدْوَارِ الْمُعْصُومِينَ عليهم السلام قَبْلَ الْأَرْضِ وَفِيهَا وَبَعْدَهَا.

وَسَبَبُ هَذَا الِاسْتَعْرَابِ يَكْمُنُ فِي التَّعْرِيفِ النَّاqِصِ بِحَقِيقَةِ الْمُعْصُومِينَ عليهم السلام، إِذْ أَنَّ الْاِقْتِصَارَ فِي تَعْرِيفِ حَقِيقَتِهِمْ عَلَى الدِّينِ وَشَوْؤِنِهِ الدُّنْيَوِيَّةِ يُفْضِي إِلَى إِنْكَارِ سَعَةِ أَدْوَارِهِمْ وَتَأْثِيرِهِمْ فِي بَقِيَّةِ الْعَوَالِمِ.

إِلَّا أَنَّ هَذَا الاستغراب لا محل له إِذَا ما عرفنا واقتربنا مِنْ فَهْم حقيقتهم عليهم السلام عَلَى ما هِيَ عَلَيْهِ، وعندها سنؤمن بما لهم مِنْ منظومة أدوار مِنْ البدء إلى الختم، أَيَّ فِي الدنيا وما قبلها وفي البرزخ وما بعده وفي القيامة وما يتلوها.

حقيقة الإنسان لا في بدنه ولا في عقله

بل في كماله النهائي:

ولذا فكما أَنَّ حقيقة الإنسان وحقيقة كُلِّ شيء بفصله الأخير لا بمادته ولا بصورته، أَيَّ حقيقته بكماله الأخير، وَلَيْسَ بكماله النازل الذي ابتدأ في أطوار وجوده، فليست حقيقته بالنظفة وإن كانت هِيَ مِنْ مبادئه، وليست حقيقته برجله ويده وسائر أعضائه ولا ببدنه كله، كما أَنَّهُ ليست حقيقته بروحه أَيَّ بغرائزه النازلة كغريزة الشهوة، إِذْ أَنَّ الشَّهْوَةَ مَرَّةً تكون مَعَ الإنسان وتارة تكون مجمدة وَغَيْر مفعلة.

وليست حقيقته بغريزة الغضب إِذْ هِيَ كَذَلِكَ ربما تفعّلت لديه وربما سكنت وجمدت. فالبحث عَنْ الحقيقة للشيء هُوَ بحث عَنْ الهوية المفعلة فيه دائماً؛ ولذا قالوا في مباحث المعارف: إِنَّ حقيقة الإنسان فضلاً عن أنها ليست ببدنه فَهِيَ أيضاً ليست بعقله بل شيء وراء عقله، وخلصوا إلى أَنَّ حقيقته تكمن بكماله الأخير.

وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ الإشارة الخفية فِي قول النبي صلى الله عليه وآله: «من عرف نفسه فقد عرف ربه»^(١).

إِذْ معرفة النفس بحقيقتها كما أسلفنا بمعرفة كمالها الأخير وَلَيْسَ هُوَ إِلَّا غايتها وخالقها ومرجعها.

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي ٢/ ٣٢.

وَعَلَىٰ ضَوْءِ هَذَا التَّقْرِيبِ يَصِحُّ الْقَوْلُ مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ نَبِيَّهُ ﷺ وَمَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ إِمَامَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ الصَّدِيقَةَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَهُمْ أَبْوَابُ الْكَمَالِ الْأَخِيرِ وَهُمْ تَجْلِيهِ وَأَيَاتِهِ.

وَمِنْهُ تَعْرِفَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾^(١). أَيَّ نَسُوا الْهُويَةَ وَالْكُنْهَ وَالْغَايَةَ، فَتَرْتَّبَ عَلَيْهِ تَضْيِيعَ النَّفْسِ وَالْغَفْلَةَ عَنْهَا.

وَفِي آيَاتِ الْقُرْآنِ إِشَارَاتٌ مَعْرِفِيَّةٌ تَوْضِحُ كَيْفِيَّةَ تَعْرِيفِ الْأَشْيَاءِ بِحَقِيقَتِهَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾^(٢) إِفْصَاحٌ عَنْ حَقِيقَةِ النَّبِيِّ لَا يَبَانُ نَاطِقٌ عَاقِلٌ بَلْ بِمَا هُوَ فَوْقَ الْعَقْلِ وَهُوَ أَنَّهُ الْمُدَدُ الدَّائِمُ لَوْحِي اللَّهِ، فِي آيَةِ اغْتِضَاضِ عَنِ الْجَنْبَةِ الْبَشَرِيَّةِ وَشَوْنِهَا وَتَعْرِيفِ لَهُ ﷺ بِالْجَنْبَةِ الَّتِي يَتَمَيَّزُ بِهَا عَنْ سَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ وَهِيَ أَنَّهُ «وَحْيِي يُوْحَىٰ».

التعريف الوحياني لفاطمة عليها السلام:

وَعَلَىٰ هَذَا جَرَتْ الرِّوَايَاتُ فِي تَعْرِيفِ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ فَعَرَّفَتْهَا بِالنُّورِ وَالْحَوْرِيَّةِ وَبِأَنَّ حَقِيقَتَهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ مِمَّا لَا يَتَّصِلُ بِشَوْنِ الْبَدَنِ فِي شَيْءٍ.

فَلَيْسَ تَعْرِيفُهَا كَامِنٌ فِي بَدَنِهَا وَفِي سَنَةِ وِلَادَتِهَا وَإِنْ كَانَ لَبَدَنِهَا شِرَافَةٌ، لَكِنَّ حَقِيقَتَهَا عَلَيْهَا السَّلَامُ بِطَبَقَاتٍ مِنْ ذَاتِهَا مَخْلُوقَةٌ قَبْلَ بَدَنِهَا.

وَلِإِيضَاحِ الْمَطْلَبِ بِنَحْوِ أَجْلِ نَطْرَحِ هَذَا الْمَثَالِ:

(١) سورة الحشر: الآية ١٩.

(٢) سورة الكهف: الآية ١١٠.

وَهُوَ أَنَّ الْقَصْدَ لزيارة شخص عزيز يتطلب التوسل بمعرفة عنوانه ومحل سكنه والطريق المؤدي إلى بيته، فإذا ما وصل القاصد إلى باب بيت مقصوده فإنه يعرض عن كل شيء ويقبل على الشخص الساكن ولا يُعير أهمية للبيت المسكون.

وَهَذَا نَظِيرَ ما نحن فيه مِنْ تعريف الأشياء، فَإِنَّ الْوَقُوفَ عِنْدَ أبدان وغلّاف الأشياء هُوَ اعتناء بالبيت المسكون وتمسك به، بَيْتًا فِي داخله تكمن الهوية والرُّوح، وفي داخل بيت الرُّوح يسكن النُّور، وفي بيت النُّور يسكن نور النُّور.

وَعَلَى هَذَا الْأَسَاسِ فَإِنَّ تعريف الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو أمير الْمُؤْمِنِينَ عليهم السلام أو فاطمة عليها السلام إِذَا لَمْ يَلْحَظْ فِيهِ تِلْكَ الطَّبَقَةَ النُّورِيَّةَ وَذَلِكَ الْكِنَهَ الرُّوحَانِيَّ فَهُوَ شَطَّ وَابْتَعَادَ عَنِ الْحَقِيقَةِ وَكَيْسَ قَرَبًا مِنْهَا.

وَلِذَا وَرَدَتْ التَّوْصِيَةُ الْوَحْيَانِيَّةُ بِالْتَعْرِيفِ عَلَيْهِمُ بِالنُّورَانِيَّةِ، بَلَّ أَشَارَتْ كَثِيرٌ مِنَ الرِّوَايَاتِ بِمَعْرِفَتِهِمُ بِالنُّورَانِيَّةِ، أَيَّ تَعْرِيفِهِمْ بِأَوَّلِ طَبَقَةٍ فِي خَلْقِ ذَوَاتِهِمْ، فَهِيَ كُنْهِمُ وَغَايَتِهِمْ.

ففي البحار عن جابر بن عبد الله قال: قلت لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أول شيء خلق الله تعالى ما هو؟

فقال: نور نبيك يا جابر، خلقه الله ثم خلق منه كل خير»^(١).

وَوَرَدَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كنت نبيا وآدم بين الماء والطين»^(٢).

(١) بحر الانوار، المجلسي ١٥ / ٢٤ عن رياض الجنان.

وَلَمْ يَقُلْ كُنْتُ بَدَنًا لِأَنَّ نُبُوَّةَ النَّبِيِّ لَيْسَتْ بِبَدَنِهِ أَوْ رُوحَهُ أَوْ قَلْبَهُ وَإِنَّهَا بِنُورِهِ.

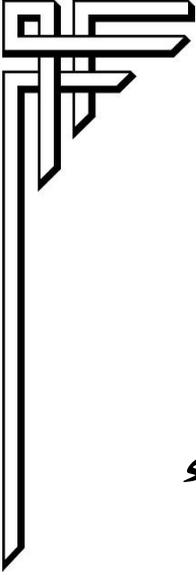
ونظيره سارٍ في تعريف فاطمة عليها السلام فَإِنَّ تَعْرِيفَهَا بِالنُّورِ هُوَ التَّعْرِيفُ الْمَطْهَرُ لِحَقِيقَتِهَا.

وبما ذكرناه يتقرَّب للأذهان ما في بيانات الآيات والروايات مِنْ أَنَّ لِفَاطِمَةَ عليها السلام منظومة

أدوار في مبدأ الخلق ووسطها ومنتهاها، كما أَنَّ لها أدواراً في البرزخ والرجعة وفي القيامة بمواطنها المختلفة مِنْ موطن الشفاعة وَحَتَّى دُخُولِ الْجَنَّةِ.

وبذلك يثبت لها شأنٌ في الحجية لا يقتصر على عالم الدنيا، بل يدوم لها ما دامت

الخلق، وبذلك تشترك مع النبوة والإمامة في تأييد الحجية وما يترتب عَلَيْهَا.



المقالة السادسة عشر: دليل وفلسفة ظلامه الزهراء

* النقطه الأولى: الدليل على ظلامتها ٢٤٦

* تحليل السياقات الطبيعية للحدث وسيله لفهمه

* اهمال القصاصات المحتملة تغريد خارج سرب فطرة البشر

* الحجج المجموعيه دون الحجج المستقلة نبه الحقيقه

* بعض أنماط تنقيه التراث تعميمه على الحقائق

* تراكم وتوزع قصاصات ظلامتهم في كتب المسلمين

* التسرع في نفي الأحداث مناقض للمنهج العلمي

* النقطه الثانية: فلسفات إثبات ظلامتها

* الفلسفه الأولى: إحياء المظلومية إحياء للمنهج القويم

* الفلسفه الثانية: التعرف على الظلامات تمييز للقدوات

* علل تصفية الزهراء عليها السلام

* العلة الأولى: حيلولة وجود الزهراء عليها السلام عن البيعة

* العلة الثانية: تصفيتها لمصادرة حقها

* العلة الثالثة: شرعيتها المحكمة عليها السلام إسقاط لشرعيتهم

* الشاهد الأول

* الشاهد الثاني

* الفرية على الزهراء عليها السلام فرية على الدين

* اشتراك النبي صلى الله عليه وآله وبضعته عليها السلام في شدة الظلامه

وها هنا نستعرض نقطتين:

النقطة الأولى: ما هو الدليل على وقوع ظلاماتها:

إن المصادر التي تثبت وقوع الظلامات على فاطمة عليها السلام مصادر مستفيضة وكثيرة، فوقوعها لم يخرج مصدر واحد أو اثنين أو ثلاثة.

كما أن مصادر ظلامتها غير مختصة بكتب الشيعة الإمامية أو كتب فرق الشيعة الأخرى، وإنما هي مثبتة في بطون كتب المسلمين جميعاً.

فلو تحلى الباحث بالتبع والاستقصاء لظفر بمصادر إثبات غير متوقعة عدداً.

ولربما تتلبد الرؤية وتضم القناعة بذلك عند بعض الخاصة ومنشؤها السببات

والغفلة والقصور المنهجي في التبع للقصاصات المباشرة وَغَيْرَ المباشرة، وَإِلَّا فَمَا مِنْ صحيح مِنْ كتب الحديث لدى الجمهور وأهل سنة السلطان إِلَّا وفيها بصمات عديدة وزوايا كثيرة وشواهد غَيْرَ خفيةٍ مِنْ ظلامتها ﷺ.

ويتساوى فِي ذَلِكَ صحيح البخاري وصحيح مسلم ومسند الترمذي وغيرها.

والعجب ممن يقرأ عبارات مفعمة بالإشارة إلى ظلاماتها ولكن مِنْ غَيْرِ تنبّه والتفات إلى دلالتها كعبارة «ماتت وَهِيَ واجدة»^(١) أو عبارة «وددت أني لم اكشف بيت فاطمة»^(٢) فليْس المقصود مِنْ العبارة الأولى التأثير النفساني لخلاف دنيوي، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ المقصود مِنْ عبارة «كشفت عَنْ بيتها» مُجَرَّد إِزاحة الستار.

فإن أمثال تلك القراءات هِيَ وليدة الفهم البارد والذهن الفاتر فَإِنَّهُ لا يتوقع أَنْ يُنقل تفاصيل التفاصيل فِي شق ظلامتها، ولكن كَمَا قِيلَ «الحر تكفيه الإشارة».

فالذهن المنفتح والمقتنص لِكُلِّ شوارد ما جرى مَعَ وضع أسس الخلاف القائم آنذاك نصب العين يكفي لفهم ما جرى عَلَيْهَا مِنْ ظلامته بعمق وحرارة.

فما هو المتوقع مِنْ الأحداث والتجاوزات والتعدييات إِذَا كَانَ أصل الحدث هُوَ الصدام حول الرئاسة بحيث تداخلت فيه جملة مِنْ القوى والتوازنات، فَهَلْ يُظن أَنْ أجواء مِنْ الرفق واللين والأسلوب الديمقراطي لها أَيُّ فرصة أو مجال؟

ويمكن أَنْ نعطيها هُنَا إشارات تُبَيِّنُ نمط الأسلوب الذي واجهوا به الزهراء ﷺ

(١) شرح نهج البلاغة، بن أبي الحديد ٦ / ٥٠.

(٢) الايضاح، الفضل بن شاذان ٥١٨.

لنفهم شدة ما وقع عَلَيْهَا مِنْ ظلامه.

أولاً: افتراض أَنَّهُمْ قَدْ واجهوا تخلف علي والزهراء عليهما السلام عَنْ تأييد الخلافة القائمة بحضارية ونمطٍ مِنَ الديمقراطية يكذبه الهجوم عَلَى بيتها رغم أن معارضة علي وفاطمة لم تسلك أسلوب الخروج للشارع وتحشيد الجموع وتأليب الجماهير، وَمَعَ ذَلِكَ هجموا بأعدادٍ غَيْر قليلة عَلَى بيت علي وفاطمة عليهما السلام.

ولو أردنا أن نحلل بَعْض دلالات هذا الأسلوب فإنَّ أوضح دلالة هي أَنَّهُمْ يرون في ذَلِكَ البيت أَنَّهُ يمثل عنوان المعارضة ومركز القيادة فإذا لم يُقتحم لا تستتب عملية التغيير ولا تضمن السيطرة الكاملة.

ومن الواضح أن نفس الهجوم عَلَى بيتها عليها السلام يُبين أن الأحداث كانت ذات طابع إرهاب وعنف ولم تكن مخملية أو ناعمة.

تحليل السياقات الطبيعية للحدث وسيلة لفهمه:

وبنحو القاعدة لأبَد أن تقرأ النصوص التاريخية بنحو مستوعب بحيث يُقتنص تفاصيلها الطبيعية والمنطقية.

ومما يستدعي الاستغراب أن غير المنصفين علمياً سواء من الوسط الداخلي أو الخارجي يقفون عَلَى اللقطات التاريخية بما هي، أي كَمَا وَرَدَتْ في التاريخ مبتورة ومقطوعة عما قبلها وعما بعدها، ويرون لأنفسهم عذراً وتبريراً بحجة خلو مصادر التاريخ عن التفاصيل، إلا أن من حق الباحث المنقّب أن يسלט منظار القوة التحليلية عَلَى نفس تلك اللقطة التي يثبتها التاريخ ليفهم السياقات الطبيعية التي لأبَد أن ترافق الحدث التاريخي

بحسب نوعه وطبيعته.

وَمِنْ بَابِ الْمَثَالِ إِنَّ التَّارِيخَ قَدْ أُثْبِتَ وَقَائِعَ عَدِيدَةٍ حَدَثَتْ فِي كَرْبَلَاءَ، وَجَاءَ الْكَثِيرُ مِنْهَا مَبْتُورًا عَمَّا قَبْلَهُ وَعَمَّا بَعْدَهُ، فَهَلْ يَمْنَعُ ذَلِكَ مِنَ التَّحْلِيلِ لِنَفْيِ مُسْتَلْزَمَاتِ الْحَدَثِ.

فَإِذَا نَصَّ فِي الْمَوَادِّ أَنَّ الْخِيَامَ فِي كَرْبَلَاءَ حُرِّقَتْ وَلِنَفْتَرِضَ أَنَّ التَّفَاصِيلَ السَّابِقَةَ وَاللَّاحِقَةَ لَمْ تَذَكَرْ لَكِنَّ السُّؤَالَ يَظَلُّ قَائِمًا عَمَّا يُمْكِنُ أَنْ يَسْتَتَبِعَ ذَلِكَ الْحَدَثِ.

فَإِذَا كَانَتْ الْخِيَامُ قَدْ حُرِّقَتْ فَمَا هُوَ حَالُ وَمَصِيرُ مَنْ يَبْقَى فِيهَا مِنَ النِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ، وَمَا هُوَ حَالُ وَمَصِيرُ مَنْ يَفِرُّ مِنْهَا عَلَى وَجْهِهِ إِذْ أَنَّ جَيْشًا دُمُويًّا فَتَاكًا يَدُورُ حَوْلَ الْخِيَامِ.

أَفْهَلْ يُمْكِنُ الْقَوْلُ أَنَّ تِلْكَ الدَّلَالَاتِ مُجَرَّدُ اخْتِلَاقَاتٍ، وَمَوَادِّ التَّارِيخِ عَارِيَةٌ عَنْهَا، أَوْ أَنَّ الْاِخْتِلَاقَ وَالتَّرْوِيرَ هُوَ نَكَرَانُ تِلْكَ الدَّلَالَاتِ بِأَنَّ يَفْهَمُ أَنَّ مَتْنَ مَا جَرَى هُوَ حَرْقُ الْخِيَامِ وَأَمَّا مَا قَبْلَ الْحَدَثِ وَمَا بَعْدَهُ فَهِيَ أُمُورٌ هَادِئَةٌ لَيْتَنَ؟

أَيُّكَونُ مِنَ الْاِخْتِلَاقِ الْقَوْلُ أَنَّ بَعْضَ الْأَطْفَالِ قَدْ سُحِقُوا تَحْتَ سَنَابِكِ الْخِيُولِ وَهُوَ أَمْرٌ سِيَاقِي مَنْطِقِي لِأَصْلِ الْحَدَثِ، أَوْ أَنَّ الْاِخْتِلَاقَ هُوَ إِصْبَاقُ صِفَةِ الْبُرُودِ وَالْهُدُوءِ لَمَّا قَبْلَ وَمَا بَعْدَ الْحَدَثِ الْوَحْشِيِّ الدَّامِي؟

وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى:

لَوْ اعْتَرَفَ الْجَانِيُ بِلِقْطَةٍ مِنْ لِقْطَاتِ الْجَرِيمَةِ الْمُنْسُوبَةِ إِلَيْهِ فَهَلْ يَكْتَفِي الْمَحْقِقُ الْجِنَائِيُّ بِالْمَقْطَعِ الَّذِي اعْتَرَفَ بِهِ الْجَانِيُّ أَمْ أَنَّهُ يَتَوَسَّلُ بِالثَّابِتِ مِنَ اللَّقْطَاتِ لِفَهْمِ مَقَاطِعِ أُخْرَى مِنَ الْجِنَايَةِ وَالْحَدَثِ؟

إنَّ الاستقصاء الجنائي قائم الآنَ عِنْدَ كُلِّ البشْرِ عَلَى التَحْفَظِ عَلَى كُلِّ قِصَاصَةٍ وَخِيوطٍ مِنْ خِيوطِ الحَدِثِ وَالتَّوَسُّلِ بِهَا لِفَهْمِ كُلِّمَا جَرَى.

اهمال القصاصات المحتملة تغريد خارج سرب فطرة البشر:

وَهَذَا مِنْهُجٌ فَطْرِي لَا يُمْكِنُ أَنْ يُفَرِّطَ فِيهِ بِأَيِّ حَالٍ مِنَ الأَحْوَالِ فَإِنَّ تَرَاقِمَ الاحتمالات يوصل إلى الصورة الواضحة الكاملة.

بَلْ يُعَدُّ الإِهْمَالُ لِأَيِّ مَعْلُومَةٍ وَإِنْ كَانَتْ ضَيْئِلَةً تَفْرِيطاً وَتَضْيِيعاً لِلحَدِثِ، بَلْ يُعَدُّ مِنْ ضُرُوبِ الجُنُونِ أَنْ تَتْرَكَ رُؤُوسَ خِيوطِ الحَدِثِ وَلَوْ كَانَتْ ضَيْئِلَةً.

فَإِنَّ الحَدِثَ مَا هُوَ إِلَّا صُورَةٌ كَبِيرَةٌ تَبْعَثُ فِي قِصَاصَاتٍ، وَوِظِيفَةِ البَاحِثِ بِحَسَبِ عِلْمِهِ - البَاحِثِ فِي الأَثَارِ أَوِ البَاحِثِ الجِنَائِيِّ أَوِ البَاحِثِ عَنِ الحَقِيقَةِ - أَنْ يَسْتَمِرَّ كُلُّ قِصَاصَةٍ لِيَعْبَرَ مِنْ خِلَالِهَا لِغَيْرِهَا، وَحَتَّى لَوْ فَرَضَ عَدَمَ مَقْدَرَةِ الجِيلِ الأَوَّلِ مِنَ البَاحِثِينَ عَلَى اسْتِثْمَارِ مَا وَقَعَ بِأَيْدِيهِمْ مِنْ خِيوطِ فَهَوٍ لَا يَبْرُرُ إِهْمَالَ وَتَضْيِيعَ تِلْكَ القِصَاصَاتِ، إِذْ أَنْ الاحتمال قائم باقتدار الجيل الثاني أو الثالث من الباحثين على الربط والتحليل والاستنتاج.

وَمَا يُؤَكِّدُ ذَلِكَ أَنَّ الكَثِيرَ مِنْ تَقَارِيرِ المَسْتَنْدَاتِ العِلْمِيَّةِ حَوْلَ الجِنَايَاتِ لَا سِيَّمَا فِي الأَحْدَاثِ الكَبِيرَةِ كالأحداث التي تخصّ علاقات الشعوب وعلاقات الدول بعضها ببعض وبالأخصّ التي ترتبط بالديانات والدين لم تكتشف حقائقها إلا بعد قرون.

وَمَا يَدْعُمُ مَا نَحْنُ فِيهِ أَنَّ طَبِيعَةَ النَتَائِجِ المَوْضُوعِيَّةِ لَا سِيَّمَا فِي الأُمُورِ المَعْقَدَةِ تَتَطَلَّبُ تَظَاوُفَ جُهُودِ أَجْيَالٍ، فَيَكُونُ دَوْرُ البَاحِثِ الجِنَائِيِّ فِي الجِيلِ الأَوَّلِ مَقْتَصِراً عَلَى جَمْعِ القِصَاصَاتِ وَالقِرَائِنِ غَيْرِ أَنَّهُ لَا يَقْتَدِرُ عَلَى تَرْتِيبِهَا وَتَأْلِيفِهَا بِمَا يَطَابِقُ وَاقِعَ الحَقِيقَةِ.

فتكون تلك المهمة موكولة إلى الجيل الثاني ليستتج صورة أولية وربما تكون باهة عن واقع الحقيقة.

بينما قد يقتدر الجيل الثالث وبركة البناء على جهود الجيلين السابقين من أن يظهر واقع الحقيقة الكاملة بتام أبعادها.

وكم لذلك من نظير وخصوصاً على صعيد عالم الآثار إذ دأب البشرية على تحصيل العلم بحقائقه على تراكم الجهود والنتائج.

ولذا يكون حال من يطالب بعدم الاكتراث بالقصاصات المتناثرة بحجة أنها ضئيلة في الاحتمال حال من يغرد خارج سرب البشر.

الحجج المجموعية دون الحجج المستقلة نبع الحقيقة:

ولذا يعتمد المشهور الأعظم من الفقهاء على صعيد الفقه على الحجج المجموعية وليس على الحجج المستقلة، أي أن مجموع الحجج هي الحجة ومجموع الأدلة هي منبع الاستنتاج، فدأبهم على حشد عدة روايات كل منها معتبر ولا يكتفون برواية واحدة رغم اعتبارها، إذ أن الالتفات إلى مجموع ما هو حجة ومعتبر فيه زيادة في الحجية وزيادة وثوق وهو المسلك الذي يُعبر عنه الشيخ الأنصاري والوحيد البهبهاني بمسلك تجميع القرائن.

وتكمن ثمرة هذا المسلك في الحجج الكثيرة المبتلى كل واحد منها بزواوية من الضعف في إراءة الحقيقة بحيث أنه لو اعتمد على كل واحد بالاستقلال لكان أقصى ما يدل عليه هو احتمال مطابقته للواقع إلا أنه لو ضم بعضها لبعض لأوجب ترميم زواوية الضعف في الأول بجانب القوة في الثاني وهكذا، فنتج بمجموعها النتيجة الواضحة بضم القرائن وترميم

بعضها للبعض .

وفي الحقيقة أن مسلك جميع القرائن هو مسلك بشري متبع في كل العلوم والتخصصات لا سيما العلوم الإنسانية والنقلية والتاريخية والأثرية.

بينما مسلك إهمال القرائن وعدم الاكتراث بها وشطبها تأسيس للجهل والجهالة في الوسط العلمي .

ومن هنا يتأكد ضرورة الحفاظ والاحتفاظ بالأدلة والقرائن مهما تضاعل احتمالها في الأحداث والفجائع الكبرى أو ذات التأثير العقيدي والديني، فحتى لو كان احتمالها من الضالة إلى الواحد بالمائة فإنها تمثل نافذة للانفتاح على كبد الحقيقة.

بعض أنماط تنقية التراث تعمية على الحقائق:

ومنهُ تعرف سخف دعوى من ينادي بحذف قصاصات كثيرة سواءً في مسيرة الرسول' أو مسيرة الزهراء عليها السلام أو مسيرة علي عليه السلام أو في مقتل سيّد الشهداء عليه السلام.

فأيّ عقل يُجيز هكذا مسلك بأن تتقصد القرائن في المجاميع الحديثة كموسوعة البحار لتُهدم وتُخفى بحجة تنقية التراث؟!

والمحصلة أن لا ننخدع ولا نخادع بجهالات ترفع باسم العلم وتضيّع علينا الخيوط الموصلة للحقائق ولو بعد أجيال.

ونحن هنا لا نحاكم النيات ولا شأن لنا بالشخص، ولكن كل ما يُعنيننا هو تسليط الأضواء على زوايا الخطأ في بعض المناهج، وهو من الدأب العلمي الذي درج عليه مشهور

علماء الإمامية ومشهور علماء المسلمين.

بل نترقى في القول بضرورة حفظ القصصات والقرائن حتى في كتب المخالفين فضلاً عن كتبنا فيها جميعاً ترابط الأحداث وتكامل الصورة.

تراكم وتوزع قصصات ظلامتهم في كتب المسلمين

وخذ مثلاً على ذلك الذهبي صاحب كتاب سير أعلام النبلاء إذ بغض النظر عما يُقال من أنه ناصبي إلا أنه في ذلك الكتاب أثبت وسجّل كل الأحداث الأليمة التي وقعت على النبي ﷺ بسوء مواقف الصحابة، وجرت على علي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ، لكنه أثبتها بنحو موزّع ومشتت ومنتشر؛ ولذا فحفظ القصصات الواردة في كتابه وأمثاله بمكان من الأهمية لكون كل قصاصة مبعثرة تلقي بضوئها على فهم الحقيقة الكاملة.

ومن الجدير ذكره أن الذهبي في سير أعلام النبلاء قد ذكر ما جرى على الزهراء ﷺ من إسقاط الجنين وضرب البطن وكسر الضلع والهجوم على الدار وتلويعها يوم أن خرجت حتى عدّ بعض المتبعين عشرة مواطن تمّ فيها الهجوم على الزهراء ﷺ، فلو جمعت كل تلك القصصات لوصلت إلى اليقين بحقيقة أمّهم أفرغوا كل الأحقاد النفسية تجاه سيّد الأنبياء ﷺ على ابنته سيدة النساء ﷺ.

وبالغور في التحليل يبان أن تشفيهم من سيدة النساء ﷺ ليس قصة أحقاد، وإنما هو اختلاف منهجية وديانة عن ديانة سيّد الأنبياء ﷺ.

ونكرر القول أن ما نقله الذهبي في شأن ما جرى على الزهراء ﷺ لا يعثر عليه الباحث في موضع ترجمته للزهراء ﷺ فقط أو في ترجمته لسيرة الصحابة فحسب، كما أنه ليس

الاقتصار في البحث على موضوع واحد يعدّ من المراجعة العلمية بل هي شبيهة بعمل المحقق الجنائي الذي لا يكفل من مراجعة كلّ زوايا الحادثة ولا يفرط في أي معلومة مهما تضاءلت نسبتها للحدث.

وقد أدرك الوهابية والسلفية ما يحتويه كتاب سير أعلام النبلاء بين طياته من معلومات وقضايا تاريخية غاية في الأهمية والتي فيها ذكره لكل الاغتيالات التي دبرها الصحابة للنبي، فلما أرادوا أن يجددوا طبع الكتاب تحسسوا الخطر وضرورة حذف كثير مما فيه من شواهد تدين مهندسي تلك الاغتيالات، لكنهم وجدوا أن حذف تلك المواضيع كاملة لا يُبقي من الكتاب شيئاً.

وكذلك فعل الذهبي في كتابه الرجالي ميزان الاعتدال فضمّنه ملفات خطيرة فيما يخص ظلامة الزهراء عليها السلام وما يخص سم النبي، ومثله فعل البخاري في بعض أبواب صحيحه، كما في كتاب الطب^(١).

والمحصل من كلّ ذلك أن بصمات الأحداث الخطيرة وقصاصات المسائل موضع النزاع بين المذاهب الإسلامية مبثوثة وموزعة في مصادر المسلمين ولو جمعت لتبين بها حقائق ما جرى في التاريخ؛ ولذا وجب أن يتحفظ كلّ جيل على ما يصل من معلومات ليستثمرها الجيل الآتي مع ما يجده ويظفر به من معلومات لتطلع شمس الحقيقة في يوم من الأيام.

ونقدم ها هنا ثمة شاهد يشهد على ما قلناه من كون بصمات الحقيقة التاريخية مبثوثة في الكتب، فقد كنت اتصفح يوماً كتاباً من الكتب المطبوعة بملايين النسخ في مكة والمدينة

(١) صحيح البخاري، البخاري ٧ / ١٧.

والرياض وَهُوَ كِتَاب (وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى للسمهودي)، وَكَانَ الْغَرَضُ مِنْ مَطَالَعَتِهِ الْبَحْثُ فِي مَطْلَبٍ إِلَّا أَنِّي عَثَرْتُ مَصَادِفَةً عَلَى عِدَّةٍ مَصَادِرٍ رَوَّايَةٍ لَدَى الْعَامَّةِ يَذْكُرُهَا فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ مَضْمُونُهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَصْحَابِ الْكِسَاءِ فَيُسِّرُ بِهِمْ فَمَا يَلْبَثُ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْهِ جِبْرَائِيلُ فَيُخْبِرُهُ بِمَا يَلْقَوْنَهُ مِنْ بَعْدِهِ، فَيَخَاطِبُهُمْ عَلَيْهِمَا بِقَوْلِهِ وَهَذِهِ عِبَارَةٌ مُسْتَفِيضَةٌ فِي طَرَقِهِمْ وَمُسْتَفِيضَةٌ فِي طَرَقِنَا - وَهِيَ: (أَنْكُمْ قَتَلْتُمْ وَمَصَارِعَكُمْ شَتَى) (١).

وَفِي الْبَحَارِ رَوَى الْحَاكِمُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ بِإِسْنَادِهِ عَنِ سَيِّدِ الْعَابِدِينَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: زَارَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَعَمَلْنَا لَهُ خَزِيرَةً وَأَهْدَتُ إِلَيْهِ أُمَّ أَيْمَنَ قَعْبًا مِنْ زَبْدٍ وَصَحْفَةً مِنْ تَمْرٍ، فَأَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَكَلْنَا مَعَهُ ثُمَّ وَضَّأَتْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَمَسَحَ رَأْسَهُ وَوَجْهَهُ بِيَدِهِ، وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَدَعَا اللَّهَ مَا شَاءَ، ثُمَّ أَكَبَ إِلَى الْأَرْضِ بِدُمُوعِ غَزِيرَةٍ مِثْلَ الْمَطَرِ، فَهَبْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَسْأَلَهُ، فَوَثَبَ الْحُسَيْنُ (عليه السلام) فَأَكَبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا أَبُهِ رَأَيْتَكَ تَصْنَعُ مَا لَمْ تَصْنَعْ مِثْلَهُ قَطُّ، قَالَ: يَا بَنِي سُرَّتْ بِكُمْ الْيَوْمَ سُرُورًا لَمْ أَسِرْ بِكُمْ مِثْلَهُ، وَإِنْ حَبِيبِي جِبْرَائِيلُ أَتَانِي وَأَخْبَرَنِي أَنَّكُمْ قَتَلْتُمْ وَمَصَارِعَكُمْ شَتَى) (٢).

وَلِنَدَقُّ فِي الْعِبَارَةِ كَالْمَدَقِّ الْجَنَائِي وَنَسْأَلُ: هَلْ مَعْنَى الْعِبَارَةِ الْإِخْبَارُ عَنْ قَتْلِهِمْ أَوْ عَنْ الْقَتْلِ بِخُصُوصِيَّاتٍ مَعِيْنَةٌ؟!

إِنَّ مَعْنَى الْمَصْرَعِ هُوَ الطَّرِيقَةُ الشَّرْسَةُ فِي الْقَتْلِ، مِمَّا يَعْنِي أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَرْبَعَةِ مَصْرَعًا وَقِتْلًا بِشِرَاسَةٍ وَرِعُونَةٍ، وَهُوَ مَا يَثْبُتُ صِحَّةَ الْخُصُوصِيَّاتِ الَّتِي ذَكَرْتُ فِي كُلِّ

(١) وفاء الوفاء وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، السمهودي.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي ١٨ / ١٢٥.

مصارع من مصارع الأربعة، فلو استبعد أحد بعض الخصوصيات لعدم ظفره بمستند واضح عليه فإن ما ورد مستفيضاً عن النبي صلى الله عليه وآله يلقي الضوء ويرفع الاستبعاد.

ومن الجدير ذكره أيضاً أن السعي العلمي للظفر بالشواهد على الأحداث المؤلة لا ينحصر في البحث والتفتيش في كتب التراجم وإن كانت هي المعين الأول لذلك، بل حس التحقيق يتطلب التبع في قصاصات الأحداث المطوية في جميع كتب المسلمين بما فيها الكتب التفسيرية والرجالية والحديثية، بل أن بعض الإشارات البديعة والفتات السريعة التي تشهد على الظلمات قد يظفر بها في كتب اللغة القديمة والتي قد ترسل بعض العبارات إرسال المسلمات في الاستشهادات اللغوية لكنها من زاوية التحقيق ذات فائدة في الإثبات أو التأييد أو التوضيح لعبائر ذكرت في كتب التراجم أو غيرها.

التسرع في نفي الأحداث مناقض للمنهج العلمي:

ومن المنطقي أن هذا النمط من الاستقصاء يتوقف على اجتماع سواعد علمية وتظافر جهود تحقيقية، وإذا لم يتوفر ذلك في زمان فلا يحق لعلماء ذلك الزمان أن ينفوا بعض ما ورد في التاريخ لعدم الشواهد عليه، لأنه في الحقيقة لا يمكن لأحد أن يجزم بعدم وجود الشواهد ما دام البحث يتطلب توسع الاستقصاء بالنمط الذي ذكرناه.

ويتحصل بما مر أيضاً أن المنهج المتسرع في شطب الأحداث أو إنكارها لعدم وضوح الدليل لا يمت للمنهج العلمي بصلة بل موجب لعرقلة المسير العلمي والتحقيقي لدى الأجيال المستقبلية.

إذ ثمة فرق بين أن يقول الباحث في الجيل الأول لم أظفر بدليل وشواهد كافية على

الظلامه الكذائيه وبين أن يقول أجزم بكذبها، فإنَّ العبارة الأولى مُضافاً لكونها عبارة علمية منهجية هي تفتح الطريق للباحثين في الجيل الثاني والثالث، بينما العبارة الثانية مضافاً لكونها غير علمية وغير منهجية هي تصفية وعرقلة لمسير البحث العلمي لدى الأجيال المستقبلية.

النقطة الثانية: فلسفات إثبات ظلامتها ﷺ:

قد يظن البعض أن فلسفة التأكيد على ظلمات فاطمة ؑ تنحصر في أمرين:

(١) هدفها شحن الصدور بالكراهية وإشعال فتيل الخلاف والنزاع بين المسلمين.

(٢) إثارتها لأجل التأثير والحزن والتألم والمواساة.

وهاتان الفلسفتان وإن كانتا مطلوبتين بمعنى من المعاني إذ أن شحن الصدور بالكراهية جراء رواية ظلامتها مطلوب اتجاه المباشرين للحدث باعتبار أن الإنكار القلبي من مراتب الأمر بالمعروف، ولا شأن له بإثارة الخلاف والنزاع بين المسلمين، بل التأثير النفسي من مقدمات التبري كما أن الحزن والمواساة أمران عظيمان.

إلا أنه مع كل ذلك فثمة فلسفات وأبعاد عظيمة منها:

الفلسفة الأولى: إحياء المظلومية إحياء للمنهج القويم:

إنه لا فرق بين استعراض مظلومية الزهراء ؑ ومظلومية أمير المؤمنين ؑ وأهل البيت ؑ وبين إحياء المنهج والصراط القويم ووقاية المسلمين عن السير في صراط الجحيم وعن الاستمسك بمنهج الزيغ والتريف.

وَهَذَا مَا يَغْفَلُ عَنْهُ الْكَثِيرُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَيُظَنُّ أَنَّ التَّارِيخَ صَفْحَةٌ زَائِلَةٌ وَأَنَّهُ وَقَعَ
مَنْصَرَمٌ وَأَنَّهُ حَلْقَةٌ مَقْطُوعَةٌ لَا أَثَرَ لَهَا فِي الْأَجْيَالِ الْآتِيَةِ، وَلَا تَدَاعِيَاتٍ لَهُ عَلَى الْعَصْرِ الرَّاهِنِ،
فَضْلاً عَنِ الْمُسْتَقْبَلِ الْوَاعِدِ.

وَعَلَى هَذَا الْأَسَاسِ ثَمَّةٌ دَعْوَى لِتَجْدِيدِ تَقْوِيمِ تَارِيخِيٍّ يَبْتَدَأُ مِنْ عَصْرِنَا أَوْ يَبْتَدَأُ مِنْ
الْمُسْتَقْبَلِ بِالنِّسْبَةِ لِلْأَجْيَالِ الْلاحِقَةِ، أَيِّ كُلِّ جِيلٍ وَطَبَقَةٍ تَارِيخِيَّةٍ تَدْشُنُ لَهَا تَقْوِيمًا تَارِيخِيًّا
مَقْطُوعَ الصَّلَةِ عَنِ الطَّبَقَةِ السَّابِقَةِ.

إِنَّ رَفْعَ مِثْلِ هَذَا الشُّعَارِ فِيهِ اسْتِثْصَالٌ لِلْمَنْهَجِ الْعِلْمِيِّ وَانْقِلَابٌ عَلَى الْمَسِيرِ الْبَشَرِيِّ وَدَفْنٌ
لِمَقْتَضِيَّاتِ الْفِطْرَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، لِأَنَّ الْعَصْرَ الرَّاهِنَ وَالْمُسْتَقْبَلِ الْوَاعِدَ مَا هُوَ إِلَّا تَدَاعِيَاتٌ لِمَا حَدَثَ فِي
السَّابِقِ، بَلْ هُمَا أَمْوَاجٌ طُوفَانِ الْمَاضِي، وَلَا يُمْكِنُ لِلنَّسِيحِ الْحَضَارِيِّ أَنْ يُبْنِيَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ بِلِحَازٍ كُلِّ
زَوَايَا الْحَيَاةِ إِذَا مَا انْقَطَعَ الْحَاضِرُ وَالْمُسْتَقْبَلُ عَنِ الْمَاضِي.

وَهُنَاكَ شَاهِدَانِ عَلَى سُخْفٍ مِنْ يَنَادِي بِشُعَارِ الْفَصْلِ بَيْنَ الْمَاضِي وَالْحَاضِرِ:

أُولَهُمَا: مَا يُعْرَفُ بِتَدَاخُلِ الطَّبَقَاتِ، إِذْ أَنَّ التَّارِيخَ الْبَشَرِيَّ قَائِمٌ عَلَى أَجْيَالٍ وَطَبَقَاتٍ إِلَّا
أَنَّ التَّدَاخُلَ بَيْنَ الطَّبَقَاتِ أَمْرٌ لَازِمٌ أَيَّ اجْتِمَاعٍ بَعْضُ مَنْ كَانَ فِي طَبَقَةٍ سَابِقَةٍ وَبَعْضُ مَنْ
سَيَكُونُ مِنْ طَبَقَةٍ لَاحِقَةٍ، وَلَا شَكَّ أَنَّ ذَلِكَ تَلْقَائِيًّا يُوَصِّلُ الطَّبَقَاتِ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ مِمَّا يُوَجِبُ
تَأْثِيرًا وَتَأْتُرًا بَعْضُهَا بِبَعْضٍ.

وِثَانِيَهُمَا: نَسْأَلُ مَنْ يَرْفَعُ شُعَارَ الْفَصْلِ بَيْنَ الْمَاضِي وَالْحَاضِرِ وَالْمُسْتَقْبَلِ الْوَاعِدِ هَلْ تَرِيدُ
بِهِ الْفَصْلَ الْكَلِيَّ؟ وَهُوَ كَذَلِكَ فَهُوَ بِالتَّالِيِ مَنَادَاةٌ بِدَفْنِ الْإِنْتِاجِ الْعِلْمِيِّ وَالْحَضَارِيِّ الْمَاضِي
وَقَطْعِهِ عَنِ التَّأْثِيرِ فِي التَّنَاجِ الْعِلْمِيِّ الْحَاضِرِ.

وَهَذَا يَعْنِي الانْقِطَاعَ عَن تَارِيخِ الْعِلْمِ وَعِلْمِ التَّارِيخِ وَهُمَا شَيْءٌ وَاحِدٌ، وَالْمُنَادَاةُ بِذَلِكَ هُوَ شَبِيهٌ بِالْقَوْلِ أَنَّ عَلَى الْبَشَرِيَّةِ أَنْ تَصَفِّرَ الْعِلْمَ وَهُوَ شَبِيهٌ كَذَلِكَ بِالْقَوْلِ أَنَّ عَلَى الْبَشَرِيَّةِ أَنْ تَلْغِي الْهُوِيَّةَ الْعَقْلِيَّةَ وَهُوَ مَا يَسْمَى بِالْمِصْطَلَحِ الْحَدِيثِ فِي عِلْمِ الْحَاسِبِ (الْفُورِمَاتِ).

وَعَلَيْهِ نَسْأَلُ عَلَى وَفْقِ أَيِّ بَرْنَامِجٍ وَنِظَامٍ عِلْمِيٍّ تَسِيرُ الْبَشَرِيَّةُ لَوْ أَلْغَتْ تَارِيخَهَا الْعِلْمِيَّ، وَأَيِّ إِنتَاجٍ لَهَا سَيَتَطَوَّرُ إِذَا ابْتَدَأَتْ مِنَ الصَّفْرِ، وَكَيْفَ سَتَبْلُورُ لَهَا حَضَارَةٌ إِذَا هَدَّتْ دَعَامَاتِ الْمَاضِي.

إِنَّ التَّارِيخَ عِبَارَةٌ عَن مَخْزَنِ عِلْمِيٍّ عَظِيمٍ وَمَنْظَرٍ لِلْبَصِيرَةِ وَالرُّؤْيَا الْعِلْمِيَّةِ وَمَا بُنِيَتْ الْحَضَارَةُ فِي كُلِّ جِيلٍ إِلَّا عَلَى ثُرَاتِ الْمَاضِي، فَكَيْفَ يُمْكِنُ لِلْبَشَرِيَّةِ أَنْ تَبْتَدَأَ بِتَقْوِيمٍ جَدِيدٍ!!

وَلِذَا وَعَلَى ضَوْءِ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْإِشْكَالِيَّاتِ لَمْ يَكُنْ أَمَامَ الْمُنَادِينَ بِالْانْقِطَاعِ عَن الْمَاضِي إِلَّا رَفْعُ مَقُولَتِهِمْ كَشَعَارٍ عَامٍ لَكِنِّهِمْ يَمَارِسُونَ عَمَلًا الْانْتِقَائِيَّةَ التَّارِيخِيَّةَ الْمَزَاجِيَّةَ، أَيَّ فِي الْوَقْتِ الَّذِي فِيهِ يَقْطَعُونَ أَنْفُسَهُمْ عَن صَفْحَاتِ مِنَ التَّارِيخِ يَنْسُبُونَهَا إِلَى صَفْحَاتٍ أُخْرَى إِمَّا بِمِيزَانِ الْمَزَاجِيَّةِ أَوْ بِمِيزَانِ الْعَصْبِيَّةِ أَوْ بِمِيزَانِ السِّيَاسَةِ أَوْ غَيْرِهَا إِلَّا مِيزَانَ الْعِلْمِ وَمِيزَانَ الْبُرْهَانِ.

الفلسفة الثانية: التعرف على الظلمات تمييز للمقدوات:

مِمَّا لَهُ دَخَالَةٌ فِي تَمْيِيزِ الْمَنْهَجِ الْقَوِيمِ عَن الْمَنْهَجِ الْغَوِيِّ هُوَ أَنْ نَعْرِفَ مَنْ كَانَ عَلَى الْمَنْهَجِ الْقَوِيمِ وَمَنْ كَانَ عَلَى الْمَنْهَجِ الْغَوِيِّ فِي تَارِيخِ الْإِسْلَامِ، إِذْ أَنَّ الْأَشْخَاصَ فِي التَّارِيخِ لَهُمْ دَوْرٌ الْإِیْصَالِ لِلْمَنْهَجِ، فَلَوْ لَمْ يُمَحِّصُوا وَيُمَيِّزُوا لَكَانَتْ تَبْعِيَّتُهُمْ بِعَمِيَاوِيَّةٍ مُوجِبَةً لِلضَّلَالِ وَالْانْحِرَافِ، وَقَدْ يَظُنُّ مَتَّبِعُهُمْ أَنَّهُ يُحْسِنُ صُنْعًا.

وَعَلَيْهِ لَا تَظُنُّ أَنَّ مَا تَقُومُ بِهِ التِّيَّارَاتُ وَالْمَنْظَمَاتُ الْمُنْحَرِفَةُ كَالْقَاعِدَةُ وَمَسْمِيَّاتُهَا الْأُخْرَى

وليد تاريخها الحاضر، وَإِنما وليد تبعية وأتمام لرجال تأريخين قاموا بنفس أنباط الأعمال
البشعة التي يقومون بها الآن.

فأصحاب الفتنة في حرب الجمل قاموا بسفك دماء المسلمين وهتك حرمتهم، ويكل
رعونة وعنجهية وتحت لافتة شعار من الشعارات الأصيلة في الدين، وكُلَّ ذلك انعكس في
التأريخ الراهن على الاتباع والمشايخين.

فما يجري اليوم من إشعال النيران التي تكاد أن تحرق بلاد الإسلام والشعوب
المسلمة، وكذا قتل الأبرياء والتعدي على حرمت النساء والتمثيل والتنكيل بالأطفال وأكل
لحوم البشر ليس كل ذلك من باب الصدفة وإنما هي وليد ثقافة أخذوها من التأريخ
وانعكاس لمنهج من ظلموا الزهراء عليها السلام وأهل البيت عليهم السلام.

ولا مبالغة إذا ما قلنا أن الكثير من المسلمين في الوقت الراهن يقتات على أفكار
ومناهج تأريخية سرطانية وهي بطبيعتها لا تفرز إلا غدداً خطيرة تفت في جسم الأمة وبنية
المسلمين وعقيدة التوحيد.

ومما ذكر في التأريخ ابتلاء المسلمين بالمغول وفي مصادر أهل السنة ذكر أن الذي جاء
بالمغول ودعاهم للهجوم على بلاد المسلمين في إيران وأتوا بما أتوا به من سفك الدماء إنما هو
الخليفة العباسي وهو نفس الخليفة الذي يتباكى عليه ويتباكى على خلافته التي تنعت
بالخلافة الإسلامية برغم أن صاحبها هو الذي حرش المغول على بلاد الإسلام الشيعية.

ذلك ما كتبه اثنان من علماء السنة أحدهما يدعى بالهمداني والآخر يدعى بالطباطبائي،
ومما أثبتاه في كتابيهما أن الذي أغرى المغول بالهجوم على بغداد قاضي القضاة الشافعي، وهو

الذي دخل بغداد سرّاً مع المغول متأخراً ومتواطئاً.

ولا يظن أحد أنّ التركيز على هذه الأمثلة هدفه خلق التشنج وإثارة القلاقل بين المسلمين، بل المقصود هو الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، فإنّ نبذ الفتنة بين المسلمين وضرورة المداراة بينهم لا يعني أن نتعامى عن الحقيقة بل ينسجم ذلك مع الإفصاح عن الحقيقة بأسلوب لئّن وطريقة هادئة وحوار برهاني.

وإلا لو أغضضنا عن الحقيقة لبقت المواد التاريخية المسرطنة تبث غددها في الأمة لتهدد وجودها بين آونة وأخرى.

كما أنّه لا بدّ أن يُتنبه إلى أنّ إثارة ما في التاريخ من ظلمات لا لتعميمها إلى جماعات بريئة وإنّما المراد خلق الوعي بأنّ المفردات التاريخية هي ظاهرة منهج، وأنّ ما يقع في الراهن الحاضر هو بسبب الامتداد الفكري لتاريخ معين.

وعلى هذا الأساس إذا ما رفعت ظلامه الزهراء عليها السلام جلية واضحة كانت عبارة عن صرخة في ضمير الأمة بضرورة الرجوع إلى منهج المظلومين من أهل البيت عليهم السلام وإلا يترتب ما أخبرت عنه بقولها عليها السلام: «ثم احتلبوا ملاء القعب دماً عيطاً»^(١).

وقد وقعت الأمة في المحذور الذي أنبأت به الزهراء عليها السلام ولا زالت ملحمتها قائمة فاعلة، فإنّما أن ترجع الأمة عن أصحاب المنهج الغوي إلى أصحاب الصراط المستقيم أو يكون مصيرها تعاقب المشاريع الدموية، فمرة واقعة الحرة وهدم الكعبة، وإلى الوصول لفتنة المغول والاستعمار والآن فتنة القاعدة وداعش، ولن تتوقف الفتن الدموية إلا بالرجوع إلى

(١) الاحتجاج، الطبرسي ١ / ١٤٨.

دواء الخلاص ومرهم الشفاء وَهُمْ آلُ مُحَمَّدٍ عليه السلام، وبالخصوص إلى ظلمات الزهراء عليها السلام تحليلاً واستيعاباً وعبرة، وَكُلَّمَا ابْتَعَدْنَا عَنْ تَوْصِيَّاتِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام ازداد السرطان نفثياً في الأمة ويتحقق ما أنذرت به عليها السلام.

فَقَدْ رَسَمَتْ عليها السلام فِي خُطْبَتِهَا الشَّرِيفَةِ الخريطة الحضارية وبيّنت عوامل وأسباب النهوض الحضاري وعوامل وأسباب السقوط الحضاري، فَقَدْ أَجَادَتْ فِي قِرَاءَةِ تَارِيخِ الأجيال مِنْ مَنْظُورِ إلهي محكم.

وَمَا لَمْ تَرَعُوا الأُمَّةَ إِلَى وَصِيَّتِهَا وَوَصَايَاهَا فَإِنَّهَا تَقْتَرِبُ مِنْ زَمَنِ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ كَمَا فِي تَسْمِيَةِ الوحي، أَيُّ أَنَّ الْإِبْتِعَادَ عَنْ صِرَاطِهَا وَصِرَاطِ أَهْلِ الْبَيْتِ عليهم السلام لَا يُوَثِّرُ فَحَسَبَ فِي حِظْوِظِ الْإِنْسَانِ مِنَ الْإِسْلَامِ وَإِنَّمَا يَصِيرُهُ إِلَى وَاقِعٍ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، أَيُّ يَتَأَجَّجُ بِالْفِتْنَةِ وَيُوَجَّجُ الْفِتْنَةَ وَالدَّمَارَ وَالفَسَادَ فِي الأَرْضِ تَحْتَ شَعَارٍ مِنْ شَعَارَاتِ الْإِسْلَامِ.

وَمِنْ ثَمَّ يُمْكِنُنَا أَنْ نَعْنُونَ ذِكْرَ الزَّهْرَاءِ عليها السلام بِذِكْرِ الْخِلَاصِ وَصِرَاطِ النِّجَاةِ وَدَوَاءِ الشِّفَاءِ لِكُلِّ مَا تَعَانِيهِ وَتَأَنَّ مِنْهُ الأُمَّةَ.

وَقَدْ عَقَلَتِ الْبَشَرِيَّةُ غَرْباً وَشَرْقاً أَنْ مَنَشَأَ مَصَائِبُهَا إِنَّهَا هُوَ مِنَ الْحُكْمِ وَالقِيَادَةِ وَمِنْ فِكْرِ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ الَّذِي يَسْتَبِيحُ الْحَرَمَاتِ وَيَقْوُضُ كُلَّ ثَوَابِتِ الْإِسْلَامِ تَحْتَ شَعَارٍ مِنْ شَعَارَاتِ الْإِسْلَامِ.

علل تصفية الزهراء عليها السلام:

وفي ذيل هذه المقالة نتساءل حول الأسباب والعلل التي دفعت خصوم أهل البيت

لتصفية الزهراء عليها السلام؟

ونكتفي ها هنا بتسجيل أهم تلك العلل وهي ثلاث:

العلّة الأولى: حيولة وجود الزهراء عليها السلام عن البيعة:

لَقَدْ كَانَ مِنْ أَمِّهِمُ الْخَطَوَاتِ لِأَحْكَامِ سُلْطَةِ الْمُسْتَوِيِّ عَلَى الْخِلَافَةِ أَخَذَ الْبَيْعَةَ مِنْ الْمَثَلِ الشَّرْعِيِّ لِلْخِلَافَةِ، إِذْ لَوْ تَمَّتِ الْبَيْعَةُ وَسُوِّقَتْ عَلَى أُمَّهَا بَيْعَةً عَنْ رِضَا وَقَبُولٍ وَانْسِجَامٍ مَعَ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ لِانْسَاقِ مَجَامِيعِ الْمُسْلِمِينَ وَبِلا أَدْنَى تَرَدُّدٍ لِلْمَبَايَعَةِ وَالرِّضْوَخِ.

وَلَقَدْ كَانَ لَوْجُودِ فَاطِمَةَ عليها السلام أَكْبَرَ الْأَثْرِ فِي الْحَيْلُولَةِ دُونَ حُصُولِ الْبَيْعَةِ وَلَوْ صَوْرَةً، إِذْ أُمَّهَا دَافَعَتْ عَنْ مَقَامِ عَلِيٍّ وَمَانَعَتْهُمْ مِنْ إِرْغَامِهِ عَلَى الْبَيْعَةِ.

وَمِنْهُ يَفْهَمُ أَنَّ أَوَّلَ عِلَّةٍ لِتَصْفِيَّتِهَا هُوَ إِخْفَاءُ دَوْرِهَا وَالتَّفَرُّدُ بِعَلِيٍّ عليه السلام.

العلّة الثانية: تصفيتها لمصادرة حقها:

إِنَّهَا عليها السلام بِنَفْسِهَا بُنِيَانٌ لِلْوَلَايَةِ لِأَنَّهَا مُتَشَاوِرَةٌ مَعَ عَلِيٍّ عليه السلام فِيهَا، وَمِنْ ثَمَّ كَانَ مَطَالِبَتُهَا بِفَدْكَ بِاعْتِبَارِ حَقِّ وَوَلَايَتِهَا عليها السلام وَحَقِّ وَوَلَايَةِ عَلِيٍّ عليه السلام، وَلَا تَتَّهَمُ أَرَادُوا غَضَبَ ذَلِكَ الْحَقِّ، فَكَانَ لِأَبْدٍ مِنْ تَصْفِيَةِ صَاحِبِهِ وَهِيَ فَاطِمَةُ عليها السلام.

العلّة الثالثة: شرعيّتها المحكّمة عليها السلام إسقاطاً لشرعيّتهم:

لَقَدْ كَانَ وَجُودُهَا عليها السلام إِسْقَاطاً لَشَرْعِيَّتِهِمْ، فَإِنَّ قَرَابَتَهَا مَعَ مَا لَهَا مِنْ مَقَامَاتٍ وَسُودِدٍ يَكْشِفُ أَقْفَعَةَ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي تَلَبَّسُوا بِهَا وَمَا لَهَا مِنْ مَخْزُونٍ مَقَامٍ شَرْعِيٍّ مُحْكَمٍ لَا تَشَابَهُ فِيهِ وَلَا ضَبَابِيَّةَ عَلَيْهِ.

وَعَلَى هَذَا الأَمْر شواهد:

الشاهد الأول:

استنهاضها عليها السلام للمسلمين عسكرياً مرتين جهاراً نهاراً أمام المستولي الأول على الخلافة وَمِنْ دُون أَنْ يُنكَرَ عَلَيْهَا هَذَا الاستهاض والإعلان للحرب، إذْ أَنْ إِعْلَانَهَا للحرب إسقاط لِكُلِّ حرَمات مجموعة السقيفة دماً ومالاً.

وَمِنْ مقاطع خطبتها الدالة على استنهاضها قولها عليها السلام: «أيها بني قيلة أأهضم تراث أبي؟ وأنتم بمرأى مني ومسمع، ومنتدى ومجمع تلبسكم الدعوة، وتشملكم الخبرة، وأنتم ذوو العدد والعدة، والأداة والقوة وعندكم السلاح والجنة توافيكم الدعوة فلا تجيبون، وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون، وأنتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير والصلاح، والنخبة التي انتخبت، والخيرة التي اختيرت لنا أهل البيت، قاتلتكم العرب، وتحملتكم الكد والتعب، وناطحتكم الأمم، وكافحتهم البهيم، لا نبرح أو تبرحون نأمركم فتأثمرون...»^(١).

كَمَا أَنَّ خروجها لمدة أربعين ليلة تدور على بيوت أهل المدينة تدعوهم للرجوع إلى البيعة الشرعية استنهاض لهممهم ودفعهم للتمرد والاستعصاء على الحكم القائم .

ففي الاختصاص: (حملها علي على أتان عليه كساء له خمل، فدار بها أربعين صباحاً في بيوت المهاجرين والأنصار والحسن والحسين عليهما السلام معها وهي تقول: يا معشر المهاجرين والأنصار انصروا الله فإني ابنة نبيكم وقد بايعتم رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بايعتموه أن تمنعوه وذريته مما تمنعون منه أنفسكم وذرايكم ففوا لرسول الله صلى الله عليه وآله ببيعتكم، قال: فما أعانها أحد ولا أجابها ولا

(١) الاحتجاج، الشيخ الطبرسي ١ / ١٤٠، ١٤١.

نصرها)^(١).

الشاهد الثاني:

وهو ما ذكره ابن أبي الحديد من أنها لما خطبت أشعلت ضمائرهم وأذكت فيهم حس المسؤولية فهتف الأنصار بولاية علي عليه السلام واسمه.

وَكَانَ ذَلِكَ بِحُضُورِ الْمُسْتَوِيِّ الْأَوَّلِ عَلَى الْخِلاَفَةِ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَنْبَسَ بَيْتَ شَفَةِ يَدَيْنِ بَهَا الزَّهْرَاءَ عليها السلام مِمَّا يَدُلُّ عَلَى رَصِيدِ ضَخْمٍ مِنَ الشَّرْعِيَّةِ لَدَيْهَا بِحَيْثُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُوَاجِهَ بِهِ، فَضْلاً عَنْ أَنْ يَقْلِبَ الْأُمُورَ لِصَالِحِهِ وَيَدَايِنَ الزَّهْرَاءَ عليها السلام.

وعكس هذا الأمر حصل بين علي وعائشة في المواجهة إذ لما خرجت وألبت البعض كذباً وزوراً ضد إمام زمانها واجهها الإمام عليه السلام بكل ثبات فلم تستطع أن تقلب وجهه الشرعية؛

ولذا قَالَ عليه السلام: « فَأَنَا فَقَاتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ »^(٢).

إذ لما واجهوه بشرعية مقنعة مدلسة غير مرة واجههم برصيد أكبر من الشرعية، فأقسط كل العناوين من سابقة للإسلام للبعض أو هجرة وجهاد أو زوجية للنبي صلى الله عليه وآله.

فلما تذرّع طلحة والزبير بما لهما من عناوين كالهجرة والجهاد وأشعلا فتنة ضد حكم علي عليه السلام، وكذا لما استغلت عائشة عنوان زوجيتها للنبي صلى الله عليه وآله وعنوان أمومتها للمسلمين

(١) الاختصاص، الشيخ المفيد ١٨٤، وروى ابن قتيبة الدينوري في كتابه الإمامة والسياسة.

(٢) نهج البلاغة، خطب الامام علي / ١ / ١٨٢.

فحَرَّضت عَلَيَّ حربَ علي عليه السلام ما كَانَ لَدَلكَ أَن يَصمِدَ أَمامَ شرعِيتِه الإلهية.

فثَبتَ مِن الصِراعِ الأوَّلِ والصِراعِ الثَّانِي ما لَعلي وِفاطمة عليهما السلام مِن مَقامِ وِرعِيدِ في

الشرعية.

وَنُؤَكِّدُها هُنَا عَلَيَّ علوِ مَقامِ الزهراء عليها السلام في المُسلمين خِلافاً لما يَصوِّره بَعْضُ المذاهبِ مِن أَنَّ مَقامِها في الأُمَّةِ مَقامِ عادي مُتعارفٍ، إِذْ أَنَّ وِجودِها بِنَفسِها هُوَ مدارُ الشرعيةِ فلا تَستَقيمُ لأحدِ خِلافةِ مِن رِجالِاتِ السَّقِيفَةِ فَضلاً عَن بَنِي أُمِيَّةِ مَعَ وِجودِها وِعدمِ تَصفِيتِها واغْتِياها وِترحيلِها عَن دارِ الدُّنْيا.

فلو طال بقاءها لما استقامت أي شرعية مغلّفة ولكانت محط استقاء الشرعية في نظر كل من يدخل الإسلام من أقاصي الديار، حيث يُشاهد ويُلاحظ ما عَلَيَّه رِيحانةُ النبي من اعتقاد ديني أو سياسي فيتنزع بذلك أي ادعاء شرعية في مسار السقيفة.

فرحيلها عليها السلام السَّريع في غُضونِ أربِعينِ يوماً أو سَبِعينِ يوماً أو تَسينِ يوماً عَلَيَّ اِختِلافِ الرواياتِ تَصفيةً مُتعمِدةً واخفاءً قسري لوجودها لما تَمثلَها في نَفسِها مِن مَقامِ شامِخٍ وِحُضورِ رائدِ قادِرِ عَلَيَّ تَقوِيضِ كُلِّ جَهودِهم وإفْشالِ كُلِّ تَخطِيطِهم، إِذْ لَمْ يَنفَعِهم مَغارِعتِها بِالإرهابِ السَّقِيفي أو اسْتِدعاءِ المَرْتزِقةِ إِلى داخِلِ المَدِينَةِ، حَيْثُ أَتوا بِقبيلةِ بَنِي أَسلمِ كَمَرْتزِقةٍ لِتَقوِيَةِ الحُكْمِ كَما جاءَ ذَلكَ في الزِيارَةِ الجامِعةِ لِأُمَّةِ المُؤمِنين عليهم السلام: فَحشِرِ سَفلةِ الأَعْرابِ، وَبقاياِ الأَحْزابِ، إِلى دارِ النبوَّةِ والرِسالَةِ..^(١)

وَمَعَ ذَلكَ كانَ كُلُّ الأُمَّةِ في جِانِبِ وِلبوَةِ النبوَّةِ في جِانِبِ لا تَحيِدُ ولا تَحادُ عَن خطِّ

(١) المزار، محمد بن جعفر المشهدي ٢٩٧.

أبيها تحت أيّ ظرف وتحت أيّ ترهيب .

ومما يشد لقماتها في الأمة وصية النبي ﷺ لأمر المؤمنين ﷺ بقوله ﷺ: (يا علي انفذ لما أمرتك به فاطمة)^(١) وهي وصية عظيمة إذ مفادها أمر أمام الأمة والوصي المنصوب من قبل الله بالإتّهار بأمر فاطمة ﷺ.

وبالتحليل للمواد التاريخية مضمومة لمواد روائية وحيانية مع المبالغة في المقابلة والمقارنة والتحليل بنظام الشبكية تتجلى لنا المسألة بنحو واضح، ويظهر معنى أن الزهراء ﷺ قد صفيّت واغتيلت واختلست إذ أن بقاءها يلغي أيّ فرصة لاستتباب حكم الجور والغبي. فيدلّ ذلك على كونها في القوة والمنعة كالجبال من العظمة والشرعية.

الفريّة على الزهراء ﷺ فريّة على الدين:

وثمة مثل قرآني يوضح ما نحن فيه، فلو لاحظنا سورة النساء في المقاطع القرآنية التي يشرح فيها القرآن سبب كفر اليهود، فيقول تعالى في تعداد الملفات التي يؤخذ عليها اليهود: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٢).

فذكرت الآيات عدّة أسباب:

أولها: كفرهم بنقض ميثاقهم مع الله.

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي ٢٢ / ٤٨٥ .

(٢) سورة النساء: الآية ١٥٥ - ١٥٦ .

ثانيها: قتلهم الأنبياء بغير حق.

ثالثها: الإضلال الإلهي لهم جزاءً ونتيجة.

رابعها: فريتهم على مريم عليها السلام.

وها هنا يساوي القرآن الكريم فريتهم على مريم عليها السلام بكفرهم بالله، ويساوي قتلهم
للأنبياء بفريتهم على مريم.

وهذا يستثير السؤال عن حجم التمثيل الذي تمثله مريم عليها السلام بحيث تكون الفرية عليها
كفر بالله وقتل للأنبياء عليهم السلام؟

وما هو وجه الربط بين الفرية على مريم وبين الدين؟

إن في الآيات تصريحاً بأن فرية اليهود على مريم من جهة طهارتها مربوطة بالنبوة، وإن
لها موقعاً بركته تكون الفرية عليها افتراء على الدين.

وإذا كان هذا الشأن في مريم عليها السلام فكيف بمن هي أعظم من مريم، أليست الأولوية
القطعية حاکمة بأن فريتهم على مريم الكبرى فرية على موقع الأنبياء عليهم السلام وفرية على الدين
وأصوله، وإلا فكيف يقرن الله تعالى بين شيء من أصول الدين وآخر ليس من أصوله، بل
السياق كله منعقد على أصول دينية وأمور اعتقادية.

ولذا فالفرية على فاطمة عليها السلام ليس طابعها فردياً، وليس وزانها أسرياً، وليس شأنها شأن
الفرية على عموم المؤمنين، وإنما الفرية عليها سواء في فديك أو في غير فديك فرية على ولايتها
وعلى موقعيتها، إذ أن فديك هي رمز لولايتها وموقعيتها بنص سورة الحشر وسورة الإسراء،

وَقَدْ تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ فِيهَا، فَالْفَرِيَّةُ عَلَيْهَا فِي فَدِكْ إِنْكَارِ لَوْلَايَتِهَا عَلَى الْفِيءِ وَبِالتَّالِي فَهُوَ إِنْكَارُ لَوْلَايَتِهَا فِي الدِّينِ وَأُمُورِهِ.

اشْتِرَاكُ النَّبِيِّ ﷺ وَبُضْعَتِهِ ﷺ فِي شِدَّةِ الظُّلَامَةِ:

لَا يَخْفَى عَلَى مَنْ لَهُ أَدْنَى تَتَبَعِ شِدَّةَ مَا وَقَعَ مِنْ التَّفَاصِيلِ الْمُؤَلَّةِ وَالشَّدَائِدِ الْأَمْنِيَّةِ وَالظُّلَامَاتِ الْمَقْرَحَةِ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ ﷺ.

وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ تَفَاصِيلَ مَا جَرَى عَلَى الزُّهْرَاءِ ﷺ مَوْزَعَةٌ فِي كُتُبِ الْمُسْلِمِينَ وَهِيَ تَنْبَأُ عَنْ فَوَادِحَ كَبِيرَةٍ لَاقَتْهَا بَعْدَ رِحْلَةِ النَّبِيِّ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ خَفِيَ عَلَى كَثِيرِينَ مَا لَاقَى النَّبِيُّ نَفْسَهُ مِنْ الشَّدَائِدِ الْأَمْنِيَّةِ وَمِنْ حَرْبِ شَرَسَةِ مَزْلَزَلَةٍ بِحَيْثُ لَوْ زَنَ مَا جَرَى عَلَيْهِ بِهَا جَرَى عَلَى آلِهِ لَكَانَ مَا جَرَى عَلَى آلِ الْبَيْتِ ﷺ فِي كَفَّةٍ وَمَا جَرَى عَلَى الرَّسُولِ ﷺ مِنْ مَوْامِرَاتِ اغْتِيَالٍ فِي كَفَّةٍ أُخْرَى.

وَلِذَا مِنْ الْأُمُورِ الَّتِي أَخَذَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ مِيثَاقَهَا فِي أَوَائِلِ بَعْثَتِهِ وَفِي الْمِعْرَاجِ تَحْمَلُ شِدَّةَ الْخَوْفِ أَيُّ أَنَّهُ سِيْلَاقِيٌّ مِنَ الظُّرُوفِ مَا فِيهَا إِرْهَابٌ وَشِدَّةٌ عَلَى أَصْلِ حَيَاتِهِ.

بَلْ بِحَسَبِ مَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ فَإِنَّمَا لَاقَاهُ الرَّسُولُ ﷺ طِيلَةَ حَيَاتِهِ بَلْ حَتَّى فِي أَصْلَابِ آبَائِهِ وَأَجْدَادِهِ مِنْ أَسْبَابِ الْاِغْتِيَالِ لَمْ يَلِاقِهِ أَحَدٌ مِنَ الْبَشَرِ، وَقَدْ اشْتَدَّتْ وَكَثُرَتْ سَلْسَلَةُ الْاِغْتِيَالَاتِ وَالْمَوْامِرَاتِ عَلَى حَيَاتِهِ بَعْدَ بَعْثَتِهِ خِلَالَ الثَّلَاثَةِ وَالْعِشْرِينَ سَنَةً.

وَمِنْ الشُّوَاهِدِ الَّتِي لَا زَالَتْ مَائِلَةً وَشَاحِدَةً عَلَى شِدَّةِ الْاِحْتِيَاطَاتِ الْأَمْنِيَّةِ لَدَى النَّبِيِّ، وَجُودِ اسْطِوَانَةِ مِنَ الْاسْطِوَانَاتِ الْقَرِيبَةِ مِنْ قَبْرِهِ تَسْمَى بِاسْطِوَانَةِ الْحَرْسِ، وَكَانَ الْحَارِسُ لَهُ

طيلة حياته في المدينة في الغالب هو علي ابن أبي طالب عليه السلام.

وهو أمر يثير التساؤل والاستفهام، فلم لم يكن حارسه سلمان أو أبو ذر أو المقداد أو الحمزة، ولم لم يكن إلا أمير المؤمنين عليه السلام؟

إن أوضح دلالات ذلك هو أن الحالة الأمنية صاعدة بشكل استثنائي بحيث يتطلب أن يكون أشجع وأمن وأثبت من حول النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو المتكفل بحراسته بشكل مباشر. والغريب أن ما لاقاه وعاناه النبي صلى الله عليه وآله وسلم من شدائد أمنية ظل مغموراً في التأريخ ومكتماً عليه.

وقد انبرى أخيراً بعض الباحثين من تلامذة العلامة الطباطبائي فألف كتاباً تحت عنوان (المواجهة بين النبي وبين المنافقين رصد قرآني) وهو العلامة الشيخ عبد الكريم النيري، وقد طبع أخيراً في ثلاثة أجزاء.

وقد رصد فيه شيئاً من سلسلة الاغتيالات التي تعرض لها النبي، وبنص القرآن.

وثمة تشابه بين ما لقيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما عانته البضعة الطاهرة عليها السلام، فقط جرى عليها من العدوان الشرس ما يدل على منتهى الشقاق والعناد لدى من هجم على بيتها وأذاها بعد رحلة أبيها صلى الله عليه وآله وسلم.

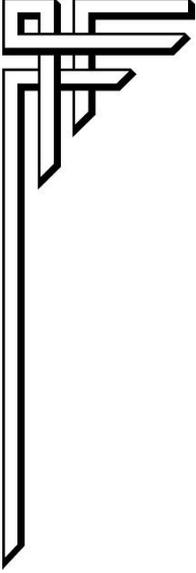
وليس ما جرى عليه صلى الله عليه وآله وسلم وعليها عليها السلام من قبيل الصدفة، وإنما كان لما يمثله وتمثله من شرعية ومشروع إلهي على الأرض، إذا ما قاما به يهدد عروش طواغيت وفراعنة البشر كما أنه يهدد كل حضاراتهم البالية.

ولذا توأطأت وتحالفت قريش مع الأكاسرة وملوك الأقاصرة ومع اليهود والنصارى في تألبهم على رسول الله ﷺ فكانت مؤامرة عالمية وحلفاً إبليسياً وتنظيماً شيطانياً عفرتياً وهي أعظم من شيطنة وشرر البشر.

وكذا لم يكن تصفية واغتيال الزهراء (عليها السلام) صدفة وإنما هو اغتيال صريح هدفه اسكاتها وجودياً حتى لا يستمد المسلمون من شرعيتها، فلم يكن هجومهم لمجرد المجابهة كما لم يكن عدوانهم لمجرد الانتقام، وإنما كان عدواناً للتصفية.

وقد رصد بعض المحققين عشرة مواطن واجهوا فيها الزهراء (عليها السلام) فكان نمط تكالبهم نمط من يريد القتل والتصفية.

بل أنه لخطورة دورها (عليها السلام) أرادوا تصفيتها على مراحل، أي تصفية وجودها في حياتها، وتصفية ذكرها بعد مماتها، وإخفاء ما لها من شأن وموقعية حتى لا يفضحهم إشعاع نورها ونفحات شرعيتها بأي مستوى من المستويات.



المقالة السابعة عشر: مضامين رثاء علي لفاطمة عليهما السلام

* معنى زيارته عليه السلام نيابة عن النازلة ببقعته

* أسرار سرعة لحوق الزهراء عليها السلام بأبيها عليه السلام ٢٧٦

* فقد النبي عليه السلام خسارة لا تعوض

* رجوع النبي وفاطمة مرهون باستحقاق البشرية.

* صرعت الزهراء عليها السلام عن عمد ومكابرة ومباغطة

سجّل لنا التاريخ رثاء حارا ذا أبعاد وأسرار متعددة قاله أمير المؤمنين عليه السلام بعد دفنه
الصديقة الطاهرة عليها السلام.

فلما نفّض يده من تراب القبر هاج به الحزن وأدار طرفه إلى قبر رسول الله ' وتلى رثاءه،
وروى ذلك الرثاء الكليني في أصول الكافي واخرجته مصادر أخرى.

(السلام عليك يا رسول الله عني والسلام عليك عن ابتك وزائرتك والبائنة في الثرى
ببقعتك والمختار الله لها سرعة اللحاق بك، قل يا رسول الله عن صفتك صبري وعفا عن

سيدة نساء العالمين تجلدي، إلا أن لي في التأسّي بستتك في فرقتك موضع تعز، فلقد وسدتك في ملحودة قبرك وفاضت نفسك بين نحري وصدري، بلى وفي كتاب الله لي أنعم القبول، إنا لله وإنا إليه راجعون، قد استرجعت الودیعة واخذت الرهينة وأخلست الزهراء، فما أقبح الخضراء والغبراء يا رسول الله.

أما حزني فسرمد وأما ليلي فمسهد وهم لا يبرح من قلبي أو يختار الله لي دارك التي أنت فيها مقيم، كمد مقيح، وهم مهيج سرعان ما فرق بيننا وإلى الله أشكو وستنبئك ابنتك بتظافر أمتك على هضمها فأحفها السؤال واستخبرها الحال، فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثه سيلا، وستقول ويحكم الله وهو خير الحاكمين.

سلام مودع لا قال ولا ستم، فإن أنصرف فلا عن ملالة، وإن أقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين، واه واهما والصبر أيمن وأجمل، ولولا غلبة المستولين لجعلت المقام واللبث لزاما معكوفاً ولا عولت إعوالم الشكلى على جليل الرزية، فبعين الله تدفن ابنتك سرا وتهضم حقها وتمنع إرثها ولم يتباعد العهد ولم يخلق منك الذكر وإلى الله يا رسول الله المشتكى وفيك يا رسول الله أحسن العزاء صلى الله عليك وعليها السلام والرضوان^(١).

وكان رثاؤه عليها السلام مشتملا على مقاطع:

أولاً: قوله عليها السلام (السلام عليك يا رسول الله عني والسلام عليك عن ابنتك وزائرتك والباثّة في الشرى بيقعتك).

(١) الكافي، الشيخ الكليني ٤٥٩/١، نهج البلاغة، خطب الامام علي ٣١٩، روضة الواعظين، النيسابوري/١٥٢، دلانل

معنى زيارته عليه السلام النبي صلى الله عليه وآله نيابة عن النازلة ببقعته:

وبهذا المقطع يفتح الإمام عليه السلام بابا معنويا عظيما حيث يزور النبي صلى الله عليه وآله نيابة عن ابنته فاطمة عليها السلام وهي توا قد انتقلت إلى البرزخ وإلى عالم أبيها، وهذا فتح لباب من الأدب الإلهي بين المعصومين، وإذا كان المعصوم يزور عن المعصوم والحال أن المذور عنه منتقل إلى عالم البرزخ فمطلوبية هذا الأدب في الزيارة أوضح وأولى في غير المعصومين.

وبعبارة أخرى:

إن عليا عليه السلام قد وقف زائرا للنبي صلى الله عليه وآله أصالة عن نفسه ونيابة عن زائرتيه عليه السلام إذ هو القائل: (والسلام عليك عن ابنتك وزائرتك) وفي هذا بيان لخصائص عالم الأرواح وكيف يمكن النيابة فيها من الحي عن الميت، فإنه يمكن للحي أن ينوب عن طبقة من طبقات الميت رغم أنه بطبقة أخرى راحل إلى ذلك العالم.

وها هنا وصف أمير المؤمنين عليه السلام فاطمة عليها السلام بالزائرة لرسول الله صلى الله عليه وآله ومع ذلك ينوب عنها في الزيارة له، فلعل المعنى هو أنها زائرة وحالة ومنتقلة لعالم رسول الله صلى الله عليه وآله بطبقة من طبقات وجودها وهو ينوب عنها في الزيارة بلحاظ طبقة أخرى من طبقات وجودها.

إذ أن بدنها الساكن في التراب والبائت في الثرى عاجز عن تأدية مراسيم الزيارة في حين أن بدنها البرزخي وطبقات وجودها الأخرى زائرة لرسول الله صلى الله عليه وآله ومنتقلة إليه.

وهذا نظير نيابة الحي القريب من قبر المعصوم عن الحي البعيد عن قبره، فرغم قدرة الحي البعيد على الزيارة بروحه وإن كان نائبا إلا أن الحي الحاضر ينوب عنه في الزيارة البدنية الروحية عن قرب لعجزه عن بعض مراتب الزيارة بسبب البعد.

وبلحاح مقام أهل البيت عليهم السلام وبرغم حضورهم جميعا عند رسول الله صلى الله عليه وآله بالأبدان البرزخية والطبقات الأخرى فثمة داع آخر غير ما قلنا يفسر زيارة علي عليه السلام للرسول صلى الله عليه وآله نيابة عن الزهراء عليها السلام وهو النيابة في الخطاب عنها ولسانه الشريف، فهي نيابة في الوفود على الرسول مع كونها وافدين عليه صلى الله عليه وآله في كل حين كتقدم الإمام في الصلاة على المأموم في الوفود على الله رغم كونها وافدين.

ثانيا: قوله عليه السلام (والمختار الله لها سرعة اللحاق بك) ومفاد هذا المقطع أن الله اختار بلطفه سرعة لحاق والتحاق الزهراء عليها السلام بأبيها.

والسؤال: ماهي الأسرار المرتبطة بسرعة لحاقها بأبيها؟ إذ أن مثل هذه المطالب لا تكون بلا سر وأسرار.

أسرار سرعة لحوق الزهراء عليها السلام بأبيها صلى الله عليه وآله:

وهذه الأسرار لا تخلو منها اشارات الروايات، بل بعض الصوفية في مكة يشيرون إليها في أشعارهم التي يتلونها في ميلاد الزهراء عليها السلام وتلك الأسرار ترتبط بعلوها وعلو مقامها وشدة قربها.

ولا يقال ها هنا أن شدة القرب القريب من رسول الله صلى الله عليه وآله يتصف به كل واحد من الأربعة أصحاب الكساء ولا تختص به فاطمة عليها السلام، لأن الأمر وإن كان كذلك لكن الجانب الأكثر خصوصية في فاطمة عليها السلام هو شدة تعاضم الجانب العاطفي المادي والنوري بينها وبين أبيها.

ولعل ذلك هو أحد اشارات ما ورد في المقايسة بينها وبين علي عليه السلام بالنسبة للرسول ' من أن عليا أعز وفاطمة أحب، فإنه فرق بينها في الهالة العاطفية فإن ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وآله من رحم عاطفي ومعنوي لا يدركه إلا الله، ومثل هذا الإتصال والقرب يحتم رحيلها السريع فلا يتصور لها البقاء بدونه صلى الله عليه وآله، ولو عاشت عمرا مديدا لقضته غارقة في أحزانها وندبتها.

وعلى هذا الأساس فإن من الخطأ بمكان قياس حزن وألم أي بنت فقدت أباهما بحزن وألم فقد فاطمة عليها السلام لأبيها، فمن له معرفة بأبيه كما لفاطمة عليها السلام من معرفة بأبيها، لذا فالله وحده يعلم أي مرارة ومكابدة عاشتها فاطمة عليها السلام في أيامها القليلة قبل رحيلها إلى عالم أبيها.

فهي لم تكن تتحمل فراقه على مستوى نظر العين واتصال البدن والإحساس بالأنفاس المادية برغم اتصالها البرزخي والنوري به في كل آن.

وإن قلت: إن فاطمة عليها السلام كانت زوجة وزوجها على قيد الحياة، ومن طبع الرجل والمرأة أن يهون عليهما فقد أحد أفراد الأسرة الأولى بعد تكون أسرة الزوجية ولا سيما وأن للزوج ولاية على زوجته، فلم لم تقدر فاطمة عليها السلام على مفارقة أبيها، ولم لا يفترض أنها لو عاشت بعد أبيها مدة لأوجب طول العهد تخفيف المصاب وهون المصيبة.

جوابه:

إن القياس بين شؤون أهل البيت عليهم السلام وشؤون غيرهم بما فيها الشؤون العادية المستمرة بين البشر قياس لا يصح.

وهاهنا نمثل بمثال واضح ليتقرب لنا ما نحن فيه، فقد ورد في روايات الفريقين أن

البضعة الزهراء عليها السلام قد خطبت من أبيها عدة مرات وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يعتذر في كل مرة بنفس العذر وقبل الرجوع لمشاورة ابنته، وعذره هو أن أمرها ليس بيدي وإنما هو بيد الله تعالى .

وهذا الجواب منه يستدعي السؤال وهو أن سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله أولى بالمؤمنين من أنفسهم مضافا إلى أنه والد للزهراء عليها السلام بالولادة البدنية والولادة الروحية فكيف يعتذر بأن ولاية أمر نكاح فاطمة عليها السلام ليس بيده؟

وبعبارة أخرى:

للنبي صلى الله عليه وآله ولايتان على الزهراء عليها السلام ولاية كونه أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهي ولاية خاصة له بجعل الله، وولاية الأبوة وهي ولاية عامة فقهية لموقع الأبوة.

ومع هذا التنوع في ولايته كيف يخرج شيء من أمور فاطمة عليها السلام عن حيطته؟

وبهذا يتبين أن لا منافاة بين عموم ولايته بلحاظ موقع النبوة وولايته بلحاظ موقع الأبوة وبين خروج شيء من أمور ابنته عن تصرفه ليكون المتصرف مباشرة هو الله تعالى .

وهذا يفيد أن فاطمة عليها السلام خلقة إلهية ذات مقام وشأن خاص بحيث إن تدبير بعض شؤونها من الله مباشرة.

ولا نشط بعيدا إذا قلنا بأن وجودها لما كان وجودا إلهيا محضا مضافا إلى أنه لما كان زواجها بيئة لدفع عجلة الدين وترعرع أصوله ومقوماته كان تدبير ذلك بجعل وتدبير الله مباشرة.

ونلاحظ هذا الاستثناء في شؤونهم حتى على مستوى جعل الأسماء فلما يولد مولود

لهم ذو شأن خاص كانوا ينتظرون تسمية الله له ولا يتقدمون على الله تعالى، حتى في مثل زينب عليها السلام، فقد ورد أن فاطمة عليها السلام قالت لا أتقدم في تسميتها على أبيها أمير المؤمنين عليه السلام وأن عليا عليه السلام قال لا أتقدم في تسميتها على رسول الله صلى الله عليه وآله، ورسول الله صلى الله عليه وآله قال ما كنت أسبق ربي بتسميتها.

فإن هذه الشؤون ليست من الجزاف والاعتباط في شيء وإنما لها دلالات، منها أن لهذه المولودة درجة اصطفاء خاص وإن لم يصل إلى شأو درجة اصطفاء المعصومين في الدائرة الأولى.

وعلى هذا الأساس فلا منافاة بين أن تكون فاطمة عليها السلام أمًا في أسرة وزوجة تحت ولاية زوجها وبين عدم تحملها فراق النبي صلى الله عليه وآله وسرعة التحاقها به فكما خرج بعض شؤونها عن هيمنة النبي صلى الله عليه وآله إلى هيمنة الله كذلك خرجت حالات وشؤون منها من هيمنة الأسرة الخاصة إلى هيمنة رسول الله صلى الله عليه وآله.

وليس بالأمر الهين أن تكون بعد أبيها تحت إمامة وولاية أمير المؤمنين عليه السلام بحسب أمر الولاية العامة إلا أنها مع ذلك تكون تحت هيمنة الله وهيمنة رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقد ذكر أمير المؤمنين عليه السلام وهو يؤبئها سرعة لحاقها للإشادة بمقامها وعلو مقاماتها ومدى ما لها من عظمة.

ولولا الخوف من أن تتلبد المعاني لدقة السر وخفاء الأمر لأفضنا في البيان والتحليل.

والخلاصة:

إن سرعة اللحاق بأبيها ذو سر بديع في شخصية فاطمة عليها السلام، فمع ما لبعلمها عليها السلام من مقام وخصوصيات يتميز بها عنها ومع كونها كفؤين، ومع كونها يعيشان في سعادة زوجية تامة وهناء زوجي متكامل لكنه يجب أن تبقى هيمنة سيد الأنبياء عليهم السلام وهيمنة الله عليها حتى بعد الرحلة النبوية.

فقد النبي صلى الله عليه وآله خسارة لا تعوض:

وها هنا لفتة بديعة تتمه لمحل بحثنا، فقد ورد أن النبي صلى الله عليه وآله في موطن من المواطن قال لأصحابه سيأتيكم من يعلمكم كيف تدعون فقالوا يا رسول الله، من يأتي ويعلمنا قال هو اويس القرني.

فلما سئل ماذا كنت ستدعو: قالت كنت ادعو أن يبقى الله رسول الله صلى الله عليه وآله حيا إلى يوم القيامة.

وفي روايات مستفيضة كما في الوسائل في أبواب الميت تبيان أنه لم تصب البشرية ولم يصب كل آحاد البشرية بمصاب وخسارة أعظم فداحة من فقد رسول الله صلى الله عليه وآله.

وهذا أمر عظيم وإشارة بديعة فبرغم وجود الأربعة أصحاب الكساء بعد رحلة رسول الله صلى الله عليه وآله وبرغم استمداد الأمة منه بعد رحيله عبرهم إلا أن فقدان الشخص الشيخ لرسول الله صلى الله عليه وآله خسارة عظيمة وفادح أليم.

وإذا كان أهل البيت عليهم السلام ومع بقاء اتصاهم ووصاهم بطبقات رسول الله صلى الله عليه وآله يقولون ما أصابنا مصاب كمصابنا برسول الله صلى الله عليه وآله فكيف بالأمة!!

ومن ثم أشارت الروايات إلى أن كل واحد من الأمة بل من البشر مصاب بمصيبة فقد النبي' وإلى هذه اللحظة.

وستبقى البشرية تعاني من ألم هذا فقدان وألم تلك الخسارة العظيمة وغياب الرحمة المتفجرة والكمال الحضاري العالي برحيل رسول الله ﷺ حتى يجيء زمان آخر دولة في عالم الرجعة وهي دولة الدول بحاكمية رسول الله ﷺ وبحضور مبارك عظيم لفاطمة البتول (عليها السلام).

ومن العجيب أن يسخر بعض أهل الحداثة من خلود نبوة النبي ﷺ المعنوية والدينية وبقاء وصايتها مع أنهم في ذاتهم يعانون من خسارة رحيله وفقدان شخصه من غير أن يعلموا بذلك.

ثالثاً: قوله (عليه السلام) (قل يا رسول الله عن صفتك صبري وعفا عن سيدة نساء العالمين تجلدي).

وهذه لفظة لطيفة أخرى في بيان مقامها وعظمتها فإن رحيلها خسارة فادحة أخرى تتلو الخسارة برحيل الشخص الشخيص لرسول الله ﷺ ومعروف أنه في اليوم الذي استشهدت فيه الزهراء (عليها السلام) ضجت المدينة كيوم مات فيه رسول الله ﷺ.

وسره أنها اللون المركز العظيم من النبي ﷺ ونخبة وجوده، وخفوتها يزلزل العالم والموجودات على حد سواء فكيف بأمر المؤمنين (عليهم السلام) وهو العارف بها وبمقاماتها وبظلامتها .

رجوع النبي ﷺ وفاطمة (عليها السلام) مرهون باستحقاق البشرية:

ومما يفيد رحيلها السريع أن البشرية كما أنها لم تستحق البقاء الطويل لرسول الله ﷺ

لا تستحق ولا تستأهل البقاء الطويل لفاطمة عليها السلام.

وستبقى البشرية عاجزة عن احتضان الرسول صلى الله عليه وآله من جديد وغير مستحقة لوجوده حتى في عصر الظهور ومع وجود حكومة الامام الحجة عليه السلام، ولذا لا بد من تكامل التمهيد ليكون الاستحقاق فعليا، ومن المهدات دولة الحجة عليه السلام ثم تتلوها دولة الحسين عليه السلام في الرجعة فتكون رجعة الحسين عليه السلام الخطوة الممهدة الثانية.

وهذا التمهيد هو جار كذلك حتى ظهور دولة أمير المؤمنين عليه السلام.

وإذا استحققت البشرية ظهور دولة أمير المؤمنين عليه السلام يكون لدولته كرات ومرات وجولات كي تستأهل وتستحق البشرية أعظم دولة وآخر دولة وهي دولة رسول الله صلى الله عليه وآله. وسيكون عمر مكوث الدولة النبوية أربعة وأربعون ألف سنة مع العلم أن البشرية منذ دولة آدم وإلى الآن حسب دراسات بشرية غربية وشرقية وأديانية لم يمضي عليها أكثر من سبعة آلاف سنة إلى عشرة آلاف سنة.

بل تشير الروايات إلى أن المعصومين كالحجة والحسين عليهما السلام لهم رجعات كرات ومرات، وأمير المؤمنين عليه السلام أكثرهم كرورا ورجوعا وكلها تمهيدات وتقدييات وتوطئة لأعظم دولة وأعظم مرحلة وهي رجوع النبي صلى الله عليه وآله، وعندها تستأهل البشرية رجعته صلى الله عليه وآله ورجعة ابنته الزهراء عليها السلام.

وهذا مطلب نفيس عظيم، فالبشرية إما أن تفقد استحقاقها من حضور الاثنين الرسول وفاطمة عليهما السلام أو تستحق فيرجع الاثنان، فهذا القرب بينها رجوعا فيها من الدلالات العظيمة على مقامها وسؤدها وعظم ولاية أمرها.

ومن هنا يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (قل يا رسول الله عن صفتك صبري) وهذه العبارة منه مقرونة بسرها، فلو سئل لم هذا التلاشي للصبر، فجوابه أنه (عليه السلام) فقد المصطفاة التي صفاها أبوها، فلا صبر ولا تجلد عن رحيل الجوهرة العرشية والدرة الإلهية.

رابعا: قوله (عليه السلام) (وستنبئك ابتك بتظافر أمتك على هضمها).

وهنا لم يتظلم أمير المؤمنين (عليه السلام) بظلامة نفسه برغم أن الظلم والحيف قد وقع عليه وعلى فاطمة، فقد تمردت الأمة عليهما ولم تنصاع لإرادتهما.

ويرى الإمام (عليه السلام) كل ظلماته هي ظلمات بضعة الرسالة ويشكو لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ما فعلته الأمة بها، فإنها ما تحملت تربية الزهراء (عليها السلام) ولم تنصاع لإرادتها بل صبت عليها أنحاء من الظلم عن عمد وتخطيط وتدبير.

خامسا: قوله (عليه السلام) «فأحفظها السؤال واستخبرها الحال، فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثه سبيلاً».

فيخبر (عليه السلام) أن هذه الدنيا لم تبقي لفاطمة (عليها السلام) كهفا تودع عنده سرها وتشكو إليه اهتضامها، وحتى زوجها غرق في أحزانه وآلامه، وليس من شأن الزهراء (عليها السلام) أن تبث شكواها إليه لتزيدهما ونكدا، فما بقى لها من كهف ولا سند إلا أنت يا رسول الله، ولذا أسرع في اللحوق بك.

سادسا: قوله (عليه السلام) «فبعين الله تدفن ابتك سرا».

ويبين (عليه السلام) في هذا المقطع كيف أن الفاصلة بين الزهراء (عليها السلام) والأمة فاصلة كبيرة جدا

حيث إن الاقتراب من جثمانها لموارته بعد الموت حرام عليها، لأنها أمة غير مؤهلة ولا مستحقة لهذا الشرف العظيم.

وقد تتبعنا روايات الرجعة فوجدنا أن الأمة غير مؤهلة لأن تربي على يد الزهراء عليها السلام إلا بمعية رسول صلى الله عليه وآله، وهذا سر عظيم ينبأ عن مقام كبير للصديقة عليها السلام.

سابعاً: قوله عليها السلام «قد استرجعت الوديعة واخذت الرهينة».

وهذا يؤكد ما مر سابقاً من أن الزهراء عليها السلام جوهرة ثمينة لم تودع عند الأمة ولم تودع حتى عند الحسين عليه السلام، وإنما بالكاد اودعت أياما عند أمير المؤمنين عليه السلام والا فمحل هذا الطائر القدسي يكون دوماً تحت جناح رسول الله صلى الله عليه وآله ومقرونا بعالمه وولاية أمره مباشرة تحت هيمنة الله ورسوله.

ثامناً: قوله عليها السلام «وأخلصت الزهراء».

وعبارة (أخلصت) موجودة في الكافي فما معنى اخلاص الشيء؟

صرعت الزهراء عليها السلام عن عمد ومكابرة ومباغثة:

في كتاب العين للخليل يقول الاخلاص هو الأخذ مباغة ومكابرة نظير الاختلاس اي

الاغتيال^(١).

(١) خلس: الخلس والاختلاس: أخذ الشيء مكابرة، تقول: اختلسته اختلاسا واجتذابا. والخلس والاختلاس: النهزة، والاختلاس أوحاهما وأخصهما.

والخلسة: النهزة. والقرنان يتخالسان، أيهما يقدر على صاحبه [ويباهز كل واحد منهما قتل صاحبه]. والخلس في القتال والصراع. كتاب العين،

والمرحوم الطريحي لم يقف على ظرافة المعنى ففسرها بالأخذ مفاجئة^(١)، لكنه وفاقا لكلام الخليل فإن الخلس يأتي بمعنى القتل والمصارعة، وهذا يعني أنها ﷺ صرعت في القتل بالاغتيال أي أن رحيلها كان عن صرع وقتل ومباغته ومفاجئة وفيه طغيان ومكابرة.

وقد مرّ ما يشهد على هذا المعنى فيما يرويه الفريقان ورواه السمهودي في وفاء الوفاء من أن النبي ﷺ قال لأصحاب الكساء (أنكم قتلى ومصارعكم شتى) فليس قتلا فحسب وإنما نوع عنف في القتل وشدة فيه.

والخطاب كان للجميع وهذا معناه أن الزهراء ﷺ قتلت وصرعت واغتيلت.

ويخطأ من يظن أن ما وقع على الزهراء ﷺ من أذى أدى بها إلى الموت هو نظير ما يقع خطأ من قتل علي الأبرياء المدنيين في الحروب فيذهبون ضحايا من غير أن يكونوا مقصودين! إنه ليس كذلك بل كانت تصفيتها عن تخطيط وتدبير وعمد متعمد.

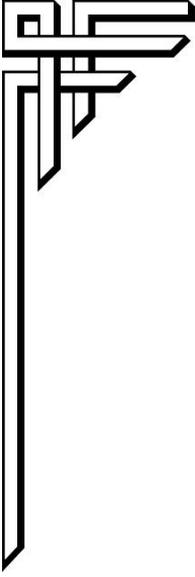
فإذا كان أمر علي ﷺ بحسب الخطة دائرا بين القتل أو البيعة فلم يكن في تدبير خطتهم تخيير بالنسبة للزهراء ﷺ، فلا يتم لهم الأمر إلا بتصفيتها.

أي من الاستحالة أن تباعهم البضعة النبوية، وليس بيدهم أن يفر كوا بيعة لها ﷺ بأن يضربوا على يدها كما فعلوا لأمر المؤمنين ﷺ فبالتالي لا طريق للتخلص من معارضتها إلا

(١) يقال خلست الشيء خلسا من باب ضرب: اختطفته بسرعة على غفلة، واختلسته كذلك. والخلسة بالفتح المرة وبالضم: ما يجلس. وفي الحديث الدغارة وهي الخلسة.

ومن كلام علي ﷺ في خطاب النبي ﷺ وقد دفن الزهراء ﷺ قد استرجعت الوديعة وأخذت الرهينة وأخلست الزهراء. مجمع البحرين، الطريحي ٤/٦٦.

اختلاسها واغتيالها.



المقالة الثامنة عشر: مقام الحوراء الأنسية

* الوجه الأول: نزولها ﷺ من الجنة لصلب النبي ﷺ

* الوجه الثاني: تفعل كما لاتها ﷺ في بدء وجودها

* آثار الكمالات الملكوتية على بدنها المادي

* الوجه الثالث: جسمها الظلي لم يودع في الأصلاب

* عرض نورها لآدم تقدم لخلقها نورا وولاية عليه

* مقام المنصورة وولايتها في الملكوت ومقامها في الرجعة

روى في معاني الأخبار عن رسول الله ﷺ قال: خلق نور فاطمة ﷺ قبل أن تخلق

الأرض والسماء.

فقال بعض الناس: يا نبي الله فليست هي إنسية؟ فقال ﷺ: فاطمة حوراء إنسية قال:

يا نبي الله وكيف هي حوراء إنسية؟ قال: خلقها الله عز وجل من نوره قبل أن يخلق آدم إذ

كانت الأرواح فلما خلق الله عز وجل آدم عرضت على آدم.

قيل: يا نبي الله وأين كانت فاطمة؟ قال: كانت في حقة تحت ساق العرش، قالوا: يا

نبي الله فيما كان طعامها؟ قال: التسييح، والتهليل، والتحميد.

فلما خلق الله عز وجل آدم وأخرجني من صلبه أحب الله عز وجل أن يخرجها من صربي جعلها تفاحة في الجنة وأتاني بها جبرئيل عليه السلام فقال لي: السلام عليك ورحمة الله وبركاته يا محمد، قلت: وعليك السلام ورحمة الله حبيبي جبرئيل.

فقال: يا محمد إن ربك يقرئك السلام، قلت: منه السلام وإليه يعود السلام.

قال: يا محمد إن هذه تفاحة أهداها الله عز وجل إليك من الجنة فأخذتها وضممتها إلى صدري.

قال: يا محمد يقول الله جل جلاله: كلها، ففلقتها فرأيت نورا ساطعا ففرعت منه فقال: يا محمد مالك لا تأكل؟ كلها ولا تخف، فإن ذلك النور المنصورة في السماء وهي في الأرض فاطمة، قلت: حبيبي جبرئيل، ولم سميت في السماء المنصورة وفي الأرض فاطمة؟ قال: سميت في الأرض فاطمة لأنها فطمت شيعتها من النار وفطم أعداءها عن حبها، وهي في السماء المنصورة، وذلك قول الله عز وجل: ﴿يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ﴾ يعني نصر فاطمة لمحبيها^(١).

وروى في فرات الكوفي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: معاشر الناس تدرن لما خلقت فاطمة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: خلقت فاطمة حوراء إنسية لا إنسية، قال: خلقت من عرق جبرئيل ومن زغبه،

(١) معاني الأخبار، الشيخ الصدوق ٣٩٧.

قالوا: يا رسول الله أشكل علينا تقول: حوراء إنسية لا إنسية ثم تقول من عرق جبرئيل ومن زغبه؟! قال: إذا أنا أنبئكم أهدى إلي ربي تفاحة من الجنة أتاني بها جبرئيل فضمها إلى صدره فعرق جبرئيل عليه السلام وعرقت التفاحة فصار عرقها شيئاً واحداً ثم قال: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، قلت: وعليك السلام يا جبرئيل فقال: إن الله أهدى إليك تفاحة من الجنة فأخذتها فقبلتها ووضعها على عيني وضممتها إلى صدري ثم قال: يا محمد كلها، قلت: يا حبيبي جبرئيل هدية ربي تؤكل؟ قال: نعم قد أمرت بأكلها فأفلقتها فرأيت منها نورا ساطعا ففزعت من ذلك النور قال: كل فإن ذلك نور المنصورة فاطمة.

قلت: يا جبرئيل ومن المنصورة؟ قال: جارية تخرج من صلبك اسمها في السماء المنصورة وفي الأرض فاطمة.

فقلت يا جبرئيل ولم سميت في السماء منصورة وفي الأرض فاطمة؟ قال: سميت فاطمة في الأرض لأنه فطمت شيعتها من النار وفطمت أعداؤها عن حبها وذلك قول الله في كتابه ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ﴾ ينصر فاطمة عليها السلام (١).

لقد وردت روايات مستفيضة فيها توصيف لفاطمة عليها السلام بأنها حوراء انسية، وفي كتب الفريقين.

فما هو وجه توصيفها بذلك؟

وفي الحقيقة ثمة مسألتان في تلك الروايات تسترعي الانتباه والتساؤل:

(١) تفسير فرات الكوفي، فرات بن ابراهيم الكوفي، ٣٢٢.

الأولى: دمج الوصفين في توصيفها فإن المعلوم في خلق البشر هو تكوينهم من عنصر واحد وهو البشرية والإنسية، كما أن قول أهل الفلسفة بتركب الإنسان من روح وبدن ومن عنصر مجرد وآخر مادي لا يخرجهم عن دائرة الإنسية والبشرية .

ومنه يعرف أنه ليس معنى توصيف فاطمة عليها السلام بالحوراء الإنسية بيان تركيبها من روح وبدن كما هو المتعارف في جميع البشر إذ لو كان المعنى كذلك فما هو الداعي من بيانه فيها على نحو الخصوص، وما هو الداعي في استفاضت الروايات في هذا المعنى؟

فتحصل أنه لدمج الوصفين معنى آخر، فما هو؟

الثانية: ما هو الوجه في تقديم وصف الحوراء على وصف الإنسية بينما في سيد الأنبياء ذكر وصف البشرية أولاً فيه وعقب ذلك بوصف أنه يوحى إليه في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾^(١).

فلم ها هنا تؤصل الروايات كينونة الحورية على كينونة الإنسية في فاطمة عليها السلام؟

فيحتمل في ذلك عدة وجوه:

الوجه الأول: نزولها عليها السلام من الجنة لصلب النبي صلى الله عليه وآله:

من القوانين العامة الجارية في كل البشر تقلبهم في الأضلاب والأرحام، وقد خرج من هذا القانون آدم عليه السلام فلم يتقلب في صلب ولا في رحم، وإنما خلق كما أخبر القرآن في قوله

(١) سورة مريم: الآية ١١٠.

تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾^(١).

كما خرج من ذلك القانون العام عيسى عليه السلام فما تقلب في الأصلاب ولا في الأرحام بل كان كما
أخبر القرآن في قوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ
رُوحِنَا﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾^(٣).

والمقصود من الكلمة هي الكلمة الوجودية.

وعليه فلعل معنى توصيفها عليها السلام بالحوراء الإنسية هو أنها لم تتقلب في الأصلاب الشاخنة
والأرحام المطهرة، بل حسب الروايات العديدة المستفيضة كما سيأتي نزولها من عالم الجنة إلى
صلب النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة من دون توسيط الآباء والأجداد وهذا بخلاف بقية
المعصومين عليهم السلام.

وبذلك يتقرر أن نشأتها عليها السلام في الأصل جناوية متنزلة إلى العالم الجسماني .

الوجه الثاني: تفعل كمالتها عليها السلام في بدء وجودها

ثمة قانون آخر يشترك فيه البشر وهو تفعل وظهور كمالات وطاقات الجانب البدني قبل
تفعل كمالات الجانب الروحي، ففي بدء الولادة تكون بعض الكمالات البدنية بالفعل بينما تكون
سائر الكمالات الروحية بالقوة .

(١) سورة الحجر: الآية ٢٩.

(٢) سورة التحريم: الآية ١٢.

(٣) سورة النساء: الآية ١٧١.

ومنه يعرف ما للزهراء عليها السلام من خصوصية وهي أنها منذ ولادتها تختلف عن بقية البشر من كون الجسم الجنائوي فيها متكامل متفعل، فلم تكن تتعاطى بالجسم الإنساني فحسب بل بالجسم الجنائوي الأخرى.

آثار الكمالات الملكوتية على بدنها المادي:

ومن ثم ظهر من بدنها عليها السلام آثار عديدة لا تتناسب مع البدن الطيني، كالنور الذي يبرز منها في الصباح بلون وفي آخر النهار بلون بحيث تضيء لأمر المؤمنين عليهم السلام.

فقد روى في العلل عن أبان بن تغلب قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام يا بن رسول الله لم سميت الزهراء عليها السلام زهراء؟

فقال: لأنها تزهر لأمر المؤمنين عليهم السلام في النهار ثلاث مرات بالنور، كان يزهر نور وجهها صلاة الغداة والناس في فرشهم فيدخل بياض ذلك النور إلى حجراتهم بالمدينة فتبيض حيطانهم فيعجبون من ذلك فيأتون النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيسألونه عما رأوا فيرسلهم إلى منزل فاطمة عليها السلام فيأتون منزلها فيرونها قاعدة في محرابها تصلي والنور يسطع من محرابها من وجهها فيعلمون أن الذي رأوه كان من نور فاطمة عليها السلام.

فإذا نصف النهار وترتبت للصلاة زهر وجهها عليها السلام بالصفرة فتدخل الصفرة حجرات الناس فتصفر ثيابهم وألوانهم فيأتون النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيسألونه، عما رأوا فيرسلهم إلى منزل فاطمة عليها السلام فيرونها قائمة في محرابها وقد زهر نور وجهها عليها السلام بالصفرة فيعلمون أن الذي رأوا كان من نور وجهها، فإذا كان آخر النهار وغربت الشمس أحمر وجه فاطمة عليها السلام فأشرق وجهها بالحمرة فرحا وشكرا لله عز وجل فكان يدخل حمرة وجهها حجرات القوم وتحمر

حيطانهم فيعجبون من ذلك ويأتون النبي ﷺ ويسألونه عن ذلك فيرسلها إلى منزل فاطمة ؑ فيرونها جالسة تسبح الله وتمجده ونور وجهها يزهر بالحمرة فيعلمون أن الذي رأوا كان من نور وجه فاطمة ؑ فلم يزل ذلك النور في وجهها حتى ولد الحسين ؑ فهو يتقلب في وجوهنا إلى يوم القيامة في الأئمة منا أهل البيت إمام بعد إمام^(١).

وروى في المناقب عن أبي هاشم العسكري: سألت صاحب العسكري ؑ: لم سميت فاطمة الزهراء؟

فقال: كان وجهها يزهر لأمير المؤمنين ؑ من أول النهار كالشمس الضاحية، وعند الزوال كالقمر المنير، وعند غروب الشمس كالكوكب الدرّي^(٢).

وفي كتاب سليم بن قيس عن جعفر بن محمد بن عمارة عن أبيه قال: سألت أبا عبد الله ؑ عن فاطمة لم سميت الزهراء؟ فقال لأنها كانت إذا قامت في محرابها زهر نورها لأهل السماء كما تزهر نور الكواكب لأهل الأرض^(٣).

وقد روت عائشة أننا نستضيء بنور وجه فاطمة، وفي الروايات أن الوجه في تسميتها بالزهراء هو ذلك.

كما أن الأثر الآخر لا شتداد كمالات الجسم الجناوي فيها هو ما ذكر في جملة من الروايات من قوة مدافعتها ضد المهاجمين لبيتها سواء عند فتح الباب أو عند شدهم الحبال

(١) علل الشرائع، الشيخ الصدوق ١ / ١٨٠.

(٢) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب ٣ / ١١٠.

(٣) علل الشرائع، الشيخ الصدوق ١ / ١٨٠.

لأخذ أمير المؤمنين عليه السلام حيث لم يستطيعوا فتح الباب إلا بعد ضرب أناملها بالسياط كما في البحار أنها قالت: يا عدو الله وعدو رسوله وعدو أمير المؤمنين فضربت فاطمة يديها من الباب تمنعني من فتحه، فرمته، فتصعب علي، فضربت كفيها بالسوط فآلمها، فسمعت لها زفيرا وبكاء فكدت أن ألين وانقلب عن الباب^(١).

كما لم يستطيعوا جذب الحبل من يدها بشدهم رغم كثرة عددهم إلا بضرب السياط وغمد السيف فيها ففي كتاب سليم بن قيس: (وثار علي عليه السلام إلى سيفه فسبقوه إليه وكاثروه وهم كثيرون، فتناول بعضهم سيوفهم فكاثروه وضبطوه فألقوا في عنقه حبلا، وحالت بينهم وبينه فاطمة عليها السلام عند باب البيت، فضربها قنفذ الملعون بالسوط)^(٢).

والحاصل أن آثار جسمها الجناوي هو الأصل المفعّل في تكوينها وهذا يتناسب من كون تكوينها منتزل من الجنة.

ولا يخفى التشابه بين هذا الوصف فيها ونمط بدن النبي صلى الله عليه وآله الذي عرج به إلى الجنة فبدن النبي صلى الله عليه وآله هو الآخر ذو خصائص تختلف تماماً عن بقية أبدان البشر حيث لا يرى له ظل، ويرى من خلفه كما يرى من أمامه، وتنام عينه ولا ينام قلبه، والقلب هنا هو البدن غير الأرضي، أي الجسم الروحي الرقيق.

وعدم نومه كناية عن عدم احتياجه في العروج إلى انفصاله عن تدبير البدن الأرضي فإنه لا يشغله العروج عن تدبير ما دونه كما لا يشغله تدبير ما دونه عن الاتصال الدائم كما هو الحال في

(١) بحار الانوار، المجلسي ٣٠/٢٩٣.

(٢) كتاب سليم بن قيس، سليم بن قيس الهلالي الكوفي ١٥١.

سائر الأرواح.

ومن ثم تختلف قوة الحضور والتدبير العقلي في المنام من روح إلى روح بحسب قوة وضعف الروح.

كما اختلف عروج عيسى عليه السلام إلى السماء الأولى أو الثانية ولم يقوى على ذلك الا أن توفاه الله ثم رد عليه روحه بعد العروج به كما هو مفاد قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خُذْ هَذِهِ وَارْتَقِهَا﴾ (١).

وهذا بخلاف سيد الأنبياء عليه السلام فإنه لم يرد عنه لا في القرآن ولا في روايات المعراج التعبير بالتوفي.

والظريف في هذا الشأن أن البراق لم يتحمل صعود النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليه في البدء بل وقف عروجه إلى سدرة المنتهى والجنة ثم استبدل بالرفرف وهو الآخر لم يواصل إلى طبقات العروج الأخرى وهي طبقات العروج الأخرى وهي طبقات العروج القلبي بعد ذلك.

ومما يؤكد هذا المعنى في بدن فاطمة عليها السلام ما في الرواية من أن بعض الناس استغرب من كلام النبي بأن نور فاطمة عليها السلام خلق قبل الأرض والسماء وبيّن سبب استغرابه (هذا البعض) باستفهامه عن الأصل في فاطمة عليها السلام وأنها أنسية فقال: يا رسول الله أفليس هي إنسية فأجاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنها حوراء إنسية.

الوجه الثالث: جسمها الظلي لم يودع في الأصلاب:

إن ثمة اختلاف لها عليها السلام عن بقية الأدميين ونظيره في القرآن قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(١)، فكذلك الشأن فيها فقد اقتصر نشأتها على صلب أبيها ورحم أمها خديجة.

فجسمها الظلي والشبحي الذي هو من الأجسام الأخروية والجانوية لم يوضع كبقية ذرية بني آدم في صلب آدم والآباء، وإنما اودع مباشرة في صلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ورغم تشابه خلقها وتكوينها بآدم وعيسى إلا أن وصف حوراء إنسية لم يطلق على أحد من البشر حتى على مريم فهي ميزة لها دون بقية نساء العالمين.

ومن ثم وصفت أزواج المؤمنين في الجنة إما أنها حورية أو مؤمنة آدمية بينما في فاطمة عليها السلام لا هي حوراء ولا هي مؤمنة آدمية بل هي مؤمنة حوراء إنسية.

فائدة - ١: عرض نورها لآدم تقدم لخلقها نورا وولاية عليه:

يستفاد من صدر رواية معاني الأخبار الموثقة أن نور فاطمة عليها السلام عرض على آدم، أي ولايتها عليها السلام عرضت على آدم عليه السلام وأنها من ضمن الأسماء التي علّمت لآدم وعرضت عليه والمذكورة في سورة البقرة.

ثم إن التعليل في الرواية لأخذ ولايتها وعرض نورها على آدم هو تقدم خلقه نورها على خلقه آدم، وهذا التعليل يعمم على سائر الأنبياء والأوصياء، ويفتح بابا لتفسير وترجمة الخلقة النورية التي وردت فيها روايات مستفيضة أن مقتضاها أخذ ولايتها وعرض نورها

(١) سورة آل عمران: الآية ٥٩.

على جميع من دونها في الحلقة، وأن الحلقة النورية قاعدة ولغة معرفية وبيان المقام والدرجة والرتبة في الولاية.

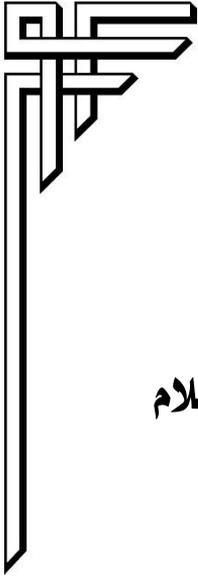
فائدة - ٢: مقام المنصورة وولايتها في الملكوت ومقامها في الرجعة:

تبين الرواية أن ولايتها ﷺ في السماء أعظم ظهوراً منها في الأرض، وأن لقب المنصورة إشارة إلى مقام نفوذ ولايتها في الملكوت.

ولا يخفى أن هذا اللقب هو أيضاً للنبي ﷺ وأن تأويل الآية: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يُفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ ﷻ المراد من اليوم هو عالم الآخرة والملكوت، وفيه بيان أن في مقام من مقامات الرجعة مما يرتبط بالسماء يتجلى ويظهر في تلك المرحلة ولايتها فضلاً عن يوم عالم القيامة ويوم عالم الجنة الأبدية.

وقد ورد أن مقام الحسين ﷺ في الرجعة المنصور في روايات الفريقين.

وأما مقام فاطمة ﷺ فإن ولاءها وتولي شيعتها لها فاطم لهم عن فتن الدنيا.



المقالة التاسعة عشر: حوارية علي وفاطمة عليهما السلام

* الأدب الملتزم في حواريات الأولياء إظهار للمقامات

* أدب الأصفياء لا نظير له في المواقع الاعتبارية

* تشابه وفوارق حوارية علي وفاطمة عليهما السلام لحوارية موسى وهارون عليهما السلام

* نبرة الأدب بين الأئمة عليهم السلام افصح عن تفاوت الصلاحيات

قبل الدخول في صُلب البحث نطرح أمراً استقرَّ عَلَيْهِ المحققون مِنْ المتكلمين والمُفسرين والمتضطلعون مِنْ أهل المعارف.

الأدب الملتزم في حواريات الأولياء إظهار للمقامات:

وَهُوَ أَنَّ الأدب الملتزم به في خطاب الله لأصفِيائه أو في خطاب الأصفياء لله تَعَالَى أو في خطاب الأصفياء بعضهم لبعض لَيْسَ مُجَرَّد تعارفات و صرف مجاملات، وإنما يرجع الأدب في حقيقته إلى مقامات دينية ونبأ عَنْ تمايزات في الصلاحيات الشرعية والمواقع العقائدية.

وَمِنْ أَوْضَح الأمثلة عَلَى ذَلِكَ ما حَدَّث به القرآن الكريم مِنْ أدب في حوارية موسى

للخضر عليها السلام، فَقَدْ عَبَّرَت الآيات بتعابير وألفاظ تحمل من الأدب والتخاضع ما هو غير خافٍ كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾^(١).

وقوله: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾^(٢).

فَاتِّبَاهَا تَدُلُّ:

أولاً: عَلَى الاستئذان فِي الاتِّبَاعِ وَكَيْسَ عَلَى الحتم والحزم فِي الاتِّبَاعِ.

وثانياً: فِيهَا طلب للعلم والتعلم.

وثالثاً: نفي المعصية عَنْ نفسه فِي حال الاتِّبَاعِ.

ورابعاً: نسبت الأمرية للخضر.

والسؤال: هَلْ وصف نفسه بالتابع والمتعلم وَغَيْرِ العاصي، ووصف الخضر بالأمر من

قبيل الشعر والتعارف أم أتمها حقائق؟

بمعنى أن للخضر موقعية غيبية لَيْسَ للنبي موسى عليها السلام مثيلها، وَإِنَّ كَانَ لِكُلِّ موقعا

متميِّزاً كما هو مدلول الجمع بين آيات القرآن فللخضر فضل ولموسى فضل.

ولا تنافي بين أن يكون لِكُلِّ واحد جنبه من الفضل وأن يتخاضع أحدهما تأدباً وَعَلَى

نحو الحقيقة للآخر بلحاظ جنبه فضله وتقدمه.

كما أَنَّهُ لو لاحظنا الحوارية من جانب الخضر لأدركنا قبوله للأدب الصادر من

(١) سورة الكهف: الآية ٦٦.

(٢) سورة الكهف: الآية ٦٩.

موسى عليه السلام: ﴿قَالَ فَإِنْ أَتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾^(١)، فنسب التابعة والتابع لموسى ونسب المتبوعة لنفسه، وَمَعَ ذَلِكَ تَأْدَب فِي خُطَابِهِ فَلَمْ يَقُلْ «اتَّبِعْنِي» وَإِنَّمَا قَالَ: «فَإِنْ أَتَّبَعْتَنِي» بجعل الخيار للنبي موسى في الإِتِّبَاعِ.

فندرك بذلك التحفظ مِنْهُ عَلَى مَوْقِعِهِ مِنْ جِهَةٍ وَعَلَى مَوْقِعِ مُوسَى مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، إِذْ بجعله الخيار لموسى فِي الإِتِّبَاعِ يَنْفِي وِلَايَتَهُ عَلَيْهِ، فَتَكُونُ النَتِيجَةُ أَنَّ ثَمَّةَ مِشْرَاكَةَ وَلاِئِيَّةَ بَيْنَهُمَا وَتَوَزُّعَ أَدْوَارٍ وَمَوَاقِعَ.

الأدب السائد بين الأصفياء

لا نظير له في المواقع الاعتبارية:

ولا مبالغة في القول إن ما في الآية من أدب بين الأصفياء بنحو متبادل بديع جداً ولا نجد مثيله في المواقع الاعتبارية الدنيوية بين الدول والحكومات والرؤساء، مما يَدُلُّ عَلَى النَظْمِ الدَقِيقِ فِي عَالَمِ الأَصْفِيَاءِ صَفَاءِ وَدَقَّةِ فِي الحَقَائِقِ وَالمَوَاقِعِ وَالمَأْمُورِيَّاتِ وَالمَنَاصِبِ وَالصَّلَاحِيَّاتِ وَالمَقَامَاتِ، فَلا يَنْطِقُ وَلا يَتَحَرَّكُ أَحَدٌ إِلاَّ حَسَبَ قَدْرِهِ وَشَأْنِهِ وَمَوْقِعِهِ.

وربما صدر الأدب من واحد لآخر من جهة وبادله الأخير الأدب من جهة أخرى.

ولذا فثمة قاعدة هاتين مفادها أن الأدب الإلهي بين الأصفياء المصطفين نبأ عن المواقع الرسمية الإلهية وعن نمط ودرجات الولاية، فلربما كان الأدب بالمطلق من طرف لآخر فيدل على علو مقام الثاني على الأول، وربما كان الأدب متبادلاً بلحاظ جهات الفضل المختلفة فيدل على مدارية ومحورية الأثنين بلحاظين.

(١) سورة الكهف: الآية ٧٠.

تشابه وفوارق حوارية علي وفاطمة عليهما السلام لحوارية موسى وهارون عليهما السلام:

وتأسيساً على ما مرّ ندقق النظر في الحوارية التي جرت بين أمير المؤمنين وفاطمة عليهما السلام سواء من فاطمة لعلّي أو منه لفاطمة وستلمس أنّها قريبة الأفق من الحوارية التي جرت بين موسى وهارون فإنّ بينهما من التشابه الشيء الكثير في لحن الكلام ونبرته وتوازنه.

فمن حوارية موسى وهارون عليهما السلام بحسب بيانات القرآن ندرك النقاط التالية:

أولاً: الشراكة بينهما في الأمر، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾^(١).

ثانياً: عتب موسى على هارون بعد ضلال بني إسرائيل كما في قوله تعالى: (أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي)^(٢).

وفهم أهل التحقيق من المفسرين أنّ هذا اللحن من الخطاب بينهما جارٍ وفق ما يدور في خلد الناس، وإلا فإنّ النبيّ موسى يعلم باصطفاء هارون وشراسته، وقد أخبره الله بافتتان قومه، وَمَعَ ذَلِكَ عَاتَبَ مُوسَى أَخَاهُ وَأَجَابَهُ هَارُونَ بِقَوْلِهِ: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾^(٣).

فكان السائل والمجيب والعاتب والمعاتب هما الشريكان في المسؤولية الإلهية بغيّة دفع

(١) سورة طه: الآية ٣٠-٣٢.

(٢) سورة طه: الآية ٩٣.

(٣) سورة طه: الآية ٩٤.

الالتباس الذي ربما يخالج أفكار البعض وأذهانهم فَكَانَ الهدف مِنْ الحوارية تبيان أَنَّ الالتباس الذي يدور فِي خلدجهم فِي عَيْر محله.

كَمَا أَنَّ الحوارية مُشتملة عَلَى هدف آخر وَهُوَ استعظام ما جرى مِنْ الناس وإدائته والاستنكار عَلَيْهِ وَإِنْ كَانَ بلغة التعاتب بين الأصفياء.

ونفس ما جرى بين موسى وهارون عليهما السلام جرى فِي الحوارية بين فاطمة وأمير الْمُؤْمِنِينَ فِي قولها عليها السلام: «يا بن أبي طالب، اشتملت شملة الجنين، وقعدت حجرة الظنين، نقضت قادمة الأجدل فخانك ريش الأعزل»^(١).

فلا يجوز والعياذ بالله أَنْ تفهم هَذِهِ الحوارية عَلَى أَنَّها عتب وادانة من الصديقة عليها السلام لما قام به أمير المؤمنين عليه السلام وإنما الأمر جار على ما بيناه فِي حوارية فِي موسى لهارون، فَإِنَّ عتبها هنا هُنَا يرجع إلى مساءلة عَلَى لسان المحيين فضلاً عَن المناوئين.

إذْ أَنْ كُلَّ مَنْ يقرأ الموقف الذي ألتزمه أمير المؤمنين عليه السلام يتبادر لذهنه هَذَا التساؤل وَهُوَ ما هُوَ سر اختلاف دور أمير المؤمنين عَن دور فاطمة عليها السلام؟

وما السر فيما سلكه أمير المؤمنين عليه السلام اتِّجَاه ما وقع عَلَى فاطمة عليها السلام؟

وَقَدْ وَرَدَ فِي الروايات أَنَّ نحو هَذِهِ التساؤلات وَرَدَتْ عَلَى خواص الخالص مِنْ أصحاب أمير المؤمنين كسلمان وعمار، إِلَّا المقداد فَلَمْ تخالج خاطره عَلَى نحو ما مرَّ.

فانعقدت الحوارية بين فاطمة وعلي عليهما السلام لترجم ما يمكن أَنْ يرد عَلَى الخواطر، وَمِنْ

(١) الاحتجاج، الشيخ الطبرسي ١/١٤٥.

نظائره في القرآن قول الباري تَعَالَى لعيسى عليه السلام:

﴿أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِهْنِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(١).

فمع علم الله بفرية وتدليس النصارى على عيسى وَمَعَ أمانته فِي تَحْمَلِ أعباء الرسالة يخاطبه الله تَعَالَى بعبارة توحى بالريبة والتهمة لَهُ، بَلْ يبدأ الخطاب «أَنْتَ» أَيَّ انْطِلاقاً مِنْ موقعك وَهُوَ موقع المخلوق وكأنها فيه تصغير لَهُ إِلَّا أَنَّ الحَقِيقَةَ أَنَّ الله تَعَالَى بصدد تنفيذ فرية النصارى على المسيح.

وَهَذَا ما يسمونه حوارية تسجيل ما يدور بين طرفين على نحو تقمص الأدوار، أَيَّ حوار بين طرفين يعكسان ما يدور عِنْدَ الأطراف الأخرى بغية رفع اللبس والالتباس عَن أذهان الآخرين.

وفي حوارية أخرى لها مَعَ أمير المؤمنين عليه السلام فِي أواخر حياتها تقول فيها عليها السلام: (يا بن عم ما عهدتني كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عاشرتني)^(٢).

وَإِذَا كَانَ المقصود مِنَ الحوارية السابقة دفع خواطر إدانة أمير المؤمنين عليه السلام فَهَذِهِ الحوارية إدانة لأي جهة؟ إِذْ مِنْ غَيْرِ المعقول أَنَّها لدفع خواطر فِي نفس أمير المؤمنين عليه السلام والعياذ بالله.

كيف وَقَدْ شهد لها أمير المؤمنين عليه السلام فِي جوابه بمقامات عالية؛ ولذا فَإِنَّ المخاطب فِي الحوارية وَإِنْ كَانَ هُوَ أمير المؤمنين وَلكنها بصدد دفع الالتباسات عَن الآخرين، فقولها عليها السلام

(١) سورة المائدة: الآية ١١٦.

(٢) روضة الواعظين، الفتال النيسابوري ١٥١.

«ما عهدتني كاذبة ولا خائنة» نفي لتوصيف الزهراء عليها السلام بذلك في خلد الآخرين، ولأنها تفصح عن اتهامات وإهانات وجهها القوم لها لما دفعوها عن حقها ولم يقبلوا شهادتها، فهي التباسات تدور في فكر الآخرين لا في ما يخص البعد الفردي أي بعد الزوجية، فقد كان زواجها من أمير المؤمنين عليه السلام زواج ولاية بولاية وزواج نور من نور ومشاركة واقتران نوري، إذ قد ورد في الرواية «زوج النور من النور».

وكيف يتوهم صدور تعد منها وتجاوز أسري وقد وصفها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ، بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾^(١).

وقد مر بنا نمط الأدب الإلهي السائد بين الأصفياء، فقد شهد القرآن أن موسى لم يتعد في صلاحياته على صلاحيات الخضر، كما لم يتعد الخضر في صلاحياته على صلاحيات موسى، ونفسه جارٍ في علي وفاطمة عليهما السلام، فقد كانا بحرين من الملكوت والنور، والنبي صلى الله عليه وآله برزخ بينهما، فالمسؤوليات محددة والصلاحيات كذلك فلا محل لتجاوز أحد على الآخر.

ولذا فقولها عليها السلام: «ما عهدتني كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عاشرتني» نظير قول موسى للخضر ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾^(٢)، فلم تتخلف عن أمر عالم الولاية ولم يكن ما قامت به الصديقة عليها السلام وأشادته من بنیان عقائدي مخالف للمسار والبنیان العقائدي لأمير المؤمنين عليه السلام، ولم يصدر منها أي خيانة في الدين لمواثيق الله ورسوله.

بل ثمة فارق بين حوارية موسى والخضر عليهما السلام وحوارية فاطمة وعلي عليهما السلام فقد حكم

(١) سورة الرّحمن: الآية ١٩-٢٠.

(٢) سورة الكهف: الآية ٦٩.

الخضر على موسى بقوله: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾^(١)، عدّة مرات إلى أن اعترف موسى بذلك، فَقَالَ: ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾^(٢).

ولذا في الجامع للطبري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً: رحمة الله علينا وعلى موسى لو صبر على صاحبه لرأى العجب ولكنه قال: ﴿فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾.

والذي في صحيح مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «رحمة الله علينا وعلى موسى لو لا أنه عجل لرأى العجب ولكنه أخذته من صاحبه ذمامة ولو صبر لرأى العجب»^(٣).

وأما جواب أمير المؤمنين عليه السلام لحوارية فاطمة عليها السلام فَهَوَ: «معاذ الله أنت أعلم بالله وأبر وأنقى وأكرم وأشد خوفاً من الله ان أوبخك غدا بمخالفتي»^(٤)، أي أنك أرفع من أن ينالك عتب ظريف لطيف.

وَمِنْهُ يُفْهَمُ أَنَّ واحداً مِنْ غَايَاتِ الْأَمْثَالِ فِي الْقُرْآنِ الْفَاتِ النَّظْرَ لِمَا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْأَدَبِ وَمَا هُوَ أَظْرَفُ فِي الْمَشَارَكَةِ الْعَقَائِدِيَّةِ، فَمِثْلُ فَاطِمَةَ وَعَلِيٍّ عليهما السلام أَعْظَمُ مِنْ مِثْلِ مُوسَى وَالْخَضْرَ عليهما السلام، فَقَدْ أَثْمَرَ اقْتِرَانُ وَمَشَارَكَةُ فَاطِمَةَ لِعَلِيٍّ عليهما السلام مَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾^(٥).

فَلِمَا كَانَا أَعْظَمَ مِثَالًا فِي الْأَدَبِ الْإِلَهِيِّ وَحِفْظِ الْمَوَاقِعِ وَالصَّلَاحِيَّاتِ كَانَا أَعْظَمَ أَثْرًا.

(١) سورة الكهف: الآية ٧٢.

(٢) سورة الكهف: الآية ٧٦.

(٣) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، القرطبي ٢٣/١١.

(٤) روضة الواعظين، الفتال النيسابوري ١٥١.

(٥) سورة الرَّحْمَنِ: الآية ٢٢.

ويشهد جواب علي عليه السلام لعتاب الزهراء عليها السلام قولاً وفعلاً على ما لفاطمة عليها السلام من صلاحيات في الدين، فأما على مستوى الفعل فقد ورد أنه لبس القباء الأصفر وأخذ حائل السيف.

وأما على مستوى القول فأجابها بهذه اللغة بعد سماعه الأذان «أيسرك زوال هذا النداء من الأرض قالت لا قال فإنه ما أقول لك»^(١).

فقوله عليه السلام لها إن شئت افصح بصلاحيتها في أصل كيان الدين، بل كان جوابه لها بالموقف والقول تنفيذاً لقول النبي صلى الله عليه وآله: «يا علي انفذ لما أمرتك به فاطمة»^(٢) فلمحل أمره بوجوب تنفيذ أمرها سارع عليه السلام في نديتها وإجابتها وعلق الأمر على مشيئتها.

وليس الأمر محمولاً على الهيجان العاطفي، وهل يُتصور في حق علي عليه السلام أن ينساق ويهيج لمجرد حماسة لإمرأة بما هي امرأة والحال أن حماسته وانبعائه كان في أمور تمس أصل الدين، بل كان انبعائه عن أمر ولية الأمر عليه السلام وكان تحركه جواباً لمن لها مشيئة مرتبطة بأصل الدين.

ومنهُ ندرك أن انتقاء سيّد الأنبياء صلى الله عليه وآله في وصيته لعلي عليه السلام عبارة «أنفذ ما تأمرك به» دالٌّ على ما لها من مسؤولية في إشادة الدين، وإن كان لعلي عليه السلام موقع الإمامة على فاطمة عليها السلام، أي له تفاوت عنها لكنه ليس نظير التفاوت بينه وبين الحسين عليهما السلام، بل بالنمط الذي رسمه القرآن ونبه عليه أئمة أهل البيت عليهم السلام تحت قوله تعالى: (مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١١ / ١١٣.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي ٢٢ / ٤٨٥.

يبغيان).

ولا نبالغ إذا ما قلنا أنّ حواريتها تمثل ملحمة عقائدية عظيمة، وهي من أدلة صلاحياتها، بل لا يتلأأ الباحث في القول أنّ مشيئتها مشيئة الله ومشية رسوله صلى الله عليه وآله وذلك لتعليق أمير المؤمنين عليه السلام أصل ثابت الدين وبقائه على مشيئتها، وكيس في كلامه أي مجاملة أو محابة، بل قائم على قواعد الأدب الإلهي التي تقدّم بيانها.

نبرة الأدب بين الأئمة عليهم السلام افصاح عن تفاوت الصلاحيات:

ذكرنا أنّ من لوازم الأدب حفظ المواقع والصلاحيات والمقامات؛ ولذا مع ما للحسن عليه السلام من شيء من التقدّم على الحسين عليه السلام لكنّ نبرة الأدب بين الحسينين وسائر الأئمة عليهم السلام تختلف، فلها مستوى آخر ينم عن التفاوت في الصلاحيات والمواقع والمقامات.

ويدلّ عليه التعبير النبوي عن الحسن والحسين بال «الفرقدين» وتعبير القرآن عن علي وفاطمة عليهما السلام بالبحرين ويجمعها بيان تشاطر المسؤولية وتشارك الصلاحية.

ومن شواهد نمط الأدب الخاص بين الحسينين عليهما السلام والذي هو نظير الأدب بين علي وفاطمة عليهما السلام ما كان من بيعة الحسن عليه السلام وهدنته لمعاوية وتبعية كلّ الأمة له لكنّ الحسين عليه السلام بمفرده لم يدخل في التزام الصلح مع معاوية ولا مهادنته وبشرط من الإمام الحسن عليه السلام.

إذ قد يُقال أليس للحسن عليه السلام إمامة عامة واجبة الإتياع من قبل كلّ الأمة ويجب الإنقياد لها من قبل كلّ الأطراف، فكيف يختلف ها هنا موقف الإمام الحسين عليه السلام؟!!

إنّ لهذا البحث فلسفة فقهية وعقائدية ومعرفية وسياسية، وفيه عبرة لنا على طول

التأريخ.

فيظل التساؤل ماثلاً لِمَ قدر الله أن تكون ثمة مزاجية ومقاربة بين المعصومين كعلي وفاطمة، وكالحسن والحسين عليهما السلام لا بين السجاد والباقر عليهما السلام ولا بين النبي صلى الله عليه وآله وباقي أصحاب الكساء عليهم السلام.

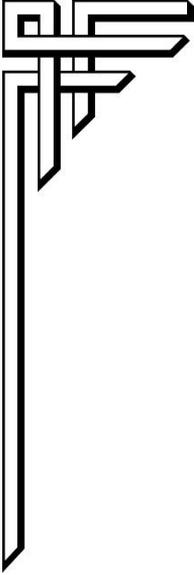
وَلَعَلَّ أحد أسرار ذَلِكَ أَنَّ التوازن فِي الدِّينِ لا يحصل إِلَّا بوجود لون حسني ولون حسيني بالتقارن والتزامن فِي زمان واحد واتِّجاه موضوع واحد وشرائط واحدة، ووجود لون فاطمي ولون علوي فِي آن واحد واتِّجاه موضوع واحد، لكنَّ ذَلِكَ غَيْر موجود فِي زمان الباقر وَالصَّادِق عليهما السلام أو الحسين والسجاد عليهما السلام فلا يجتمع لون باقري ولون صادقي فِي زمان واحد واتِّجاه موضوع واحد.

وَأِنَّمَا تنوِّع ألوان الأدوار وبحسب مصلحة الدِّين مَعَ التقارب فِي الرتبة بالنحو الذي بين علي وفاطمة عليهما السلام والحسن والحسين عليهما السلام.

فإذا توقَّف قوام الدِّين بالموازنة والمزامنة لذينيك المقامين جرت الحكمة الإلهية بذلك. واللطيف أَنَّهُ مَعَ تعدد اللونين مِنْ متقاربي الرتبة لمصلحة فِي أصل بقاء الدِّين تكون الغالبية مِنْ الاتباع منقادة لطرف، فقد كانت غالبية الأتباع فِي زمن علي وفاطمة مَعَ علي والقلة مَعَ فاطمة عليها السلام مَعَ ضرورة اللون والدور الفاطمي.

وكذا كانت الغالبية مَعَ الإمام الحسن عليه السلام مَعَ ضرورة وجود اللون الحسيني فِي نفس

الشرائط.



المقالة العشرون: أم مقاماتها وهيمنتها

- * مقامات الزهراء عليها السلام مغيبة في الاوساط العلمية
- * أم مقاماتها هو هيمنة كل فضائها على فضائل أولادها
- * آل محمد دائرة متميزة عن النبيين وبين أفرادها تمايز
- * المنبة الأول: هيمنتها العلمية على علم أولادها عليهم السلام
- * قصور البحوث الكلامية عن استيعاب منظومة العقائد
- * المنبة الثاني: تفوقها على مسرح الشجاعة والجرأة
- * التراتبية في الفضل في دائرة أهل البيت عليهم السلام
- * مأمورية علي عليه السلام في جملة من الموارد بإنفاذ أمر فاطمة عليها السلام
- * أدلة هيمنة مقامها عليها السلام على مقام الحسين عليه السلام
- * الدليل الأول: حديث الكفوية
- * الدليل الثاني: روايات النور
- * الطبقة النورية باللغة الفلسفية
- * الدليل الثالث: هيمنة مصحفها الشريف
- * السؤال تحر عن الحقيقة لا إنكار لها

* الدليل الرابع: أمريتها في عالم الآخرة

* فاطمة عليها السلام لسان الميزان والحسنان، الكفتان

* الدليل الخامس: كونها بحر علم النبوة

* علي وفاطمة عليهما السلام رافدان للمعرفة الكاملة بالنبي صلى الله عليه وآله

* منهاج فاطمة عليها السلام محكم على مناهج الأئمة عليهم السلام

مقامات الزهراء عليها السلام مغيبية في الأوساط العلمية:

لا نبالغ في القول بأن مقام الزهراء عليها السلام مغيب في الأوساط العلمية تدويناً وخطابة وثقافة، فضلاً عن الأوساط غير العلمية.

وأعظم شؤونها المغيبة هو كون مقاماتها عليها السلام في كل شيء تتلو مقامات النبي صلى الله عليه وآله والوصي عليه السلام وتعلوا مقامات أولادها عليهم السلام.

وهذه الغفلة العلمية عن إدراك مقاماتها عليها السلام لا تضر بالحقيقة في نفسها وواقعها شيئاً، لكنها تعني تمادي تقصيرنا عن إدراك الحقيقة.

والتماذي في الجهل بالمعارف يولد سلبيتين مهمتين:

الأولى: انقلاب الأدلة على الحقيقة من بديهية واضحة إلى نظرية غامضة في عقول الناس، وبالتالي فلا يقف على الحقيقة وما يترتب عليها من فوائد إلا البصيرين بالأدلة النظرية، وهذا لا يؤخر موقع الحقيقة في سلم المعارف، بل تظل في موقعها وتبقى المسؤولية العلمية على عاتق الناس بلزوم الاعتقاد بها عن دليل.

الثانية: إن أي جهل وضبابية تصيب العقول بأي حلقة من حلقات المعارف الدينية تلقي بتأثيرها على الحلقات الأخرى سواء الحلقات التي فوقها والحلقات التي تحتها.

فلا يظن من يؤمن بالتوحيد والنبوة ويجهل الولاية أنه بلغ علما بالتوحيد والنبوة أو أنه أعطى الاعتقاد حقه في الحلقات التي تلي الولاية، كما أن من يجهل مقامات تالية النبي ﷺ والوصي عليه السلام لا يتوقع أنه بلغ علما في معرفة الوصي عليه السلام والنبي ﷺ والتوحيد أو أنه أعطى العقيدة بالأحد عشر عليه السلام حقها المناسب بشأنها.

وهذا المبحث (كون فاطمة عليها السلام تالية للنبي ﷺ والوصي عليه السلام وتعلو الأحد عشر معصوما عليهم السلام) مغيب كذلك في كتابات الكثير من المتكلمين وكتابات المحدثين، لكنه بحسب الأدلة - والمدار عليهما ولا سيما الأدلة المرتكزة عند علماء المذهب - بديهي، أي أن هيمنة مقام الزهراء عليها السلام على مقام الإمامين الحسين عليهما فضلا عن التسعة المعصومين عليهم السلام من ولد الحسين من البداهة بمكان.

بل هذا المبحث من أمهات المباحث في سلسلة مقامات فاطمة عليها السلام، وإذا قرر هذا المبحث فإنها ستكون واجدة لكل مقامات الأحد عشر وزيادة.

ولابد من إلفات النظر إلى أن هذا المبحث ورغم أنه غير مجمع عليه، بل قلة من الأعلام من تنبه إليه إلا أن الأدلة عليه متكاثرة بل هي أدلة قطعية بل ندعي دعوى زائدة وهي بداهة الأدلة على هيمنتها.

كما لا بد أن نلتفت إلى أن كونها تالية علي عليه السلام في المقام ليس معناه أنها دونه في كل شيء، بل من جانب كفوئية ومن جانب تتلوه، كما أن المقام الأم (هيمنتها على أولادها) ليس بلحاظ

الولاية العامة بَلْ بلحاظ ولايتها عَلَى الأئمة الأحد عشر عليهم السلام.

ولهذا المبحث تداعيات كثيرة منها تأثيره على النتائج المهمة في جملة مهمة من أبواب الفقه وسيأتي في ضمن البحث.

ويمكن أن نلخص نقاط البحث في التالي:

أولاً: إن أم مقاماتها - بحسب تتبعنا وبحسب علمنا القاصر وتحليلنا وإدراكنا والعلم بالواقع عند الله فلربما كان هناك أعظم من هذا المقام - هو هيمنة وتقدم مقامها عَلَى مقامات الأئمة مِنْ بنيتها عليهم السلام.

وهذا بحسب قوالب الأدلة.

ومعنى أم مقاماتها هو المقام المهيمن عَلَى مقامات أولادها، وهو مقامها العظيم الأعظم.

ثانياً: مشاركتها عليها السلام في الجملة لمقامات علي عليه السلام وإن كانت تتلوه وهو إمامها.

ثالثاً: إنَّ هَذَا المقام الأم لمقاماتها مبدّه لا بحسب كلمات العلّماء وإنّما بحسب الأدلة المتسالم عَلَيْهَا، فَهُوَ لَيْسَ فَقَطُ قطعي بَلْ مبدّه.

وحينئذ فنحن مطالبون أن نطرح أدلة مبدّهة فضلاً عَنْ أنّها قطعية.

رابعاً: رغم تسالم علماء الإمامية عَلَى حجيتها وعصمتها عليها السلام إِلَّا أنّهم لم يخوضوا في تحرير المقام الأم تفصيلاً وبلورته تصرّيحاً وإن كَانَ موجوداً لديهم ارتكازاً.

خامساً: هَذَا المبحث العظيم نتائج صناعية وعلمية تلون منظومة العقائد، وَكَلَهُ تأثير

عَلَى أَبْوَاب هَامَةٍ فِي الْفَقْهِ.

سادساً: إنه ما لم تتم وتستكمل دراسات فقهية وعقائدية عَنْ تَوْصِيَّاتِ مَا وَرَدَ عَنْ الزَّهْرَاءِ (ع) فِي خُطْبَتِهَا الَّتِي هِيَ دَسْتُورُ الْإِسْلَامِ، وَأَنَّهُ مَا لَمْ تَحْكَمْ تَوْصِيَّاتِهَا عَلَى أَبْوَابِ الْفَقْهِ وَعَلَى مَسَارِ الْأُمَّةِ فِي الْعَصْرِ الرَّاهِنِ، فَلَنْ يَتِمَّ بِنَاءِ خَارِطَةِ لِلظُّهُورِ وَالْفَرْجِ، فَالْأَخْذُ بِمَنْهَجِ فَاطِمَةَ (ع) يَفْتَحُ الطَّرِيقَ لِلظُّهُورِ وَقِيَامِ الْمَنْجِيِّ، أَي أَنْ هَجْرَانِ التَّوَصِيَّاتِ الْمَأْثُورَةِ الَّتِي صَدَرَتْ مِنْ فَاطِمَةَ (ع) يَعْرِقِلُ مَسِيرَةَ الْفَحْصِ الْكَامِلِ عَنْ مَرَامِ نَهْجِ أَهْلِ الْبَيْتِ (ع).

وقد أودعت تلك التوصيات في خطبتها التي هي بحق عبارة عن ديباجة دستور الإسلام، فما لم تحكّم توصياتها كعمومات في أبواب الفقه وفي المشاكل الراهنة للعصر الحاضر لم يتم رسم خارطة طريق للظهور وقيام المشروع المهدوي.

فإن واحدة من الزوايا المهمة الركنية لمشروع المنجي هو تدشين نهج فاطمة (ع) على ضوء ما استفدناه من معارف أئمة أهل البيت (ع).

وإذا تمت هذه الفهرسة فنشرع في تفاصيلها.

أم مقاماتها هو هيمنة كل فضائها على فضائل أولادها:

أول سؤال ينبثق في خضم هذا المبحث الخطير هو كيف يكون المقام المذكور هو أم

مقاماتها؟!!

وجوابه هو إنه إذا تقرر واستفيد من الأدلة المبدّهة القطعية بحسب الإرتكاز والإجمال

أن مقامها مهيمن في كل الأصعدة على مقامات الأحد عشر (ع) فستكون أمريتها وناهييتها

وحاكميتها مهيمنة على أمرية وحاكمية وناهوية الحسن والحسين في كل العوالم، أي كل عوالم الخلقة سابقة ولاحقة، وكَيْسَ في الأرض فحسب ولا في البرزخ ولا في الرجعة ولا في القيامة ولا في الجنة.

فهي بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والوصي عليه السلام في المقدمة والصدارة، وهي الحاكم وهي الأشجع وهي الأعلم، وهذا التفاوت بينهم هو مقتضى البيان العقلي، وإن كان كلهم واحد في العلم والنور والشجاعة.

وَهَذَا ما دل عليه القرآن الكريم في تراتبية النبيين مقاما، فمن جهة يقول تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(١)، ويقول من جهة أخرى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾^(٢)، بلا أي تدافع ولا تناقض.

ونظيره ما نزل في آيات الإمامة حيث بيّن أنّ الإمامة على درجات، كما أشير إليه في سورة البقرة في قصة إبراهيم الخليل عليه السلام فبعد أن نال أصل مقام الإمامة بمقتضى قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(٣) طمع في مقام آخر ونور أعلى فطلب بقوله: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾^(٤)، ومفادها أنه دعا باصطفاء أعلى في درجات الإمامة من إصطفاء الإمامة الأول، فأوضح ما دل على تعدد درجات الإمامة دعاء وطلب إبراهيم بعد أن نال طبقة منها الاستزادة والرقى

(١) سورة البقرة: الآية ١٣٦.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥٣.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٢٤.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٢٨.

لطبقة أخرى.

وهذا ما بيّنه أئمة أهل البيت عليهم السلام تحت آيات النبوة وآيات الإمامة فأكدوا أن النبوة والإمامة على درجات.

والمحصلة أن النبيين والمرسلين عليهم السلام مسار واحد وماركة واحدة، إلا أن دولة آل محمد عليهم السلام تتفاوت عن دولة آل إبراهيم ودولة آل داوود ودولة آل هارون ودولة آل يعقوب.. ونفس دولة آل محمد عليهم السلام لها لون واحد يتميز عن لون البيوتات النبوية الأخرى، فهم في العلم سواء أي لهم لون علمي هم فيه سواء وهو متميز عن علم آل إبراهيم وعلم آل يعقوب، فهم سواء في اللون المتميز والشجرة الواحدة.

وفي عين هذه الوحدة في كل المقامات وتميزهم عن سائر ألوان النبيين والمرسلين لكونهم الوارثين للكتاب كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾^(١) إلا أنهم في ظل المجموعة ذات اللون الواحد والخصائص الواحدة متفاوتين على طبقات.

آل محمد عليهم السلام دائرة متميزة عن النبيين وبين أفرادها تمايز:

فمرة تكون المقارنة بين دائرة آل محمد عليهم السلام والدوائر الأخرى للنبيين عليهم السلام فتكون النتيجة أن لدائرة آل محمد عليهم السلام لونا واحدا خاصا ولهم سوائية واحدة، وقد عبّر عنها في ألسنة وحيانية متعددة نظير ما رواه في الغيبة بسنده إلى زيد الشحام قال: قلت لأبي عبد

(١) سورة فاطر: الآية ٣٢.

الله عليه السلام: أيتها أفضل: الحسن أم الحسين؟

فقال: إنّ فضل أولنا يلحق بفضل آخرنا وفضل آخرنا يلحق بفضل أولنا، فكلّ له فضل .

قلت: جعلت فداك! وسّع عليّ في الجواب فإنّي والله ما سألتك الأمر تاداً.

فقال: نحن من شجرة طيِّبة، برأنا الله من طينة واحدة، فضلنا من الله، وعلمنا من عند الله، ونحن أمنائه على خلقه، والدعاة إلى دينه، والحجاب فيما بينه وبين خلقه .

أزيدك يا زيد؟ قلت: نعم.

فقال: خلقنا واحد، وعلمنا واحد، وفضلنا واحد، وكلّنا واحد عند الله عزّ وجلّ.

قلت: فأخبرني بعدتكم.

فقال: إثنا عشر، هكذا حول عرش ربّنا في مبتدأ خلقنا: أولنا محمّد وأوسطنا محمّد وآخرنا محمّد^(١).

وما رواه في الخصال عن أبي الحزور عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «خلق الناس من شجر شتى، وخلقنا أنا وابن أبي طالب من شجرة واحدة، أصلي علي وفرعي جعفر»^(٢).

وما رواه في مقاتل الطالبين عن عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر عن أبيه عن

(١) غيبة النعماني: ٨٧.

(٢) الخصال، الصدوق / ٢١.

جده قال: خرج رسول الله ﷺ وهو يقول: «الناس من شجر شتى وأنا وجعفر من شجرة واحدة»^(١).

ومفاد هذه النصوص كون كل شجرة بني هاشم شجرة اصطفاوية فلا تقارن أنوارهم بأنوار غيرهم، ولا يساوى علمهم بعلم غيرهم، ولا يقارن كتابهم الذي هو تحفة سيد الأنبياء ﷺ لآله بصحف إبراهيم أو صحف موسى أو إنجيل عيسى، وهو معنى هيمنة القرآن على سائر الكتب والصحف.

ومرة تكون المقارنة بين أفراد دائرة آل محمد ﷺ وبهذا اللحاظ لا تناقض بين الحكم عليهم باللون الواحد في المقارنة الأولى والحكم بالتفاوت بينهم بلحاظ المقارنة الثانية، وبلحاظ المقارنة الثانية تختلف رتبة الحجية والنورية والهيمنة.

وهذا نظير ما ذكره الفقهاء في الفرق بين فرض الله والسنن التي سنّها سيد الأنبياء' فبرغم كون الحجية فيها بمعنى سواء أي سواء في الحجية والالزام لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوَلِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٢) لكن مراتب الهيمنة مختلفة، لذا روى في الخصال عن زرارة عن أبي عبد الله ﷺ قال: «... ولا تنقض السنة الفريضة»^(٣).

وفي المقارنة في النوع الثاني أي بين أفراد دائرة آل محمد ﷺ يكون لفاطمة ﷺ تميز وتمايز ولها مقامات خاصة، وأم مقاماتها هو كون شجاعتها أرفع ونورها أنور وطهرها أظهر

(١) مقاتل الطالبين، أبي فرج الاصفهاني/ ١٠، كنز العمال، المتقي الهندي ١١/ ٦٦٣.

(٢) سورة النساء: الآية ٥٩.

(٣) الخصال، الصدوق/ ٢٨٥.

وعلمها أعلم وولايتها أعظم وأمريتها أكد وناهويتها أبلغ وحجيتها أكثر هيمنة من شجاعة ونور وطهر وولاية وأمرية وناهوية وحجية أولادها الأحد عشر عليهم السلام.

وعلى هذا الأساس يثبت لها نظير ما ثبت لأمر المؤمنين عليهم السلام بالنسبة لأولاده المعصومين عليهم السلام فقد ورد عن الرضا عليه السلام: «إنها شيعته الحسن والحسين.. الحديث»^(١) فضلاً عن الأئمة التسعة، وهو صادق في الزهراء عليها السلام فالحسن والحسين عليهما السلام فضلاً عن التسعة من شيعتها وأتباعها.

ويصدق في حقها ما ورد عن الصادق عليه السلام في فخاره الديني أنه قال: «ولايتي لعلي بن أبي طالب عليه السلام أحب إلى من ولادتي منه...»^(٢) بل من المظنون به أن كل الأئمة قالوا ذلك، أي أن هذا اللسان من الفخار بالانتساب للولاية العظمى سيال لدى أئمة أهل البيت عليهم السلام.

ومعناه أن ولاية علي عليه السلام أكمل في كمالهم من نسبهم لعلي عليه السلام، فولاية السجاد والباقر والصادق عليهم السلام لأمر المؤمنين عليهم السلام أحب وأعز إليهم وأكمل في كمالهم وتكاملهم واصطفائهم وعلو مقامهم من نسبهم له رغم أن نسبهم اصطفاء واحتباء.

والمحصلة أن هذا النمط من الفخار الديني من قبل الأئمة الأحد عشر عليهم السلام اتجاه ولاية علي عليه السلام بعينه ونفسه لديهم اتجاه امهم فاطمة عليها السلام وهو معنى الهيمنة عليهم من قبلها وهو أم مقاماتها، أي أن أم مقاماتها كون الحسن والحسين عليهما السلام شيعة لها وانهم يفتخرون بحجيتها عليهم.

وكونهما شيعة لفاطمة عليها السلام ليس من التخرص والتكلف وإنما هو مستل من روح

(١) تفسير الامام العسكري / ٣١٣.

(٢) الروضة في فضائل أمير المؤمنين، شاذان بن جبرئيل القمي / ١٠٣.

أقوالهم وتعاليمهم كما أنه ليس من الدلالات الظنية بل من الدلالات القطعية بل من الدلالات المبدهة.

ونسجل هاهنا بعض المؤشرات والمنبهات على هذا المبحث:

المنبة الأول: هيمنتها العلمية على علم أولادها عليه السلام:

لقد روى كبار المحدثين روايات كثيرة في مصحف فاطمة عليها السلام، ومما روي في أوصافه أنه مصدر علم أئمة أهل البيت عليهم السلام، فقد روى عن الصادق عليه السلام افتخاره بكون أحد مصادر علومهم هو مصحف فاطمة عليها السلام كما تقدم في مقالة مصحفها. وهذا بلغة عقائدية يعني أن فاطمة عليها السلام واسطة علمية بين السماء وأئمة أهل البيت عليهم السلام.

قصور البحوث الكلامية عن استيعاب منظومة العقائد:

وليس من السهل ثبوت هذا الدور لها بل هو من القول الثقيل، فقد ثقل هضمه واستيعابه على علماء الإمامية فضلا عن علماء العامة.

بل هو ثقيل الهضم والاستيعاب على الأنبياء عليهم السلام كما هو مفاد الروايات، فقد أكدت الروايات على أن معرفة فاطمة عليها السلام معرفة ثقيلة الوزن على الأنبياء عليهم السلام غامضة المعاني مبهمة صعبة، بل من الصعب المستصعب.

هذا فضلا عن علماء العامة، فقد استعصى عليهم واستصعب أن يكتبوا ترجمة تفسيرية وترجمة كلامية لمقام مريم الصغرى برغم توفر الآيات ووضوح دلالاتها، حتى نسب القرطبي مقام النبوة لها لعدم وجود سعة في الفهم والإطلاع لديهم على ما في منظومة

المعارف الدينية من مقامات غير مقام النبوة.

وإذا استعصى عليهم فهم مقامات مريم الصغرى وهي مثال صغير لفاطمة الكبرى عليها السلام في القرآن، بل بنص تعبير سيد الأنبياء عليه السلام أن مريم هي مريم الصغرى وفاطمة عليها السلام هي فاطمة الكبرى- هذا وقد نص القرآن والنصوص الوحيانية على أن الفاصلة بين مريم وفاطمة عليها السلام كبيرة جدا- فإذا استعصى عليهم استيعاب مقامات مريم الصغرى مع كون الفاصلة كبيرة بينها وبين مقامات مريم الكبرى فأتى لهم ومن أين السبيل لديهم ليهضموا شيئا من مقامات فاطمة عليها السلام.

وهم إذا لم يستطيعوا أن يهضموا مقامات الإمامة برغم كثرة الآيات الشارحة لها فأتى لهم أن يقفوا على مقام المهيمنة على مقام الإمامة.

بل وهذه كتب علم الكلام الشيعي ببابك فنقب فيها فإنك لن تجد بابا مستقلا لشرح مقام مريم، وليس حال محدثي علماء الإمامية ومفسريهم بأفضل حالا من متكلميهم، فلم يخص هؤلاء ولا هؤلاء بحثا مستقلا لبيان مقام مريم في منظومة العقائد.

ونحن هاهنا لا ننسب لهم النكران لمقامها -والعياذ بالله- فإنهم أجل من ذلك، وإن ما نقوله بضرر قاطع أنهم لم ينجزوا كل شيء، فإن جواهر أنوار القرآن والسنة لازالت مكتملة.

بل العالم الواحد منهم كالشيخ الطوسي وهو فقيه ومحدث ومتكلم ومفسر أنجز في العقائد على صعيد الحديث أكثر مما أنجزه في كتبه الكلامية.

وفي هذا تنوير علمي للباحثين مفاده أن منظومة العقائد لدا علماء الإمامية في كتب

الحديث أوسع منها لديهم في كتب الكلام.

ولذبات من غير المقبول موضوعيا وعلميا أن يقول الباحث بتسالم علماء الإمامية على تعداد أصول عقائدية قليلة لا تتجاوز عدد أصابع الكف الواحدة وأن ما عداها لم يذكره ولم يثبتوه، وإذا سألته عن المصادر التي راجعها يجب بأن ذلك هو ما وجدته في كتب الكلام لديهم، برغم أنهم ذكروها في علم الحديث أو في علم التفسير.

ولذا فالبناء على أن كل علوم وأبحاث وآراء علماء الإمامية في العقائد قد أثبتت في علم الكلام شطط عن الحقيقة، بل الواقع العلمي يشهد على أن الكثير من الأصول والتفاصيل قد بثوها في علوم وكتب أخرى.

بل الموضوعية تقتضي التفتيش والتنقيب في سائر كتبهم بما فيها كتب المزارات والأدعية فضلا عن كتب الحديث والتفسير والفقهاء للوقوف على منظومة أقوالهم وآرائهم.

فهذا أستاذ الشيخ المفيد بن قولويه المدفون عند رجل الإمام الكاظم عليه السلام وبجنب تلميذه المفيد والذي يعبر عنه النجاشي بأنه زعيم الفقه في زمانه^(١) وهو كذلك محدث نحري، والكتاب الذي بقي لابن قولويه الآن - وعظمة بن قولويه فيه أعظم من عظمته في كتبه الفقهية التي لم تصل إلينا - هو كتاب (كامل الزيارات) ورغم أن اسمه (كامل الزيارات) لكنه بحق من أوله إلى آخره كتاب معارف، بل هو مصدر فقهي لفقه الشعائر الحسينية والدينية، ومصدر فقهي عظيم لفقه العتبات.

وتأسيسا على ذلك فإنه قد تسالم علماء الإمامية على رصد بعض آرائهم وأفكارهم

(١) قال في رجال النجاشي: (وكل ما يوصف به الناس من جميل وثقة وفقه فهو فوقه) رجال النجاشي / ١٢٣.

العقائدية في كتب الكلام وثمة تسالمات أخرى لديهم في علوم الأخرى.

والغاية من إثبات هذا المطلب هو توسعة الأفق العلمي للتتبع الصحيح في البحوث العلمية بغية الحصول على نتائج علمية واقعية.

ومن المقامات المهمة التي لم يسلطوا الضوء عليها في كتب علم الكلام هو المقام الذي نعبّر عنه بأم مقامات فاطمة عليها السلام، وهو أنها عليها السلام مهيمنة على الأئمة الأحد عشر عليهم السلام في كل الفضائل والكمالات والآثار.

بل ثمة حيص وبيص في مصحف فاطمة عليها السلام عند الإمامية فقها وكلاميا وأصوليا، وكلهم يعترفون باستفاضة الروايات فيه لكنهم إلى الآن ما وضعوا تصويرا عقليا وكلاميا له، ولم يوضحوا تفسيره الفقهي ولم يبلوروا تفسيره الأصولي، ولم يكن فيهم من دنى وتدلى من هذا البحث فكان قاب قوسين من حقيقته، وهو المصحف الذي يثبت هيمنتها العلمية، أي أنها أم لأولادها في العلم إذ إن الوسطة في العلم لها هيمنة علمية على من يستقي منها.

المنبة الثاني: تفوقها عليها السلام على مسرح الشجاعة والجرأة:

ويشير إلى عظمة شجاعتها برغم كونها أنثى ما أبدته من شجاعة مهيمنة على شجاعة العديد من الرجال وفي مواقف مختلفة، فقد كان لها من الرجولة بمعنى الصلابة ما يعجز عن وصفه البيان أو يحيط بتفسيره البنان، كيف لا وهي لبوة النبوة وبضعة الرسالة.

وتجلت شجاعتها في مواطن:

منها: ما ذكرناه سابقا من صدها للعصابة التي هجمت على باب بيتها، ورغم عددهم

وعدتهم لم يستطيعوا أن يفتحوا الباب فعمدوا إلى ضربها..

ومنها: ما ذكرناه أيضا من أن القوم لما لبوا أمير المؤمنين عليه السلام بالحبال بحائل سيفه أخذت فاطمة عليها السلام طرفا من الحبال وكان الطرف الآخر بيد الأراذل فلم يستطيعوا أن يزحزحوا أمير المؤمنين عليه السلام مع لزوم فاطمة عليها السلام الحبل بيدها، فلجؤا لضرب متنها ويدها بالسياط وإلى غمد السيف في جنبها.

فهذه القوة المتميزة لفاطمة عليها السلام وهذه الشجاعة لإمراة هي رجل في الصلابة والاستقامة تُقرب ما قلناه من هيمنة لها على الأئمة الأحد عشر عليهم السلام فضلا عن دونهم هيمنة وشجاعة وقوة وصلابة واستقامة.

التراتبية في الفضل في دائرة أهل البيت عليهم السلام:

تبين سابقا وجود تفاوت في الفضل بين المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام ونضيف أن بعدية فاطمة عليها السلام لعل عليه السلام ليست كبعدية السجاد للحسين عليه السلام فهي من جهة بعدية ومن جهة كفوئية بحسب النصوص الوحيانية بلا تنافي بين الأمرين.

ونظيره بين الإمامين الحسين عليه السلام إذ بينهما مشاركة متقاربة في المقام والحجية مع تقدم فضل الحسن المجتبي عليه السلام على الحسين عليه السلام.

لكن الفاصلة بين الحسين عليه السلام ليست كالفاصلة بين سيد الشهداء والحجة عليه السلام، فمع كون رتبته عليه السلام تالية لرتبة الحسين عليه السلام إلا أن الفاصلة بين الحسين عليه السلام أقل من الفاصلة بين الحسين عليه السلام والحجة عليه السلام.

كما دلت الأدلة الوحيانية على وجود مشاركة في الجملة بين أمير المؤمنين عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وآله إلا أنها ليست بقدر المشاركة بين علي وفاطمة عليهما السلام أي أن الفاصلة بين فاطمة وعلي عليهما السلام أقل مع كون أمير المؤمنين عليه السلام نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وباب علمه.

كما دلت الأدلة أيضا على أن الفاصلة بين الحجة والإمام زين العابدين عليه السلام غير الفاصلة بين الحسن والحسين عليهما السلام، فالفاصلة بين الحسن والحسين عليهما السلام أقل، كما أن السجاد عليه السلام مقدم على الباقر عليه السلام والباقر عليه السلام مقدم على الصادق عليه السلام والصادق عليه السلام مقدم على موسى عليه السلام إلى آخره.. كما التزم بذلك السيد المرتضى لوجود روايات ناصة على تقدم فضل كل إمام أب على كل إمام ابن عدا ما خرج بالدليل وهو الحجة، فمع أنه ابن للثمانية عليهم السلام لكنه يتقدمهم فضلا ومقاما كما نص على ذلك سيد الأنبياء في خطبة الغدير وروايات أخرى عن الأئمة عليهم السلام من أن الحجة أفضل التسعة عليهم السلام، وأن تاسعهم قائمهم وهو ظاهرهم وهو باطنهم وهو أفضلهم.

روى في كمال الدين بسنده عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن الله عز وجل اختار من الأيام الجمعة، ومن الشهور شهر رمضان، ومن الليالي ليلة القدر، واختارني على جميع الأنبياء، واختار مني عليا وفضله على جميع الأوصياء، واختار من علي الحسن والحسين، واختار من الحسين الأوصياء من ولده، ينفون عن التنزيل تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل المضلين، تاسعهم قائمهم و(هو) ظاهرهم وهو باطنهم»^(١).

(١) كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق / ٢٨١.

وروى في مقتضب الأثر عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: قال رسول الله: «ان الله اختار من الأيام يوم الجمعة، ومن الليالي ليلة القدر ومن الشهور شهر رمضان، واختارني وعلياً، واختار من علي الحسن والحسين، واختار من الحسين حجج العالمين تاسعهم قائمهم اعلمهم أحكمهم»^(١).

فمقام الحجة مقام عظيم بالقياس للتسعة عليه السلام إلى درجة أن الإمام الصادق عليه السلام يخاطبه بعبارة (سيدي) فقد روى في كمال الدين بسنده عن سدير الصيرفي قال: دخلت أنا والمفضل بن عمر وأبو بصير وأبان بن تغلب على مولانا أبي عبد الله الصادق عليه السلام فرأيناه جالسا على التراب وعليه مسح خيبري مطوق بلا جيب، مقصر الكمين، وهو يبكي بكاء الواله الثكلى، ذات الكبد الحري، قد نال الحزن من وجنتيه، وشاع التغيير في عارضيه، وأبلى الدموج محجريه وهو يقول: «سيدي غيبتك نفت رقادي، وضيق علي مهادي، وابتزت مني راحة فؤادي سيدي غيبتك أوصلت مصابي بفجائع الأبد.. الحديث»^(٢).

كما أن الإمام الرضا عليه السلام يقوم اجلالاً لذكره^(٣).

ويخاطبه أبوه العسكري عليه السلام بقوله (يا سيد أهل بيته)^(٤) في ظل وجوده، أي أن للحجة عليه السلام سؤددا في ظل وجود أبيه.

ونظيره في القرآن تفاوت مقام يوسف الإبن عن مقام يعقوب الأب، ودلّ على هذا

(١) مقتضب الأثر، أحمد بن عبيد الله بن عياش الجوهري/ ٩

(٢) كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق/ ٣٥٢.

(٣) الغدير، الأميني/ ٢/ ٣٦١.

(٤) الغيبة، الطوسي/ ٢٧٣.

التفاوت من نصوص القرآن مقاطع عديدة منها قوله تعالى: ﴿ادْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(١) وقوله تعالى في ذيل الآية: ﴿وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٢) فأمر يوسف بهجرة يعقوب دون العكس دليل ثبوت ولاية وأمريه ليوسف، ولا يخلو تأثير القميص المنسوب ليوسف بقوله (بِقَمِيصِي هَذَا) على ناظر يعقوب من دلالة على تقدم فضل له.

وكذا قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾^(٣).

ومنه يتبين أن الفاصلة في المقام بين الإمام الإبن والإمام الأب ليست تأسيسا في شريعة الإسلام.

وعلى ضوء ما مر من تقدم الإمام الأب على الإمام الإبن وتقدم الحجة عليه السلام على الثمانية يتبين أن الفاصلة بين الإمام الأب والإمام الإبن أقل من الفاصلة بين الإمام الجد والإمام الحفيد وتكبر الفاصلة كلما ابتعدت طبقة الحفيد.

وعلى ضوءه أيضا يتبين أن الفاصلة بين الحجة عليه السلام والأئمة الثمانية عليهم السلام ليست على نسق واحد وبرهانه تقدم كل إمام أب على كل إمام إبن.

(١) سورة يوسف: الآية ٩٣.

(٢) سورة يوسف: الآية ٩٣.

(٣) سورة يوسف / ٩٣

(٤) سورة يوسف: الآية ١٠٠.

(٥) قال في الميزان: (انما اخذوا يوسف آية الله فاتخذوه قبلة في سجدتهم وعبدوا الله بها لا غير كالكعبة التي تؤخذ قبلة فيصل إليها فيعبد بها الله دون الكعبة ومن المعلوم ان الآية من حيث إنها آية لا نفسية لها أصلا فليس المعبود عندها الا الله سبحانه

وتعالى). الميزان، السيد الطباطبائي ١١ / ٢٤٧.

فإذا قلنا بتقدم الحجة عليه السلام على الجميع فهو تقدم عن دائرة فيها تفاضل وتمايز فتكون نسبته لأولهم في الفضل أقل فاصلة من نسبته لمن يليه، وتقدمه في الفضل على من يليه أقل ممن بعده وهلم جرا.

مأمورية علي عليه السلام في جملة من الموارد بإنفاذ أمر فاطمة عليها السلام:

ونعود إلى ما نحن فيه وهو أنه في حين أن فاطمة عليها السلام مأمورة بطاعة علي عليه السلام وهو ما يثبت إمامته عليها فكذلك فإن أمير المؤمنين عليه السلام في جملة من الموارد حسب النصوص الوحيانية مأمور بطاعة الزهراء عليهن السلام كما مرّ اثباته سابقا.

ولا يتوهم أحد أن مأمورية الزهراء عليهن السلام بطاعة علي عليه السلام دينية، بينما الوصية بطاعته للزهراء عليهن السلام ذات طابع شخصي، إذ ليس للزهراء عليهن السلام شأن خاص منفك عن موقعيتها في الأمة، بل كل شأنها مرتبط بأبيها وبعلمها ودين الإسلام.

وقد تظن أعداؤها بارتباط وصيتها عليها السلام بأصل الدين فراموا نبش قبرها، فلو كان المرتكز عندهم أن توصياتها ذات طابع شخصي فماذا يهيجهم لو منعتهم من الصلاة عليها وشهود جنازتها وحضور تشييعها، فهيجانهم وغضبهم من أدل الأدلة على وجود ارتكاز لديهم في أن استثناءهم من وصاياها اسقاط ديني لهم عن الموقعية.

ومن شواهد ارتباط شؤونها عليها السلام بأصل الدين أنها لما أوشكت أن ترفع القناع عن رأسها وهمّ العذاب بالنزول عليهم طلب منها أمير المؤمنين عليه السلام الكف عنهم بنحو الالتماس وليس

بنحو الأمر وهو المفاد الدقي لقوله عليه السلام: «ان أباك بعث رحمة»^(١).

ثم إن استجابة السماء والإرادة الإلهية لها مع وجود أمير المؤمنين عليه السلام يوضح أن لها شأنًا مغايرًا لشأن الحسين عليه السلام في ظل إمامة وولاية أمير المؤمنين عليه السلام وهو دليل على الشراكة بينهما.

فقد روى في الاحتجاج (قال سلمان رضي الله عنه: كنت قريباً منها، فرأيت والله أساس حيطان مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله تقلعت من أسفلها حتى لو أراد رجل أن ينفذ من تحتها لنفذ، فدنوت منها فقلت: يا سيدي ومولاتي إن الله تبارك وتعالى بعث أباك رحمة فلا تكوني نقمة، فرجعت ورجعت الحيطان حتى سطعت الغبرة من أسفلها فدخلت في خياشيمنا)^(٢).

وما سنستعرضه من الأدلة لاحقاً كله يصب في رسم قالب الشراكة بينهما، فبرغم كونه إمامها وله تقدم في الفضل عليها لكنها تشاركه في الجملة.

وشراكتها عليها السلام في جملة من الموارد لأمر المؤمنين عليهم السلام يرسم لنا في المقابل الفاصلة بينها وبين الأئمة الأحد عشر عليهم السلام.

(١) روى في المسترشد أنه قول سلمان، (قال سلمان : وكنت قريب منها ، فرأيت والله حيطان مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله انقلعت من أسفلها، حتى لو أراد الرجل أن ينفذ من تحتها لنفذ ! فقلت: يا سيدي ومولاتي، إن الله تبارك وتعالى بعث أباك رحمة فلا تكوني نقمة ..) المسترشد، الطبري الشيعي / ٣٨٢. وروى في الاختصاص أن علياً عليه السلام بعث سلماناً، فقال علي عليه السلام لسلمان : يا سلمان أدرك ابنة محمد صلى الله عليه وآله فإني أرى جنبتي المدينة تكفئان، فوالله لئن فعلت لا يناظر بالمدينة أن يحسف بها وبمن فيها، قال: فلحقها سلمان فقال: يا بنت محمد صلى الله عليه وآله إن الله تبارك وتعالى إنما بعث أباك رحمة فانصرفي... الاختصاص، المفيد / ١٨٦.

(٢) الاحتجاج، الطبرسي / ١ / ١١٤.

أدلة هيمنة مقامها عليه على مقام الحسين عليه:

وقد وعدنا أن يكون اعتمادنا على الأدلة القطعية وليس الأدلة الظنية، فإن موضوع بحثنا لا يمكن اثباته والركون إليه إلا بالقطع دون الظن، وسيتبين أن الأدلة التي سنطرحها مبدهة ارتكازا وإن لم تبسط وتشقق تداعياتها ومعانيها، وجملة منها مثبت لدى الفريقين.

وسنحيل القارئ الكريم في بعض الموارد إلى ما تقدم بيانه تفاديا للتكرار.

الدليل الأول: حديث الكفؤية:

وتقدم الحديث عنه مفصلا في مقالة مستقلة^(١) وهو حديث ثابت بثبوت قطعي لا بثبوت ظني، والحكم بكفؤيتها لعلي عليه يثبت تقدمها على أولادها عليهم لتقم علي عليه عليهم جزما وقطعا وكون مقاماته مهيمنة على مقاماتهم عليهم.

ولو قيل: إن عدم كفؤية الحسين عليه لإمها باعتبار البنوة؟

لأجبنا أن جعل البنوة إنما هو لاحق على التقدير، أي أن التقدير والإصطفاء سابق على تحديد من يكون الأب ومن يكون الأبن بحسب سلسلة الشرف.

فهم عليهم غير كفؤ لها من عالم النور وقبل تحديد النسب الدنيوي.

الدليل الثاني: روايات النور:

وهي من الروايات القطعية الصدور عند الفريقين، ولروايات النور لسانان لسان أكثر ورودا ولسان أقل ورودا.

(١) المقالة العاشرة من هذا الكتاب.

أما اللسان الأول فهو لسان أن أول ما خلق الله نور النبي صلى الله عليه وآله ثم خلق منه نور الوصي عليه السلام ثم خلق من نورهما نور فاطمة عليها السلام ثم خلق من نور الثلاثة نور الحسين عليه السلام ثم خلق من نور الحسين عليه السلام نور التسعة عليهم السلام ^(١) ثم خلق من نور الأربعة عشر نور الدائرة الإصطفائية الثانية، ومنهم أبو طالب وعبد الله وحزمة وجعفر وأبو الفضل العباس والعقيلة زينب عليها السلام ..

ولابد هاهنا من بيان مطلب أساسي ومؤثر في عالم المعارف وهو أن خلقة نور النبي صلى الله عليه وآله على طبقات، أي أن النبي صلى الله عليه وآله يُخلق من طبقات من نوره بلا تناقض ولا تهافت، أي أن نور النبي صلى الله عليه وآله يُخلق منه طبقة نورية ثم من هذه الطبقة النورية يخلق نور النبي صلى الله عليه وآله في طبقة أخرى بحسب العوالم المتعددة.

ففي جملة من الروايات أن العرش خلق من نور النبي صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام وثمة روايات أن نور النبي صلى الله عليه وآله خلق من العرش، والرافع للتناقض والتدافع البدوي هو ما أشرنا إليه من أن نور النبي صلى الله عليه وآله على طبقات.

(١) روى في الهداية الكبرى بسنده عن سلمان قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله فنظر إلي وقال يا سلمان الله تبارك وتعالى لم يبعث نبيا ولا رسولا الا جعل له اثني عشر نقيبا قال قلت له يا رسول الله قد عرفت هذا من أهل الكتابين التوراة والإنجيل قال يا سلمان فهل علمت من نقبائي ومن الاثني عشر الذين اختارهم الله للأمة من بعدي فقلت الله ورسوله اعلم فقال يا سلمان خلقتني الله من صفوة نوره ودعائي فاطعته وخلق من نوري عليا ودعاه فاطعه وخلق من نوري ومن نور عليا فاطمة ودعاها فأطاعته وخلق مني ومن علي وفاطمة الحسن ودعاه فاطعه وخلق مني ومن علي وفاطمة والحسن والحسين ودعاه فاطعه فسمانا الخمسة الأسماء من أسائه الله محمود وأنا محمد والله العلي وهذا علي والله فاطر وهذه فاطمة والله الاحسان وهذا الحسن والله المحسن وهذا الحسين ثم خلق منا ومن صلب الحسين تسعة أئمة .. الحديث (الهداية الكبرى، الخصبى/ ٣٧٥).

وكذلك الحال في نور علي عليه السلام ونور فاطمة عليها السلام وسائر أنوار المعصومين عليهم السلام فهي على طبقات.

وَهُمْ يَتَلَقُونَ مِنْ بَعْضِهِمْ فِي الطَّبَقَاتِ النُّورِيَّةِ، لِأَنَّ أَوَّلَ مَا نَزَلَ الْقُرْآنُ فِي السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ أَيَّ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَفِي رَوَايَاتٍ أَنَّهُ لَقِيَ قَلْبَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيَّ طَبَقَةٍ مِنْ طَبَقَاتِ وَجُودِهِ الْعُلُويِّ، فَهُمْ رَوَاةٌ عَنْ مَقَامِ النُّورِ، وَغَيْرِهِمْ رَوَاةٌ عَنْ طَبَقَةِ الْبَدَنِ، وَلِذَا فَأُولَئِكَ مِنْ يَتَلَقَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْإِمَامُ عَلِيُّ عليه السلام وَلَوْ نَزَلَ شَيْءٌ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُسَافِرٌ فَهُوَ يَتَلَقَاهُ قَبْلَ مَنْ هُوَ حَاضِرٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَمَا أَنَّهُ يَتَلَقَاهُ بِتَلْقَى أَعْظَمَ مِمَّا يَتَلَقَاهُ مَنْ هُوَ حَاضِرٌ عِنْدَ الْجَسَدِ، لِأَنَّ تَلْقَاهُ نُورِيٌّ مُطَابِقٌ وَأَكْثَرُ شَفَافِيَّةٌ وَلَطَافَةٌ.

وَإِذَا صَارَ هَذَا الْمَطْلَبُ وَاضِحًا فَإِنَّ جَمَلَةً كَثِيرَةً مِنَ الرِّوَايَاتِ بَيَّنَّتْ أَنَّ مَوْقِعَ نُورِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام هُوَ فِي الْمَرْتَبَةِ الثَّلَاثَةِ، بَلْ دَلَّتْ سُورَةُ النُّورِ عَلَى دَرَجَتِهَا الثَّلَاثَةِ أَيْضًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا﴾^(١)

فَلَا يَظُنُّ أَحَدٌ أَنَّ الْخَلْقَةَ النُّورِيَّةَ هِيَ مَفَادُ رَوَايَاتِ قِطْعِيَّةٍ فَحَسَبَ، بَلْ هِيَ فِي الْأَصْلِ مَعْرِفَةٌ قَرَأْنِيَّةٌ وَأَصْلٌ أَصِيلٌ فِي الْقُرْآنِ .

وبعبارة أخرى:

إِنَّ حَدِيثَ الْخَلْقَةِ النُّورِيَّةِ نَظِيرُ حَدِيثِ الثَّقَلَيْنِ وَحَدِيثِ الْكِفَاءَةِ فَقَدْ بَيَّنَّا سَابِقًا أَنَّهَا فِي الْأَصْلِ قَرَأْنِيَّةٌ، فَكَذَلِكَ حَدِيثُ النُّورِ تَأْسِيسُهُ قَرَأْنِيٌّ بَلِ الْلسَانُ الْأَوْفَرُ وَالْأَكْثَرُ وَرُودًا مِنْ

(١) سورة النور: الآية ٣٥.

روايات النور تأسيسه أيضا قرآني وهو اللسان الذي ذكر فيه أن خلقه فاطمة عليها السلام النورية ثالثة الأنوار.

وأما اللسان الأقل وورودا في روايات خلقه النور فمضمونه أن الله خلق نور النبي صلى الله عليه وآله ثم نور أمير المؤمنين عليه السلام ثم نور الحسين عليه السلام ثم نور فاطمة عليها السلام أو نور الاثني عشر عليهم السلام ثم نور فاطمة عليها السلام ^(١).

والجدير بالذكر أن هذا اللسان غير مشتمل على كون نور فاطمة عليها السلام منشعب من نور الاثني عشر عليهم السلام، وإنما هو مشتمل على عكس ذلك وهو أن نور فاطمة عليها السلام ليس منشعبا من نور الاثني عشر عليهم السلام.

وهذا أمر دقيق وفيصل في بيان عدم التهافت بين اللسانين، وبيان عدم التدافع بينهما في نقطتين:

الأولى: إن اللسان الثاني يُبين فيه انشعاب نور علي عليه السلام من نور النبي صلى الله عليه وآله وانشعاب نور الحسين عليه السلام من نور النبي صلى الله عليه وآله ونور علي عليه السلام وانشعاب نور التسعة عليهم السلام من نور الحسين عليه السلام واستثنت نور فاطمة عليها السلام فلم تنص على انشعابه من نور أولادها عليهم السلام.

ومفاد ذلك أنها عليها السلام ليست متأخرة رتبة.

الثانية: علاوة على عدم ذكر انشعاب نورها عليها السلام من أنوار الاثني عشر وعدم النص في هذا اللسان على تأخرها رتبة فإن ما يرفع التدافع مضافا إلى ذلك ما ذكرناه من أن طبقات

(١) الخصال، الصدوق / ٤٨١.

أنوار المعصومين عليهم السلام متعددة.

واللسان الثاني يشير إلى الحلقة النورية في السبع سماوات حيث إن لهم في كل سماء طبقة نورية غير ما لهم مما هو قبل العرش ودون العرش وفوق الجنة ومع الجنة.

فإذا لاحظنا طبقة نور الزهراء عليها السلام في السبع سماوات فهي متأخرة رتبة عن أنوار الاثني عشر عليهم السلام بلحاظ طبقة أنوارهم فوق السبع سموات^(١).

الطبقة النورية بالغة الفلسفية:

والمحصلة هي أن البناء على كون نور فاطمة عليها السلام هو الثالث رتبة سميًا في الطبقات الأولى وسبقه على نور الحسين، وأنوار التسعة عليهم السلام يتبع تقدمها عليهم رتبة.

وبالغة الفلسفية هي علة وواسطة فيض لنور الحسين عليه السلام وأنوار التسعة عليهم السلام، ومعنى واسطة الفيض هي العلة المهيمنة في كل الكمالات على من يستقي فيضها.

ويعبر في البحوث العقلية عن المخلوق الأسبق والذي ينشعب منه ويترشح عنه مخلوق متأخر بالعلة، بينما يعبر عن المخلوق المنشعب بالمعلول.

وفي العقليات إذا قيل صادر أول وصادر ثاني وصادر ثالث فهو إشارة إلى أن كل متأخر معلول، والمعلول رشحة من رشحات العلة وتجل نازل عن علته، وهو ظهور من

(١) قال في البحار: (والاختلافات الواردة في أزمنة سبق الأنوار يمكن حملها على اختلاف معاني الخلق ومراتب ظهوراتهم في العوالم المختلفة فإن الخلق يكون بمعنى التقدير، وقد ينسب إلى الأرواح وإلى الأجساد المثالية وإلى الطينات ولكل منها مراتب شتى، مع أنه قد يطلق العدد ويراد به الكثرة لا خصوص العدد، وقد يراعى في ذلك مراتب عقول المخاطبين وأفهامهم، وقد يكون بعضها لعدم ضبط الرواة) بحار الأنوار، المجلسي ٢٥/٢٥.

ظهورات علته، كما أنه اسم لظهور الصادر المتقدم عليه.

وبرهن فلسفيا على حقيقة مفادها لو بقي المعلول أبد دهره في صراط التكامل فإنه لن يرقى إلى كمال علته، فما دامت العلة علة والمعلول معلول فدوما ستكون العلة مستوعبة والمعلول مستوعبا.

ويعبر فلسفيا أيضا عن المعلول بالرقيقة وعن العلة بالحقيقة، فالعلة بالنسبة للمعلول حقيقة والمعلول بالنسبة لعلته رقيقة، أي تجل نازل عنها.

وعلى هذا الأساس فإن ترجمة آيات النور باللغة العقلية الفلسفية والكلامية والعرفانية هو أن فاطمة عليها السلام في كل الكمالات مهيمنة على الأحد عشر عليها السلام وإن الأحد عشر عليها السلام رقيقة نازلة عن الحقيقة الفاطمية.

والتعبير عن فاطمة في بعض المرويات بأنها حجة على الحجج هو لغة فقهية وكلامية، وَهِيَ بِلُغَةٍ عَقْلِيَّةٍ اشْتِقَاقِ أَنْوَارِهِمْ مِنْ نُورِ فَاطِمَةَ عليها السلام.

وَهَذَا بَرَهَانٌ كَوْنَهَا فِي عَوَالِمٍ عَلْوِيَّةٍ أَعْلَى، وَأَنْهُمْ إِنَّمَا صَارُوا أَوْلَادَهَا فِي الدُّنْيَا لِأَنَّهُمْ اشْتِقَاقَاتٍ مِنْهَا فِي عَالَمِ الْأَنْوَارِ.

بل التعبير في آيات وروايات النور بانشعاب نور الحسين عليه السلام وأنوار التسعة عليها السلام من نور فاطمة عليها السلام أعظم بمراتب من التعبير بأنهم حجج الله وفاطمة عليها السلام حجة عليهم، لأن ما في آيات وروايات النور بيان تكويني، بينما المنظور في التعبير الآخر هو البيان التشريعي والمعرفي.

فالأئمة عليهم السلام أسماء وظهورات وآيات لظهور علي وفاطمة عليهما السلام، وعلي وفاطمة أسماء وظهور وآيات لظهور سيّد الأنبياء عليهم السلام.

والحسن والحسين آية لظهور فاطمة عليها السلام.

فدليل الأنوار بصياغة وترجمة عقلية هو هيمنة فاطمة عليها السلام على الأئمة عليهم السلام.

والمفاد الدقي للبيان التكويني لنصوص النور هو أن كمالات فاطمة عليها السلام أصل ومنشأ لكمالات الحسينين عليهما السلام، بل أصل لكل كمالات الحسينين عليهما السلام العلمية والعملية والجهادية والعبادية.

وللتقريب نطرح هذا المثال تنبيها لما قلناه فقد وصف الحسن البصري عبادة الزهراء قائلاً: (ما كان في هذه الأمة اعبد من فاطمة، كانت تقوم حتى تورم قدمها)^(١).

وروى في علل الشرائع عن الإمام الحسن عليه السلام في وصف عبادة أمه فاطمة عليها السلام أنه قال: «رأيت أمي فاطمة عليها السلام قائمة في محرابها ليلة الجمعة، فلم تزل راکعة ساجدة حتى انفجر عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسميهم وتكثر الدعاء لهم ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت: يا أماه، لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟

فقلت: يا بني، الجار ثم الدار»^(٢).

ومفاد الرواية أن سيد شباب أهل الجنة عليه السلام يرى نفسه متصاغراً أمام هول عبادة أمه

(١) مناقب آل أبي طالب، بن شهر اشوب ٣/ ١١٩.

(٢) علل الشرائع، الصدوق ١/ ١٨٢.

فاطمة عليها السلام، وهذا يفسر جانباً من هيمنتها في كافة الكمالات على كمالات أولادها عليهم السلام وهيمنة عبادتها في الرواية مثال.

الدليل الثالث: هيمنة مصحفها الشريف:

وفي روايات مصحفها أكبر الأدلة على هيمنة علمها عليها السلام على علم أولادها عليهم السلام، كما أن نزول المصحف عليها تعبير وترجمة لما ورد في الزيارات «إرادة الرب في مقادير أموره تهبط إليكم وتصدر من بيوتكم والصادر عما فصل من أحكام العباد»^(١) فهم المركزية والقضية وبالتحديد أمهم فاطمة عليها السلام.

وقد بسطنا الحديث في مفادات مصحفها الشريف في مقالة مستقلة، وهنا نركز على مفاد آخر وهو أن روايات المصحف تبين أن طبقات الملائكة كانت تنزل بالعلم على فاطمة عليها السلام من دون أن يمرّ بأمر المؤمنين عليهم السلام، فكأنها الزهراء عليها السلام هي اللاقط النبوي وأمير المؤمنين عليه السلام يأخذ ما تنزل عليها وانعكس منها، وهو ما رواه في الكافي من قول علي عليه السلام: «إذا أحسست بذلك وسمعت الصوت قولي لي فأعلمته بذلك، فجعل أمير المؤمنين عليه السلام يكتب كلما سمع حتى أثبت من ذلك مصحفاً»^(٢) ومفاده أنه عليه السلام يسمع مصحف فاطمة عليها السلام ويكتبه بتبع ما يتنزل على فاطمة عليها السلام فهي المبلغ عن المقام النوري لأبيها.

وروايات المذهب الاثني عشر قائمة على هذه الحقيقة وهي من ثوابت المدرسة الإمامية .

(١) الكافي، الكليني ٤/ ٥٧٧.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني ١/ ٢٤٠.

وهذا من أوضح الشواهد على المشاركة بين الزهراء وأمير المؤمنين عليهما السلام في إدارة الدين.

السؤال تحر عن الحقيقة لا إنكارها:

وها هنا لفظة لا بد من التأكيد عليها وهي أن البعض يخول لنفسه أنكار الحقيقة بمجرد أن ينبثق لذهنه سؤال حولها، ومن هذا القبيل تساؤل البعض عن ما تنسبه الشيعة لفاطمة عليها السلام من مقامات، فحيث يطرأ على أذهانهم التساؤل فمباشرة يتهمون الشيعة بأنهم ينسبون لفاطمة عليها السلام بدعا من الأمر، والحال أن السؤال في حد ذاته كاشف عن الجهل ودليل على تدني المعرفة وشاهد عجز علمي عن تفسير ظواهر الكتاب فضلا عن بواطنه وتأويلاته.

ولذا فلا بد أن نفخر بامتلاكنا الحقيقة والمعلومة أمام من يزدرى عقائدنا، بل حتى مقابل من يسأل ويستشكل مرتابا، فبدلا من أن نكون في موقع المتهم لا بد أن نتحسس شعور المتعزز بنيل الحقيقة وتجليها من سطوح القرآن وتزيلاته فضلا عن تأويلاته.

وبعبارة أخرى:

ما يفعله الكثير من السائلين والمستشكيلين على العقائد أو آراء العلماء من مجابتهم بلغة حدية ولهجة قوية هو خلاف مقتضى كونهم سائلين وطالبيين للمعلومة، فإن تحمل شعور ذلك المسألة في العلم أمر ممدوح وهو المقتضى الطبيعي لموقع السائل، فتقمصه لشخصية العالم وواجد الحقيقة حين سؤاله لبس لثوب غير ثوبه.

ويتأكد الأمر فيما نحن فيه فمن يتهم الشيعة بالبدعة والخرافة في عقيدتهم بمقامات فاطمة عليها السلام لمجرد وجود أسئلة في ذهنه، هذا منه خروج عن حال السائل المستفهم، فكيف إذا

كان ما نقوله في فاطمة عليها السلام قد أثبتته القرآن في ظواهر آياته لمن هي دون فاطمة عليها السلام مقاما وشأنًا!!
 فثمة جملة من الآيات نازلة في شأن مريم تنبأ عن تنزل مأموريات عليها من الله بلا
 توسط نبي زمانها، وهذا مثبت في ظاهر القرآن.

وتنزل الملك مباشرة عليها ايدان وافصاح عن شراكتها في إقامة أمر الله.

وهو ما نقوله في فاطمة عليها السلام بنحو أعلى وأشرف، فمن يستصعب فهم ذلك أو يلح عليه
 السؤال فحاله حال الجاهل الفاحص عن العلم لا حال العالم الناقد للعلوم والمعارف.
 ثم إنه إذا ما أخبر القرآن بتنزل الملك على مريم عدة مرات فإن ما ورد في مصحف
 فاطمة عليها السلام - وبيننا شواهد سابقة - هو كثرة تردد طبقات الملائكة على فاطمة عليها السلام مما يؤكد على
 أنها بحر علم النبوة.

وهذا ما التفت إليه بعض كبار المحققين كالمرحوم الشاه آباي رحمته الله، وقد مر سابقا.

الدليل الرابع: أمريتها في عالم الآخرة:

ومن شواهد هيمنتها ما مرّ في مقالة أمريتها في يوم القيامة، فقد ورد النص بهذا التعبير
 «أما تحيين أن تأمرين غدا فتطاعين في هذا الخلق عند الحساب» فإن هذا التعبير بالتخصيص
 والاسم لم يرد لأحد المعصومين من أولادها عليهم السلام إلا النبي صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام.

وما ورد في بقية الأئمة عليهم السلام مما يثبت مقام أمرية لهم في الآخرة وارد بصيغة الجمع أي ورد
 أنهم أمرون وناهون، وأما صيغة التخصيص في لسان الوحي فلم ترد إلا في النبي صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام
 وفاطمة عليها السلام.

وهذا شاهد على أن الهيمنة الثابتة للنبي ﷺ وعلي ﷺ على الأئمة عليهم السلام ثابتة لفاطمة عليها السلام على أولادها المعصومين.

والرواية التي تثبت مقام الآمرية لها في عالم الآخرة تثبت لها أنها بحر علم النبوة، فكونها آمرة في يوم يوضع فيه الموازين بالقسط، أي تكون فيه المحاسبة بلا ظلم يثبت أن لها علما بالدين وعلما بالشريعة وعلما بالموضوعات وعلما بالأحوال، وأنها تلم بكافة ملابسات ومتعلقات قضايا العباد بلا طرود أي شبهة من الشبهات على علمها، فلا شبهة موضوعية ولا شبهة حكمية ولا شبهة برزخية ولا شبهة اجتماعية.

بل الأمر والنهي في ذلك العالم لا يكفي فيه الإحاطة بعلم التشريع وعلم التنظير وعلم الموضوعات وإنما يتطلب العلم بمقتضى الأسماء الإلهية، ومقتضى الجمال والجلال الإلهي، ومقتضى العوالم الصاعدة والنازلة، أي أن الإنصاف المناسب لهوية عالم الآخرة يتطلب الإحاطة بجوامع العلم كلها.

ولذا لم يوصف جبرائيل بلحاظ ذلك العالم بأنه أمر وناه، ولم يوصف إسرافيل ولا عزرائيل ولا آدم ولا إبراهيم ولا موسى ولا عيسى، فغاية ما وصفوا به هو أمرية وناهوية الدنيا، وأما أمرية وناهوية الآخرة فمدارها وشرطها علم جمع الجمع.

وبذلك يثبت أن التدبير الكلي للعوالم بعد النبي ﷺ والوصي عليه السلام ثابت لفاطمة عليها السلام.

فاطمة عليها السلام لسان الميزان والحسنان عليها السلام الكفتان:

وثمة رواية ذات مفاد عجيب رواها في المحتضر وكشف الغمة عن أمير المؤمنين عليه السلام

أنه قال:

(دخلت يوماً منزلي فإذا رسول الله صلى الله عليه وآله جالس والحسن عن يمينه والحسين عن يساره وفاطمة بين يديه وهو يقول:

يا حسن يا حسين! أنتما كفتا الميزان وفاطمة لسانه ولا يعتدل الكفتان إلا باللسان، ولا يقوم اللسان إلا بالكفتين.

أنتما الإمامان ولأُمَّكما الشفاعة.

ثم التفت إليّ فقال: يا أبا الحسن! أنت توفي المؤمنين أجورهم وتقسم الجنة بين أهلها^(١).

ورواه من العامة بألفاظه الشيخ عبد الرحمن بن عبد السلام بن عثمان الصفوري الشافعي مؤرخ أديب من أهل مكة^(٢).

ومعلوم أن تعادل كفتي الميزان مرهون بلسان الميزان، فوصف فاطمة عليها السلام بلسان الميزان في قبال وصف الحسين عليه السلام بكفتيه يفيد أن نهج الحسين عليه السلام وهدايتها ونورها وعلمها وسننها لا تفهم بنحو متوازن إلا بهيمنة علم فاطمة عليها السلام وهيمنة تربيتها وهدايتها وسننها ونورها.

وذيل الرواية هو (أنتما الإمامان ولأُمَّكما الشفاعة) ومفاد هذا التقابل الذي يذكره

(١) المحتضر، بن سليمان الحلي / ١٨٠.

(٢) نزهة المجالس ومنتخب النفائس (المطبعة الكاستلية - مصر)، عبد الرحمن بن عبد السلام الصفوري ١٧٦/٢ (المتوفى سنة:

٨٩٤هـ الموافق ١٤٨٩م).

النبي ﷺ هو أن للحسينين عليهما خصوصية في الأمور الإجرائية في عالم الدنيا لكونهما إمامين، ولأمهما فاطمة عليها فوقهما خصوصية تحديد الحساب النهائي وتقدير المعدل النهائي، فهي بالقياس لهما ذات مقام مهيمن، إذ معنى الشافعة هي من بيدها تعيين النتيجة النهائية.

وصلاحيتهما عليهما في تحديد النتيجة النهائية بما لها مقام الشفاعة دليل مستقل على هيمنتها في كل الفضائل على أولادها عليهما، بل يصلح هذا الدليل لإثبات هيمنتها المطلقة وفي كل عوالم الولاية عليهم باعتبار أنها الغاية والنهاية.

الدليل الخامس: كونها بحر علم النبوة:

ومن أدلة هيمنتها ومثبتات أم مقاماتها ما طرحناه في مقالة مستقلة تحت قوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾^(١) فوصفها القرآن بالبحر.

بينما وصف أولادها عليهما بقوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهَا الْوُكُورُ وَالْمَرْجَانُ﴾^(٢) أي أن الحسينين عليهما ثمرة من ثمرات بحر علي عليه و بحر فاطمة عليها.

ولم يعبر عن الأئمة عليهما بالبحر أو البحار وإن كانوا بحورا بالنسبة لمن دونهم.

وخصوصية هذا الدليل:

أولاً: أصله قرآني وكيس بيان حديثي فحسب.

وثانياً: الحديث رواه رواة الفريقين.

(١) سورة الرَّحْمَن: الآية ١٩.

(٢) سورة الرَّحْمَن: الآية ٢٢.

وهذا المقام بنفسه يستحق أن يدون فيه موسوعة كاملة لأنه بوابة وباب عظيم في مقامات علي وفاطمة عليهما السلام.

وها هنا نكتة تفسيرية بينها الإمام الصادق عليه السلام برهان عقلي، وقد فصلناه في مباحث التفسير.

وهي أن ما يذكره القرآن من جبال وأوتاد وبحر ولؤلؤ ومرجان وسحاب ومطر وشمس وقمر وظل وسماء وما هو من هذا القبيل، لا يريد بها الموجودات الأرضية فحسب، وإنما المراد من هذه العناوين جبال الملكوت ومطر الملكوت وعالم الأرواح وأرض الأنوار وأرض العوالم الأخرى، والبحر في الآية ليس هو البحر المعهود، وإنما هو بحر العلم. وعليه فعلي وفاطمة عليهما السلام ليسا بحرا وبحراً على كوكب الأرض.

وإذا رجعنا إلى تسلسل الآيات في ذكر الآلاء الرحمانية يتبين المراد من عنوان البحر حيث يقول: ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ... مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ... يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ... سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ... فَإِذَا انشَقَّتْ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ﴾^(١).

فأول شيء ذكره تعليم القرآن وهو أعظم نعمة من النعم وأعظم من نعمة الإنسان نفسه، ثم ذكر خلقة الإنسان أي أصل الخلقة وطبيعة خلقة الإنسان والأفراد الكمل منه، ثم ذكر تعليمه البيان، ثم أردف الكلام حول البحرين، وبعده ذلك ذكر الجنة والنار.

(١) سورة الرحمن / ١ و ٢ و ٣ و ٤ و ٥ و ٦ و ٧ و ٨ و ٩ و ١٠ و ١١ و ١٢ و ١٣ و ١٤ و ١٥ و ١٦ و ١٧ و ١٨ و ١٩ و ٢٠ و ٢١ و ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ و ٣١ و ٣٢ و ٣٣ و ٣٤ و ٣٥ و ٣٦ و ٣٧ و ٣٨.

فَأَيُّ بَحْرٍ هَذَا الَّذِي هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ؟!!

من المقطوع به أن الآلاء التي تفوق وتهيمن على الجنة والنار ليست هي الآلاء بعناوينها المادية وإنما بعناوينها الملكوتية.

وعلى هذا الأساس فالمراد من البحر كوصف لفاطمة عليها السلام والبحر كوصف لعلي عليه السلام والبرزخ المهيم العادل الناظم بين البحرين كوصف لرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واللؤلؤ والمرجان كوصف للحسن والحسين عليهما السلام تصوير الفارق في المراتب بينهم بحسب التسمية والتوصيف.

فكم فرق بين البحرين والبرزخ الناظم بينهما، وكم فرق وفاصل بين البحر ونتاجات البحر وهما الحسنان عليهما السلام فضلا عن بقية الأئمة التسعة عليهم السلام فضلا عن بقية الأنبياء والرسل^(١).

(١) ويشبه هذا التوصيف توصيف علي بالتاج على عليه السلام رأس الزهراء عليها السلام وتوصيف الحسن والحسين بالقرطين في أذنيها، وهو ما رواه في المحتضر في فضائل الصديقة عليها السلام وروي عن رسول الله أنه قال: لما خلق الله - تعالى - آدم وحوًا تبخترا في الجنة . فقال آدم لحواء: ما خلق الله خلقاً أحسن منا . فأوحى الله - عزَّ وجلَّ - إلى جبرئيل: اتنني بعبدي التي في جنة الفردوس الأعلى . فلما دخلا الفردوس نظرا إلى جارية على درنوك من درانيك الجنة ، على رأسها تاج من نور، وفي أذنيها قرطان من نور، وقد أشرفت الجنان من حسن وجهها . فقال آدم: حبيبي جبرئيل! من هذه الجارية التي قد أشرفت الجنان من حسن وجهها ؟

فقال: هذه فاطمة بنت محمد نبي من ولدك يكون في آخر الزمان .

قال: فما هذا التاج الذي على رأسها ؟ قال: بعلها علي بن أبي طالب .

قال: فما القرطان اللذان في أذنيها ؟ قال: ولداها الحسن والحسين .

قال: حبيبي جبرئيل ! أخلقوا قبلي ؟ قال: هم موجودون في غامض علم الله - تعالى - قبل أن تخلق بأربعة آلاف سنة . المحتضر،

الحسن بن سليمان الحلي / ٢٣٢ .

ومن حقنا أن نتساءل لم يريد القرآن أن يعطينا صورة منابع الغيب في علي وفاطمة، بينما يصور شأن البقية كثمار ونتائج؟

ولم هذا الافحام والتفخيم من القرآن لمقام علي وفاطمة عليهما السلام تحت هيمنة سيد الأنبياء صلوات الله عليهم وفوق مستوى مقامات بقية الأئمة عليهم السلام؟

أليس هذا هو أفضل بيان وترجمان لهيمنة علي وفاطمة عليهما السلام على الأئمة الأحاد عشر عليهم السلام.

ولا يظن أحد أن الهيمنة تعني التفوق في درجة، فليس الأمر بهذه البساطة والسهولة. ويمكن تصوير الفاصلة في المراتب بما ذكر في بعض الروايات عن سيد الأنبياء صلوات الله عليهم في المقارنة بين عوالم الحلقة والفاصل بين عالم وعالم، مبينا أن السماء الأولى عند السماء الثانية كالقطرة في المحيط اللامتناهي وكحلقة في فلاة قي^(١).

ومعنى (قي) هو انتهاء الصوت في الصحراء المفتوحة اللامتناهي، أي بعد ابتعاد الصوت تحدث النغمة شبيهة بـ (قيسي)، فلا يفهم منها شيء، و(قي) اسم فعل يعني لا متناهي.

وعليه إذا كان حال السماء الأولى عند السماء الثانية هكذا فما هي النسبة في التصاعد في السماء السادسة والسابعة، وما هي النسبة عند عوالم ما فوق السابعة.

وهذا هو تصوير مقام الحسين عليه السلام في الكلمات العلمية وفي كل شيء من الفضائل

(١) الكافي، الشيخ الكليني ١/١٥٣.

بالقياس إلى مقام علي وفاطمة عليهما السلام، فهما وبقية الأئمة عليهم السلام عند أمهما كحلقة في فلاة قي .

وقد بينا سابقاً أن الفاصل بين علي وفاطمة وبقية الأئمة عليهم السلام ليس على حد الفاصل في الرتب بين الأئمة عليهم السلام، فكما أن الفاصل كبير جدا بين سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة عليهما السلام فكذلك الفاصل كبير جدا بين علي وفاطمة عليهما السلام وباقية الأئمة عليهم السلام.

وترجم الإمام الصادق عليه السلام ذلك في بعض الروايات البيانية فكان إذا ذكر اسم النبي ذكره باجلال واعظام حتى يكاد يسجد كما في روايات العقيقة في الكافي، فقد روى الكليني بسنده عن أبي هارون مولى آل جعدة قال: كنت جليسا لأبي عبد الله عليه السلام بالمدينة ففقدني أياما ثم إني جئت إليه فقال لي: لم أرك منذ أيام يا أبا هارون، فقلت: ولدي غلام، فقال: بارك الله فيه فما سميته؟ قلت: سميته محمدا قال: فأقبل بخده نحو الأرض وهو يقول: (محمد محمد محمد حتى كاد يلصق خده بالأرض ثم قال: بنفسي وبولدي وبأهلي وبأبوي وبأهل الأرض كلهم جميعا الفداء لرسول الله صلى الله عليه وآله.. الحديث).

وهكذا حاله في الخضوع والإجلال إذا ذكر اسم فاطمة عليها السلام بحضرة.

وهذا أدب حقيقي لترجمان الفاصلة والفرق في الرتب.

وهنا يأتي هذا السؤال:

لم أختار القرآن التعددية في توصيف علي وفاطمة عليهما السلام فعبّر عن علي عليه السلام أنه بحر وعبر عن فاطمة عليها السلام أنها بحر؟

أي أن فيض رسول الله صلى الله عليه وآله ينشعب إلى بحر علي وبحر فاطمة عليهما السلام، فما هو المعنى

والمغزى من ذلك؟

إن لذلك دلالات عديدة وهي كالتالي:

أولاً: بيان الكفوئية، وقد مرّ بيانه تفصيلاً.

ثانياً: يفسر التعددية وصايا النبي صلى الله عليه وآله لعلّي عليها السلام بالالتزام بوصايا فاطمة عليها السلام وإن كان لعلّي عليها السلام تقدم في الرتبة كما بينا.

علي وفاطمة عليهما السلام رافدان للمعرفة الكاملة بالنبي صلى الله عليه وآله:

ومؤدى ذلك هو أن الطريق لمعرفة رسول الله صلى الله عليه وآله تتوقف على التعرف عليه بعلي عليه السلام والتعرف عليه بفاطمة عليها السلام، فالتعرف عليه بفاطمة فقط غير ممكن كما أن التعرف عليه بعلي فقط غير ممكن، فهما بابان لمعرفة النبي صلى الله عليه وآله فمن رام أن يفهم سنة النبي صلى الله عليه وآله بالخوض في بحر علي عليه السلام فحسب لم يعرف النبي صلى الله عليه وآله معرفة كاملة، ومن رام أن يفهم سنة النبي صلى الله عليه وآله بالخوض في بحر فاطمة عليها السلام فحسب لم يعرفه معرفة كاملة، بل المعرفة الكاملة بسنة النبي صلى الله عليه وآله ونهجه وصراطه ودينه يكون بالخوض والسباحة والسياحة الفكرية السلوكية في بحر علي عليه السلام وفي بحر فاطمة عليها السلام.

ولا نطرح هذه الإطروحة على سبيل المجاملات أو لمجرد التفنن الأدبي، بل هو بيان لحقائق واقعية ومراتب تكوينية على ضوء أدلة قطعية مبدئية.

ولو تساءل البعض لأي مغزى يكون لفاطمة عليها السلام دور وأثر بوجود علي عليه السلام؟

لأجبتنا إن إيكال الدور لها ليس لمجرد التقاسم الإعتباري أو المعونة والمساعدة

الجسدية أو عدالة إرث مادي، وإنما هو تقاسم على ضوء الواقع التكويني الرتبي، فلما كانا بحرين على نحو التعادل والكفويّة لزم فيهما تقاسم الأدوار والمسؤوليات والوظائف لإقامة دين الله.

ومن أهم النتائج المترتبة على هذا البحث ضرورة أن يصطبغ الفقه الجعفري بمنهج ومنهاج فاطمة عليها السلام وإلا لن يكون على الموازين.

أي أن الأثر الفقهي لما نحن فيه هو لابدية أن يسير الفقه الجعفري وسنن أهل البيت عليهم السلام على قاعدة التوازن بين نهج علي عليه السلام ونهج فاطمة عليها السلام لرسم خريطة للظهور على الموازين الإلهية، فلو غيب نهج فاطمة عليها السلام فلن يكون ثمة صراط هداية سوي .

وعلى هذا الأساس فالصورة المتزنة والمتظمة والعادلة عن النبي صلى الله عليه وآله والنبوة لها رافدان أساسيان، أولهما بحر علي عليه السلام وثانيهما بحر فاطمة عليها السلام.

والمحصلة أن الأدلة والشواهد والمنبئات المزبورة تؤكد جانب شراكة ومشاركة فاطمة عليها السلام لعلي عليه السلام في إقامة أمر الدين مع التحفظ على خصوصية تقدم أمير المؤمنين عليه السلام، فيثبت بالجنبة الأولى أن الفاصلة بين فاطمة وعلي عليهما السلام ليست مطابقة للفاصلة بين علي عليه السلام والحسين عليهما السلام، كما يثبت مقام أم مقاماتها ومقامها العظيم الأعظم وهو هيمنة كمالاتها عليها السلام على كافة الأصعدة على كمالاتها عليها السلام.

منهاج فاطمة عليها السلام محكم على منهاج الأئمة عليهم السلام:

ومن النتائج الخطيرة لهذا المقام أنه لا يمكن الاحتجاج بمنهج أيّ إمام من الأئمة

الأحد عشر عليه السلام في أي باب فقهي من دون الاعتماد والارتكاز على منهج ونهج فاطمة عليها السلام،
فمع كونهم نورا واحدا إلا أنه لا يمكن رسم نهج أهل البيت عليهم السلام بلون نهج إمام واحد.

فلو قال قائل: أليس كل إمام هو الكل في الكل؟

لقلنا ذلك صحيح لكن الكلام هاهنا في فهم عقولنا لنهج الإمام الواحد.

وبعبارة أصرح:

إن كلامنا في قدرتنا على استيعاب نهج أهل البيت عليهم السلام المتكامل كمنظومة من خلال
ما ينطبع لدينا من فهم سيرة ونهج إمام واحد.

وبعبارة ثالثة:

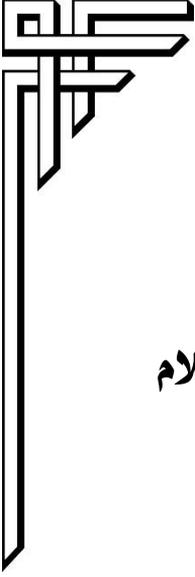
إذا أردنا أن نحتج بما ورد عن المعصوم الواحد فلا بد من جمع كل كلماته، أي أن مغزى
ومرام أي واحد من الائمة عليهم السلام لا يمكن فهمه من رواية أو روايتين .

وإن قيل: أوليس الإمام المعصوم عليه السلام هو معصوم في الرواية الواحدة؟

فجوابه إن فهمنا للمعصوم ب كله لا يكون من خلال الاعتماد على كلام واحد، فلا
نقص من ناحية المعصوم لكن النقص في رؤيتنا، إذ ليس في قدرتنا وقابليتنا أن نرسم رؤية
متكاملة عن المعصوم من كلام واحد.

وهذا نظير ما دأب عليه الفقهاء والأصوليون والمتكلمون من القول أن العام والخاص
ليس بحجة إلا بعد الفحص، وذلك لأن الدين منظومة واحدة فبرغم أن كل آية من القرآن
حق إلا أن قابلية البشر لا تتسع لهضم المنظومة من حقيقة واحدة .

ونظير هذا نقوله في العلاقة بين نهج فاطمة عليها السلام ومنهاج الأئمة عليهم السلام من أولادها، فإن ما يفهم من نهجها وخطبتها وفعالها وسننها محكم على سنن وكلمات ومناهج من بعدها من الأئمة، فلا تنضبط الرؤية لمنهج أي معصوم إلا بالمرجعة لنهج فاطمة عليها السلام.



المقالة الواحدة والعشرون: خطب الزهراء عليها السلام

* عدد خطب الزهراء عليها السلام

* تعدد خطبها تعبير عن مداومة مقاومتها

* الخطبة الثانية: بيان مقام ولايتها على رجال الأمة والمهاجرين والأنصار

* الخطبة الثالثة: مسؤوليتها عليها السلام حفظ الرسالة وكفالة المؤمنين

* الخطبة الرابعة: علي وفاطمة ركنا الولاية وأخاتيم وعدي ركنا الظلم

عدد خطب الزهراء عليها السلام:

من الملفت للنظر لمن أخذ بشيء من السبر والتتبع أن خطبها عليها السلام لم تقتصر على اثنتين كما هو معروف ومشهور، بل هناك خطبتان أخريتان فيكون المجموع أربع خطب لها عليها السلام، ولعل المتتبع يجد أكثر من ذلك.

قال الشيخ الحر العاملي أن فاطمة عليها السلام خطبت مرارا...

وروى فيه: أن فاطمة عليها السلام ادعت ثلاثة أشياء: الميراث والنحلة وسهم ذوي القربى وأن

أبا بكر لم يقبل شيئاً منها بل منعها وأن فاطمة خطبت في ذلك مرة بعد أخرى، وأنشدت شعراً وظهرت من التظلم والشكاية والتأذي والغضب على من غصبها وعلى من ساعده وعلى من خذلها ولم ينصرها شيئاً كثيراً بليغاً لم أنقله خوفاً من الاطالة، وجميع تلك الروايات من طرق السنة لا من طرق الشيعة^(١).

والخطبة الثالثة هي التي رواها ابن شهر آشوب عند عيادة خصوص أم مسلمة لفاطمة عليها السلام.

كما أن هناك خطبة رابعة رواها الشيخ الطوسي في الأمالي وهي عند زيارة عائشة بنت طلحة لفاطمة عليها السلام.

والملاحظ في هذه الخطب الأربع أنها ذات اتجاه وهدف ونبرة واحدة وهي مواجهة أصحاب السقيفة والانحراف الذي حصل في الخلافة، وغصبها والاستيلاء عليها ولكن من زوايا مختلفة ولكن المحاور الأساسية واحدة.

تعدد خطبها تعبير عن مداومة مقاومتها:

وتعدد خطبها مؤشراً على استمرار نهج معارضتها المعلن بنحو صارخ في قبال أصحاب السقيفة وقبال تحاذل المهاجرين والأنصار، فلم تهدأ مجلجلة الخطاب في الإدانة للمتواطئين من جهة واستفزاز وعتاب للمتخاذلين من جهة أخرى.

وأكدت عليها السلام في خطبها على التوحيد والنبوة والقرآن وأصل دين الإسلام والمعاد، أي

(١) إثبات الهداة، الحر العاملي ٢ / ٣٥٨ حديث ١٦٠.

الثواب لبني الإسلام لئن لا تهدم وتزلزل وتزال كما ارادوا صنع ذلك بالامامة والولاية.

فكان ذلك منها درءا من التحريف وقطعا لأطماعهم عن المزيد من الإحداث في الدين، ومن ثم حاججت أبا بكر بالكتاب والسنة فعي عن جوابها ولم يكن له مجال للتذرع الا برضا الصحابة بما صنعوا.

ومن ثم عاتبهم عليه السلام على نبذ الكتاب ونبذ سنة النبي صلى الله عليه وآله وعهده وظلمهم للعترة وتواردتهم على آل الرسول عليه السلام وأنذرتهم عن الردة عن ذلك.

الخطبة الثانية: بيان مقام ولايتها على رجال الأمة والمهاجرين والأنصار

المحاسب والحاكم على المهاجرين والأنصار على أكبر مسؤولية وهي اقضاء
امير المؤمنين عليه السلام عن الخلافة:

روى في الاحتجاج، قال سويد بن غفلة: لما مرضت فاطمة عليها السلام المرضة التي توفيت فيها
دخلت عليها نساء المهاجرين والأنصار يعدنها، فقلن لها: كيف أصبحت من علتك يا بنت
رسول الله؟

فحمدت الله، وصلت على أبيها، ثم قالت: أصبحت والله: عائفة لديناكن، قالية
لرجالكن، لفظتهم بعد أن عجتهم، وسئمتهم بعد أن سبرتهم، فقبحا لفلول الحد، واللعب
بعد الجد، وقرع الصفات وصدع القناة، وختل الآراء، وزلل الأهواء، وبئس ما قدمت لهم
أنفسهم: أن سخط الله عليهم، وفي العذاب هم خالدون.

لا جرم لقد قلدتهم ربقتهم وحملتهم اوقتها وشننت عليهم غاراتها فجعدعا، وعقرا
وبعدا للقوم الظالمين^(١).

وفي نسخة أخرى: عن عبد الله بن الحسن، عن أمه فاطمة بنت الحسين عليها السلام قال: لما

(١) الاحتجاج، الشيخ الطبرسي: ١/١٤٦، ١٤٩، المطالب المهمة في تاريخ النبي والزهاء والأئمة ٢٠، أعيان النساء عبر
العصور المختلفة ٤٤٢ وللوقوف على مزيد من المصادر راجع الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء ١٣ / ٤٠٥.

اشتدت علة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله اجتمع عندها نساء المهاجرين والأنصار فقلن لها: يا بنت رسول الله كيف أصبحت من علتك؟

فقلت: أصبحت والله عائفة لديناكم قالية لرجالكم، لفظتهم قبل أن عجمتهم، وشنأتهم بعد أن سبرتهم، فقبحا لفلول الحد وخور القناة، وخطل الرأي، وبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون، لا جرم لقد قلدتهم ربقتها وشننت عليهم عارها فجدعا وعقرا وسحقا للقوم الظالمين^(١).

وفي هذه الخطبة الشريفة برمتها قد جعلت فاطمة عليها السلام محور كلامها حول ولاية أهل البيت عليهم السلام في الخلافة، وتقريع رجال المهاجرين والأنصار حول مهادنة أصحاب السقيفة وانقيادهم وبيعتهم لهم.

ثم إن الخطبة على مقاطع:

المقطع الأول: بينت الزهراء عليها السلام ولايتها من موقع الأمر والنهي للمهاجرين والأنصار ورجال الأمة.

فكل كلماتها عليها السلام كانت من موقع هيمنة ولايتها على المهاجرين والأنصار فضلا عن بقية رجال الأمة وهو يطابق ما أقر به أبو بكر على ما نقله ابن أبي الحديد بعد خطبتها في مسجد النبي صلى الله عليه وآله.

وهذا مطابق لفحوى خطبتها في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله من موقع المحاكم والمحاسب للمهاجرين والأنصار ولرجال الأمة في أمر الخلافة والبيعة، والمهاجرين والأنصار كلهم

(١) معاني الأخبار، الشيخ الصدوق ٣٥٤، ٣٥٥.

وبما فيهم أصحاب السقيفة كلهم أذن صاغية لا ينسون بنت شفة بل لم يعترضوا عليها حتى أبي بكر بأنها تدخلت في أعظم شأن في الأمة.

بل كانت أجوبة أبي بكر لفاطمة عليها السلام كجواب الرعية لمحاسبة الوالي يبرر ويعذر ما قام به في السقيفة مع اعتراف منه بموقع الولاية والحجية لفاطمة عليها السلام.

فقال لها: (وأنت سيدة أمة أبيك)، فسوددها على الأمة رجالا ونساء أي ولايتها عليهم.

كما وصفها أنها (عين الحجية) إلى بقية الأوصاف التي كلها إقرار منه لولاية فاطمة عليها السلام.
وقولها عليها السلام: (أصبحت والله عاتفة لديناكم) من الواضح أن المراد من دنياكم أي الإدارة لشؤونكم، وهذه الإعافة إعافة الرئيس عن موقع مديريته، لأن إسناد الدنيا إليهم يدل على كون حديثها عن إسناد الدنيا إليهم كمجموع، فيكون المراد هو حياتهم الاجتماعية والسياسية جميعا.

كما أن قولها عليها السلام: (قالية لرجالكم) يدل على أن لها شأنًا من الهيمنة على رجال المهاجرين والأنصار بمجموعهم، فالقلاء لمجموع الرجال في مقابل عنايتها لهم، وإنما هو شأن الولي على الرعية.

ويشهد لهذا المفاد قولها عليها السلام: (لفظتهم قبل أن عجتهم، وشنأتهم بعد أن سبرتهم)، فيدل هذا على أنها تمتحن الرجال من المهاجرين والأنصار فضلا عن بقية الرجال وأنها في مقام الممتحن لنخبة الأمة، وأنها أبعدتهم وطردهم عن شأنية جدارة القيام بالمسؤولية المصيرية للدين والأمة كنخبة في الأمة.

ثم أنها عليها السلام أدانتهم بقولها عليها السلام (فقبحا لفلول الحد، واللعب بعد الحد، وقرع الصفات
وصدع القناة، وختل الآراء، وزلل الأهواء) لخذلانهم أمير المؤمنين عليه السلام والإخلاق إلى
الخفض والدعة والغدر الذي خامر قلوبهم وإسراعهم للباطل واغضاضهم عن الفعل
الهالك الملك للأمة ونكصوا بعد الإقدام وأشركوا بعد الإيثار، كما أشارت إلى ذلك في
خطبتها في مسجد النبي وارتابوا بعد البيان ومال بهم الهوى وما أقدموا عليه يوجب الخلود
في العذاب.

وقولها عليها السلام (لقد قلدتهم ربقتها) فهو مداينة للمهاجرين والأنصار بإثم الانحراف في
الخلافة والإحداث والتبديل في الزعامة عما أمر الله تعالى وسن النبي صلى الله عليه وآله كما أنها داينت رجال
الأمة بفعلها وألزمهم عار هذا الانحراف.

وهذا واضح أنها تبين مقام ولايتها ومسؤوليتها على المهاجرين والأنصار ورجال
الأمة في الأمر المصيري لمسير الدين والأمة.

المقطع الثاني: قد تصدت فاطمة عليها السلام إلى بيان إمامة علي عليه السلام وحقه في الخلافة ودلائل
نصب الله ورسوله له وليا وزعيما للأمة.

وبيّنت عظمة الكمالات والسعادة التي تصل إليها الأمة من تولي أمير المؤمنين عليه السلام زمام
الخلافة.

وأشارت عليها السلام إلى أن تخليهم عن أمير المؤمنين عليه السلام هو الخسران المبين، وأن دواعيهم من
الإنحراف عنه هو تبرؤهم من الإستقامة، وأن انحرافهم عن أمير المؤمنين عليه السلام تبرما وخوفا
من قوة حزمه ورعب سطوته في ذات الله والصرامة في حدود الله مع زهده في الدنيا وتعففه

عن نهب الثروات، ونصحه لما هو صالح للدين والأمة.

فقلت ﷺ: «ويحهم أنى زعزعوها عن رواسي الرسالة، وقواعد النبوة والدلالة، ومهبط الروح الأمين، والطيبين بأموال الدنيا والدين؟! ألا ذلك هو الخسران المين! وما الذي نقموا من أبي الحسن ﷺ؟! نقموا والله منه نكير سيفه، وقلة مبالاته لحتفه، وشدة وطأته، ونكال وقعته، وتنمره في ذات الله»^(١).

وأن توليهم لأبي بكر من الأعاجيب والمهازل وأنه لبئس البدل، وأنهم تكالبوا على الغدر بأهل البيت وأقدموا على التآمر عليهم، فقلت ﷺ: «ليت شعري إلى أي إسناد استندوا؟! وإلى أي عماد اعتمدوا؟! وبأية عروة تمسكوا؟! وعلى أية ذرية أقدموا واحتنكوا لبئس المولى ولبئس العشير، وبئس للظالمين بدلا».

المقطع الثالث: ذكرت ﷺ النتائج المدمرة لمصير الأمة من غضب الخلافة بتوسط مشروع السقيفة والهول الذي ينتظر الأمة نتاج ذلك، وما سينجم عن ذلك من وصول أشرار الأمة إلى السلطة وطمعهم فيها وسفك الدماء وهتك الأعراض واستمرار سلسلة الحكومات الظالمة الجائرة المستبدة على رقاب الأمة عبر القرون حتى يفرج الله بأهل البيت ﷺ.

المقطع الرابع: تكفلت ﷺ ببيان وحدة ولاية أهل البيت ﷺ وأنهم لا يقومون بالأمر بإلجاء الأمة وجبرها لأن الامتحان اختياري وليس جبريا بمنطق القرآن في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(٢)، وذلك باستشهادها بقوله تعالى: ﴿أَنْزَلْنَا مُكْمُوها

(١) الاحتجاج، الشيخ الطبرسي ١ / ١٤٦، ١٤٩.

(٢) سورة الرعد: الآية ١١.

وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴿١﴾.

فهنا جمعت بين شأن ولايتها وولاية أمير المؤمنين عليه السلام وولاية أهل البيت عليهم السلام.

والملفت في الخطبة أنها ابتدأت من موقع ولايتها والمسؤوليات التي اضطلعت بها اتجاه الدين والأمة والمهاجرين والأنصار ثم ثنت بولاية وإمامة أمير المؤمنين عليه السلام، ثم ذكرت ثالثاً فادحة استيلاء أبي بكر على الخلافة وتمايل المهاجرين والأنصار إلى ذلك، ثم العواقب الوخيمة الناتجة من ذلك على مستقبل الدين والأمة، وأن أهل البيت عليهم السلام وولايتهم كولاية الله ورسوله ليست بالإلحاح والإكراه والجبر التكويني للأمة، بل قائمة على امتحان الأمة بالاستجابة لذلك.

وفي جملة من المصادر أن النساء أعادت قولها عليها السلام على رجالهن فجاء إليها قوم من المهاجرين والأنصار معتذرين وقالوا: «يا سيدة النساء، لو كان أبو الحسن ذكر لنا هذا لأمر قبل أن يبرم العهد، ويحكم العقد، لما عدلنا عنه إلى غيره، فقالت عليها السلام: إليكم عني فلا عذر بعد تعذيركم، ولا أمر بعد تقصيركم»^(١).

(١) سورة هود: الآية ٢٨.

(٢) الاحتجاج، الشيخ الطبرسي ١ / ١٤٩.

الخطبة الثالثة: مسؤوليتها عليها السلام حفظ الرسالة وكفالة المؤمنين

قال ابن شهر آشوب في ذكر عيادة أم سلمة:

ودخلت أم سلمة على فاطمة عليها السلام فقالت لها: كيف أصبحت عن ليلتك يا بنت رسول الله؟ قالت أصبحت بين كمد وكرب فقد النبي صلى الله عليه وآله وظلم الوصي هتك والله حجبه أصبحت إمامته مقتصة على غير ما شرع الله في التنزل وسنها النبي في التأويل ولكنها أحقاد بدرية وترات أحذية كانت عليها قلوب النفاق مكتمة لإمكان الوشاة، فلما استهدف الأمر أرسلت علينا شآبيب الآثار من مخيلة الشقاق.

فيقطع وتر الإيمان من قسي صدورها وليس علي ما وعد الله من حفظ الرسالة وكفالة المؤمنين أحرزوا عائلتهم غرور الدنيا بعد انتصار ممن فتك بأبائهم في مواطن الكروب ومنازل الشهادات^(١).

وفي مطلعها تبين عليها السلام هدفين مهمين تركز عليهما وتعباً الأمة اتجاههما من خلال ثورتها في البكاء وزلزال جزعها ومعالم حركتها بنحو دائم:

الأول: خسارة فقد النبي صلى الله عليه وآله لتنشد الأمة بالذكرى الحية للرسول صلى الله عليه وآله ويظل ماثلاً أمام عقولهم وأرواحهم ومنشدة إليه قلوبهم لتتبع سنته ويؤخذ بهديه فلا تنحرف الأمة بالمستولين على الخلافة من بعده.

(١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ٤٩ / ٢.

الثاني: بناء الوعي والمعرفة في عقل وروح الأمة بإمامة الوصي عليه السلام واستحقاقه الخلافة، وأن سعادة ونجاة الأمة دنيا وآخرة به.

ثم بيّنت أنه قد هتك حجاب الوحي بتجرئهم على غضب الخلافة والتطاول عليه وزحزحته عن مقامه، وأن الأمة لم تتبع شرع الله ولا سنة النبي صلى الله عليه وآله في إمامته، وأن سبب انحراف الغاصبين للخلافة ومن يقف ورائهم ويساندهم امتلاؤهم بالأحقاد والعداوات نتيجة ما كبدوا من ضربات واستئصال في بدر وأحد فشا قوا أهل البيت عليهم السلام في ولايتهم ومقامهم.

وأما قولها عليها السلام: (فليس عليّ) فالظاهر أن المراد هو ليس علي ضير أو خسران بعدما وعد الله من حفظ الرسالة وكفالة المؤمنين.

وفي هذا إشارة إلى مقام ولايتها وأن المسؤولية الملقاة على عاتقها هي حفظ الرسالة وكفالة المؤمنين فهي الحافظة للرسالة والكافلة للمؤمنين.

لفظة (عليّ) أي المسؤولية عليّ، والتقدير وإن كان الضير والضرر والبأس هو حفظ الرسالة إلا أن المتعلق المرتبط بشأنها من نفي الضرر والضير أو البأس هو حفظ الرسالة وكفالة المؤمنين، مما يدل على أن عمدة اهتماماتها هي حفظ الرسالة وهو الذي مرّ بيان المحورين في صدر كلامها (فقد النبي وحزن الوصي) وهذا هو حفظ الرسالة، ثم أضافت إلى ذلك كفالة المؤمنين، والكافل للمؤمنين ليس إلا مسؤولية الوالي، فهذا يبين مقامها وولايتها بجانب ولاية أمير المؤمنين عليه السلام ومسؤوليته.

وتبين عليها السلام سبب عدم خوفها من المآل والعواقب أنه تعالى بالغ أمره وسيظهر الدين ولو

كره الكافرون والمشركون، وأن غاية ما قام به الغاصبون في السقيفة ومن ورائهم إنما هو غرور متاع قليل للدنيا، وهذا لا يضر بما أنجزه أمير المؤمنين عليه السلام من الانتصار بإقامة قواعد الرسالة وذلك عبر تطهير البلاد والعباد من فراعنة قريش وطغاة العرب وطغام الناس، فهذا الصرح المشيد قائم لا يتزلزل بغضب الخلافة من أصحاب السقيفة مؤقتا.

الخطبة الرابعة: علي وفاطمة ركني الولاية

وأخا تيم وعدي ركني الظلم

إنه وجد في كتاب لأبي غانم المعلم الأعرج، وكان مسكنه بباب الشعير، وجد بخطه على ظهر كتاب له حين مات: وهو أن عائشة بنت طلحة دخلت على فاطمة عليها السلام فرأتها باكية، فقالت لها: بأبي أنت وأمي، ما الذي يبكيك؟

فقالت لها عليها السلام: أسألتني عن هنة حلق بها الطائر، وحفي بها السائر، ورفع إلى السماء أثرا، ورزئت في الأرض خبرا، أن قحيف تيم وأحيوك عدي جاريا أبا الحسن في السباق، حتى إذا تقربا بالخناق، أسرا له الشنان، وطويه الإعلان، فلما خبا نور الدين، وقبض النبي الأمين، نطقا بفورهما، ونفثا بسورهما، وأدلا بفدك، فيا لها لمن ملك، تلك أنها عطية الرب الأعلى للنبي الأوفى، ولقد نحلنيها للصبية السواغب من نجله ونسلي، وأنها ليعلم الله وشهادة أمينه، فإن انتزعا مني البلغة، ومنعاني اللمظة، واحتسبتها يوم الحشر زلفة، وليجدنها آكلوها ساعرة حميم، في لظى جحيم^(١).

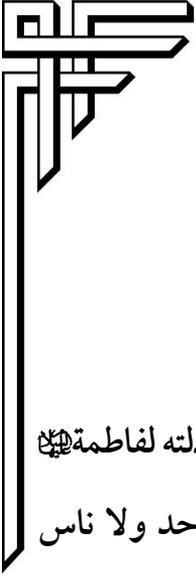
وفي الخطبة جهرت عليها السلام بالإدانة لأبي بكر وعمر وأنها كان يحيطان هذه الفتنة من زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وأنها غضباها فذك.

ففي الخطبة ترسيم لكونها مركز الفتنة وأنها المحور للظلم الذي وقع على أمير

(١) الأملاني، الشيخ الطوسي: ٢٠٤، ٢٠٥.

المؤمنين عليهم السلام وعليها كما أنها بينت بأن مشروع السقيفة استهدف كلا من علي وفاطمة عليهما السلام بنحو سواء، مما يدل ويثبت بوضوح أن كيان الولاية قائم بعلي وفاطمة عليهما السلام في الدرجة الأولى.

وهذا مما يشير إلى تكافئهما وتشاطرهما المسؤولية وأن ما قام به الخصوم خطر عظيم وفيه مطاولة لعظمة علو الله تعالى، وهو مما يبين أن ولاية علي وفاطمة بتلك المكانة من تجلي شأن عظمة الله.



المقالة الثانية والعشرون: إقرار أبو بكر لفاطمة عليها السلام

* ذكره لشؤون مقاماتها إرادة منه لدفع ما قد يعترض عليه في مجادلته لفاطمة عليها السلام فأراد اظهار صورة للمهاجرين والأنصار أنه غير ناكر ولا جاحد ولا ناس لشأن من شؤونها ولا لمقام من مقاماتها وأنه رغم ذلك يتعذر في شرعية ما يدعيه إلى الرواية التي يزعم روايتها عن النبي صلى الله عليه وآله: (ما تركناه صدقه).

* أي شرعية وموضوعية للخليفة المنصب بالشورى إذا دافع ضرورة الكتاب والسنة!

* فصول المحاجة لهذا الموضع قدرة عظيمة من فاطمة عليها السلام لكشف زيغ أهل السقيفة وزيغ وانقلاب الصحابة على اعقابهم.

* شرح المقامات

قال أبو بكر: يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أنت عين الحجة^(١)، ومنطق الرسالة،..^(٢).

(١) دلائل الامامة للطبري / ٣٠، علل الشرائع: / ٢٤ شطرا منها، اعيان النساء عبر العصور المختلفة / ٤٢٩.

(٢) بحار الانوار، المجلسي ٢٩ / ٢٣٩.

وفي بلاغات النساء فأجابها أبو بكر عبد الله بن عثمان وقال: «فأنتم عترة رسول الله الطيبون، الخيرة المتجربون، على الخير أدلتنا، وإلى الجنة مسالكنا»، وأنت يا خيرة النساء، وابنة خير الأنبياء، صادقة في قولك، سابقة في وفور عقلك، غير مردودة عن حقك، ولا مصدودة عن صدقك، والله ما عدوت رأي رسول الله، ولا عملت إلا بإذنه».

«وأنت وأنت سيدة أمة أبيك، والشجرة الطيبة لبنيك، لا ندفع مالك من فضلك، ولا يوضع في فرعك وأصلك، حكمك نافذ فيما ملكت يداي».

فقال أبو بكر: صدق الله ورسوله، وصدقت ابنته، أنت معدن الحكمة وموطن الهدى والرحمة، وركن الدين، وعين الحجّة»^(١).

وفي شرح النهج: لما كلمت فاطمة عليها السلام أبا بكر بما كلمته به حمد أبو بكر الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال: يا خيرة النساء، وابنة خير الاباء...»^(٢).

وقد يطرح تساؤل هل هذه الأوصاف التي هي مقامات خطيرة في الدين وصف بها أبو بكر فاطمة عليها السلام كانت انشاء من عند نفسه أم هي اقرار ورواية بما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله في شأنها؟

الجواب:

ليبان حقيقة الحال وأنها رواية بما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وإقرار به نذكر النقاط

(١) بلاغات النساء ٢٦، انوار اليقين في امامة امير المؤمنين للحسني اليمني مخطوط ٢٧٦.

(٢) الاحتجاج، الطبرسي ١ / ١٤٤.

(٣) شرح ابن ابي الحديد، ابن ابي الحديد ١٦ / ٢١٣.

التالية:

أولاً: أن جوابه هذا كان في محضر ملاً المسلمين ولم يعترض عليه أحد بما قاله حتى أولئك المناوون لأهل البيت وفاطمة عليها السلام.

ثانياً: إن ما ذكره كان بمثابة اقرار منه بهذه الشؤون والمقامات لفاطمة عليها السلام أمام ملاً المسلمين أيضاً.

ثالثاً: أن أبا بكر كان في مقام منازعة ومجادلة لفاطمة عليها السلام لا سيما وأن هذا النزاع لم يقف على فذك وأنها احتجاج الطرفين على أصل الخلافة وحق أهل البيت عليهم السلام فيها.

فمع هذا الحال يكون الاقرار منه بهذه الشؤون لفاطمة عليها السلام لا يخلو إما هي مقامات لم يسمعها المسلمون من قبل فيكون اقراره بها دحضاً لحجته امام حجة فاطمة عليها السلام، وكيف وهو يريد أن لا يسقط أمام المهاجرين والأنصار عن الشرعية .

فهذا الاحتمال لا يمكن تعقله ولا امكانية له.

والاحتمال الآخر أن هذه الشؤون والمقامات حيث إنها كانت مسلمة عند المسلمين ثبوتها لفاطمة عليها السلام سمعا من رسول الله صلى الله عليه وآله وتنزيلا من الذكر الحكيم في شأنها بما بينه النبي صلى الله عليه وآله في ذلك أراد أبو بكر في محاججته أن يفهم ملاً المهاجرين والأنصار أنه غير منكر لشؤون ومقامات فاطمة عليها السلام، وأن رغم هذه الشؤون والمقامات هو يستند في ما يزعمه من شرعية موقفه إلى حديث رواه عن النبي صلى الله عليه وآله في شأن فذك.

فذكره لشؤون مقاماتها إرادة منه لدفع ما قد يعترض عليه في مجادلته لفاطمة عليها السلام أنها

حيث كانت ذات هذه الشؤون والمقامات فكيف ينازعها هذا الأمر، فأراد اظهار صورة للمهاجرين والأنصار أنه غير ناكر ولا جاحد ولا ناس لشأن من شؤونها ولا لمقام من مقاماتها وأنه رغم ذلك يتعذر في شرعية ما يدعيه إلى الرواية التي يزعم روايتها عن النبي صلى الله عليه وآله: (ما تركناه صدقه)، (نحن معاشر الأنبياء لا نورث ذهباً ولا فضة ولا داراً ولا عقاراً وإنما نورث الكتاب والحكمة والعلم والنبوة وما كان لنا من طعمة فلولي الأمر بعدنا أن يحكم فيه بحكمه).

رابعاً: لا يخفى أن فيما روي عن محاجة فاطمة عليها السلام لأبي بكر أنها قطعت الطريق عليه في كل ذرائعه بالآيات وضرورات الدين، فلم يركن بعد ذلك أبو بكر لأي احتجاج إلا بأن هؤلاء المسلمون نحكمهم في النزاع بيني وبينك بأنهم نصبوه خليفة وبأنهم اتفقوا على أخذ فذك والخلافة من أهل البيت، حيث قال: (ولكن المسلمون بيني وبينك، هم قلدوني ما تقلدت، وأتوني ما أخذت وتركت)^(١).

(هؤلاء المسلمون بيني وبينك، قلدوني ما تقلدت، وباتفاق منهم أخذت ما أخذت غير مكابر ولا مستبد، ولا مستأثر، وهم بذلك شهود)^(٢).

وهذا الكلام مرة أخرى منه اعتراف وتسليم منه بشؤون ومقامات فاطمة عليها السلام وأنه لا يريد أن يكابرها، ففاطمة عليها السلام ليست ممن يكابر، أي ممن ينقاد إليها ويسلم إليها.

ولا يصح منازعتها الأمر وإنما يستند في شرعية ذلك إلى اتفاق المسلمين وأنه خليفة.

(١) دلائل الامامة، محمد بن جرير الطبري الشيعي ١٢٤.

(٢) الاحتجاج، الطبرسي ١ / ١٤٤.

خامسا: لا يخفى أن أبا بكر بعد ما افحم بالحجج وانقطع به الاحتجاج واستند إلى اتفاق المسلمين على تقلده خليفة وعلى أن يأخذوا الأمر من أهل البيت عليهم السلام وفدك دليل عيه عن منطق الجواب وعجزه عن الاستناد إلى أي شرعية من الكتاب والسنة، بل الكتاب والسنة بما بينت فاطمة عليها السلام داخضا لما ارتكب.

وأي شرعية في اتفاق الأمة المناقض لكتاب الله وسنة نبيه.

وأي شرعية وموضوعية للخليفة المنصب بالشورى إذا دافع ضرورة الكتاب والسنة، فوصول المحاجة لهذا الموضوع قدرة عظيمة من فاطمة عليها السلام لكشف زيغ أهل السقيفة وزيف وانقلاب الصحابة على اعقابهم كما اخبر بذلك القرآن بعد موت رسول الله صلى الله عليه وآله.

ومن ثم ادارت خطابها عليها السلام بعد ذلك إلى المسلمين بعتابهم وتقريرتهم وإدانتهم على الباطل الذي يرتكبونه والشر الذي يقيمونه واغتصاب الحق الذي يقدمون عليه.

سادسا: ولا يخفى أن هذه المحاجة بينها وبين أبي بكر قد نقلت في مصادر كثيرة وعديدة مع اختلاف في اختصار المتن وتوسطه أو نقله مبسوطا، وعلى أي تقدير ففي جملة من المصادر الكثيرة التي نقلت هذه المحاجة قد اعترف وروى أبو بكر هذه المقامات المتعددة موزعة في ثلاثة مواطن.

سابعا: لا يخفى أن جملة من المصادر منها شرح ابن أبي الحديد وغيره وقد اشرنا إلى غيره من المصادر قد نقلوا أن المهاجرين والأنصار هاجوا بعد هذه الخطبة والمحاجة وخاف أبو بكر انقلاب الأمر عليه فصعد المنبر وشمتم أمير المؤمنين عليه السلام وعرض بالزهراء عليها السلام أنها من النساء قد دفعها إلى ذلك زوجها أمير المؤمنين بقوله: (كلا بل هو ثعالة شهيد ذنبه

لعنه الله، وقد لعنه الله، مرب لكل فتنة، يقول: كروها جذعة، ابتغاء الفتنة من بعد ما هرمت،
كأم طحال أحب أهلها الغوى... يستعينون بالصبية، ويستنهضون النساء^(١).

وهذا المشهد يظهر أن أبا بكر قد فقد توازنه في الخطاب وعجز عن تغطية نواياه
الأصلية في ما قام به من الإستيلاء على الخلافة.

وهذا يناقض ما أقرّ به من شؤون من مقامات فاطمة عليها السلام، ومن ثم اعترضت عليه أم
سلمة فأطلعت رأسها من بابها وقالت: أمثل فاطمة بنت رسول الله يقال هذا، وهي الحوراء
بين الإنس، والإنس للنفس، ربيت في حجور الأنبياء، وتداولتها أيدي الملائكة، ونمت في
حجور الطاهرات، ونشأت خير منشأ، وربيت خير مربى.

أتزعمون أن رسول الله حرم عليها ميراثه ولم يعلمها؟! وقد قال الله له: (وأندر
عشيرتك الأقربين)؟ أفأندرها وجاءت تطلبه وهي خيرة النسوان، وأم سادة الشبان،
وعديلة مريم ابنة عمران، وحليلة ليث الأقران، تمت بأبيها رسالات ربه، فوالله لقد كان
يشفق عليها من الحر والقر، فيوسدها يمينه، ويلحفها بشاله، ويودا فرسول الله بمرأى
لغيركم، وعلى الله تردون، فواها لكم وسوف تعلمون^(٢).

قال: فحرمت أم سلمة تلك السنة عطاءها، ورجعت فاطمة عليها السلام إلى منزلها فتشكت.

وفي مصدر آخر قالت أم سلمة حيث سمعت ما جرى لفاطمة عليها السلام: أمثل فاطمة بنت رسول

(١) دلائل الامامة، الطبري (الشيوعي) ١٢٤.

(٢) دلائل الامامة، محمد بن جرير الطبري (الشيوعي) ١٢٤.

اللهُ يُقال هذا القول، هي والله الحوراء بين الإنس، والنفس للنفس...^(١).

فبدأت أم سلمة تذكر بقية شؤون ومقامات فاطمة عليها السلام دحضا لأبي بكر عندما انقلب على وعن ما أقرّ به من شؤون ومقاماتها.

والملفت أنها تقسم بالله أن هذه مقامات وشؤون لفاطمة عليها السلام وهذا القسم كما هو واضح تأكيد لبداية هذه الشؤون سمعا من رسول الله صلّى الله عليه وآله بل وبحسب تنزيل القرآن على ما ذكره من فضائلها.

ويستفاد من كلامها روايتها لجملة أخرى من مقامات وشؤون فاطمة عليها السلام.

سابعاً: لا يخفى أن أسلوب اعتراف ابو بكر بهذه الأوصاف التي تمثل شؤون ومقامات فاطمة عليها السلام ذكرها أمام ملاء المهاجرين والأنصار بنمط أنه أمر مفروغ منه متسالم عليه واضح بديهية من المسلمين .

وهذا هو أيضا شاهد آخر أن هذه الأوصاف هي حقائق دينية متلقاة من النبي صلّى الله عليه وآله والأحاديث القدسية وموارد تنزيل القرآن العظيم.

ثامناً: لا يخفى أن جملة هذه المقامات المذكورة في كلام أبي بكر وكلام أم سلمة سيتبين أنها مدلول جملة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المستفيضة وإن اختلف اللفظ إلا أن المعنى متحد.

تاسعاً: لا يخفى أن ما سنيينه من دلائل في شرح هذه الأوصاف والعناوين والقوالب

(١) الدر النظيم، يوسف بن حاتم الشامي المشغري العمالي ٤٨٠.

من شؤونها ومقاماتها عليها السلام بمقتضى محكمات الآيات والمستفيض من الروايات ليس بمعنى أن هذه المعاني والحقائق الشائخة اختلجت وخطرت على ذهن أبي بكر بما لها من خطورة بل لا نحتمل ذلك لأن هذه القوالب والعناوين فوق أن يمكنه تصور حقائقها فضلاً عن أن ينشأ ألفاظها وقوالبها.

بل من البديهي أن هذه العناوين والقوالب كلها من مصطلحات الوحي الالهي، وليس لها أثر ولا عين في لغة العرب ولا في الكلمات المنثورة في الأدب أو شعر الشعراء في الجاهلية.

وهذا هو أحد البراهين أن هذه الأوصاف من مسموعات الوحي وإن ذكره وقراره بها في ملأ المهاجرين والأنصار كشيء متسالم بمثابة اجماع الأمة على رواية هذه المقامات لها عليها السلام عن النبي صلى الله عليه وآله والوحي الإلهي.

شرح المقامات

١- عين الحجّة:

(إنها منبع الحجية في الدين وهيمنتها على كل الحجج)

ولا يخفى أن هذا العنوان والقالب ليس يحمل تقرير الحجية الدينية الاصطفائية لفاطمة عليها السلام بل هذا العنوان والقالب يحمل في مفاده ومقتضاه:

أولاً: أنها عليها السلام مصدر ومبدأ تفرّع الحجج في الدين، فهي بمثابة الحجّة المهيمنة على بقية حجج الدين.

ثانياً: يحمل هذا القالب معنى آخر وهو إرادة الحجّة الواقعية التي لا تقبل الخطأ بل عين الصواب وهذا مقتضاه العصمة الكبرى.

وكلا المعنيين مما اشارت إليه الآيات والروايات كما بيناه في مقالات هذا الجزء والجزئين السابقين من مقامات فاطمة عليها السلام.

وواضح من مجموع هذه القوالب التي ستأتي في شؤونها ومقاماتها عليها السلام أنها مهيمنة في المقامات بعد الله ورسوله ككفؤ مشاطر لعلي أمير المؤمنين عليه السلام وإن كان التقدم لأمر المؤمنين عليهم السلام، كما تعرضنا له في مقالة كفتيتها لعلي عليه السلام.

وروى في تفسير فرات الكوفي في ذيل سورة الاحقاف حديث قدسي عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن الله تعالى في شأن تزويج علي من فاطمة عليها السلام: «أني أجمعها على محبتي وأجعلها

معدنين لحجتي إلى يوم القيامة»^(١).

٢ - منطق الرسالة:

وهذا المقام قريب من الحديث القدسي الوارد في تبليغ سورة براءة (التوبة) الذي رواه الفريقان: « لا يبلغ عنك إلا أنت أو رجل منك»^(٢).

وقد ورد في الحديث النبوي «فاطمة بضعة مني»^(٣).

فالناطق الإلهي عن الرسالة صلاحية الهية عظيمة ولا سيما عن سيد الرسل عليه السلام، وعلي وفاطمة والائمة من ذريتهم عليهم السلام لا ينطقون عن بدن النبي عليه السلام فحسب بل يتلقون عن روحه وقلبه ونوره الشريف.

٣ - سيدة أمتنا ابينا:

وهذا الوصف والعنوان والمقام من الواضح فيه عدم اختصاص سؤدها لكونها قمة اصطفاوية على النساء المصطفيات الكاملات فضلا عن سائر النساء بل يفيد سؤدها على رجالات الأمة أيضا.

وهذا هو الذي بينه القرآن الكريم من ولايتها على جميع الأمة، بل قد بينا جملة من

(١) تفسيرات فرات الكوفي، فرات بن ابراهيم الكوفي ٤١٤.

(٢) معاني الأخبار، الشيخ الصدوق ٢٩٨

(٣) الأمالي، الشيخ الصدوق ١٦٥، روضة الواعظين، الفتال النيسابوري ١٥٠، كتاب سليم بن قيس، سليم بن قيس الهلالي الكوفي ٣٩١،

دلائل الامامة، الطبري (الشيعة) ١٣٥، مسند احمد، الامام احمد بن حنبل ٥ / ٤، صحيح البخاري ٤ / ٢١٠، سنن الترمذي ٥ / ٢٥٩

، السنن الكبرى، البيهقي ٧ / ٣٠٧، فضائل الصحابة، النسائي ٧٨.

دلالات الآيات وإشاراتها على ولايتها على بقية الأنبياء والمرسلين عليهم السلام بل بينا في هذا الجزء والجزئين السابقين هيمنة ولايتها على الحسين والتسعة من ولد الحسين عليه السلام.

٤ - الشجرة الطيبة لبنيك:

وهذا الوصف ورد مستفيضا في الروايات، فقد روى في تفسير مجمع البيان عن ابن عباس قال: قال جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وآله: أنت الشجرة وعلي غصنها، وفاطمة ورقها، والحسن والحسين ثمارها^(١).

وروى ابن عقدة عن أبي جعفر عليه السلام أن الشجرة رسول الله صلى الله عليه وآله، وفرعها علي عليه السلام، وعنصر الشجرة فاطمة عليها السلام، وثمرتها أولادها، وأغصانها وأوراقها شيعتنا^(٢).

وروى في مناقب أمير المؤمنين عن رسول الله صلى الله عليه وآله: (قال لي ربي ليلة أسري بي: من خلفت علي أمتك يا محمد؟ فقلت: أنت يا رب أعلم).

فقال: يا محمد (إني) انتجتك لرسالتك واصطفيتك لنفسي فأنت نبي وخير خلقي ثم الصديق الأكبر الذي خلقتك من طينتك وجعلته وزيرك (وهو) أبو سبطيك الشهيد سيدي شباب أهل الجنة وزوجته خير نساء العالمين أنت شجرتها وعلي أغصانها وفاطمة ورقها والحسن والحسين ثمارها^(٣).

(١) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي ٦ / ٧٤.

(٢) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي ٦ / ٧٤.

(٣) مناقب أمير المؤمنين، محمد بن سليمان الكوفي ١ / ٤٧٩.

وفي إحدى زيارات أمير المؤمنين عليه السلام: «السَّلَامُ عَلَى شَجَرَةِ طُوبَى»^(١).

وهو إشارة إلى الاصطفاء، وأن بركة المقام الاصطفائي لها عليها السلام تفرّج اصطفاء ذريتها وبنيتها.

وهو أيضا يعطي مقام الهيمنة لها على الحسين والتسعة من ذرية الحسين عليهم السلام.

وهذا الوصف ورد نظيره في رسول الله صلى الله عليه وآله بالقياس لعترته الطاهرة عليها السلام فعن الحسن بن محبوب عن أبي جعفر الأحول عن سلام بن المستنير عن أبي جعفر عليه عليه السلام قال سألته عن قول الله «مثل كلمة طيبة الآية».

قال الشجرة رسول الله صلى الله عليه وآله أصلها نسبه ثابت في بني هاشم وفرع الشجرة علي بن أبي طالب عليه السلام وغصن الشجرة فاطمة عليها السلام وثمرتها الأئمة من ولد علي وفاطمة عليهما السلام وشيعتهم ورقها»^(٢).

٥ - حكمك نافذ:

والمجيء في كلامه بعنوان ومادة الحكم والحاكمة باسناد ذلك إليها ثم جعل مقام حاكميتها فوق المقام الذي يتقلده هو بزعمه كخليفة وبزعم من بايعه من المسلمين نطق واقرار عظيم بهيمنة ولايتها عليها السلام على مقاليد الدين والامة، وأن لها الولاية على من يتقلد الخلافة على المسلمين.

(١) المزار، محمد بن جعفر المشهدي ٢١٧.

(٢) تفسير القمي، علي بن ابراهيم القمي ١ / ٣٦٩.

٦- أنت معدن الحكمة:

وهذا القالب والعنوان يقارب ما مرّ بنا من عنوان (عين الحجّة) إلا أن اللفظ هاهنا اسندت إلى الحكمة .

وهذا يبيّن مدى تسالم هذا المقام لهاﷺ عند المهاجرين والأنصار وجلال ما تقوم به وعظم كل خطوة تخطوها في شؤون الدين والأمة.

ولا يخفى أن الحكمة يلحظ فيها جانب التدبير والإدارة للشؤون العامة بخلاف مقام (عين الحجّة) فهو في جانب التنظير والتشريع وتبينه وإن كان يشمل أيضا جانب التنفيذ.

٧- موطن الهدى والرحمة:

وهذا فيه إشارة إلى الارتباط الوحياني لهاﷺ وراثته للوحي النبوي بغض النظر عن التفات أبي بكر لذلك أم غفلته، فإن هذا القالب والعنوان يعني في بيانات الوحي هذا المقام.

فإن الموطن يعني محل وموضع نزول الهدى كما استعمل ذلك في مستفيض الروايات والزيارات، كما أن اسناد الموطن للرحمة هو الآخر يشير إلى أنها أمان للأمة والبشرية.

فقد ورد الحديث النبوي وصف العترة بذلك: «إن أهل بيتي الهداة بعدي أعطاهم الله فهمي وعلمي وخلقوا من طيبي فويل للمنكرين حقهم من بعدي القاطعين فيهم صلتى لا أنالهم الله شفاعتي»^(١).

(١) بصائر الدرجات، الصفار ٦٩.

وعنه عليه السلام: «النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لامتي»^(١).

٨- ركن الدين:

وهذا التعبير هو الآخر عنوان وقالب يفيد أن مقامها وشؤونها ركن الدين الأوحد بعد الله ورسوله، وأنها عليها السلام ولية الأمر بعد الله ورسوله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام.
والمهم الالتفات إليه أن وصفها (ركن الدين) يغير التعبير أنها من أركان الدين، بل توحيد الوصف يفيد المحورية المركزية والهيمنة، ثم إضافة هذا الركن للدين دون الشرعية يفيد أن هذا المقام ومقاماتها من أصول العقيدة التي هي المساحة الأصلية في الدين بخلاف الشريعة التي هي في تفاصيل الفروع وهو أعظم من ركن الملة، لأن الدين أعظم من الملة والشريعة والحكمة والطريقة بل يشمل كل ذلك والحقيقة.

٩- الخيرة المنتجبون:

وهذا العنوان والقالب هو الآخر اصطلاح وحياني توقيتي توقيفي من الوحي دال على الاصطفاء بل على الدرجات العليا منه .

١٠- على الخير أدلتنا

دليل الأمة على الخير:

وهذا العنوان هو الآخر دال على ما قرناه في الجزء الثاني من مقاماتها من أنها عليها السلام لها سائر مقامات الإمامة من الولاية والهداية الإيصالية وغيرها والوراثة الإصطفائية لمقام النبي صلى الله عليه وآله عدا بعض الشؤون المرتبطة بمباشرة الحرب ونحوها مما يتطلب المباشرة في السلطة التنفيذية.

(١) عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق ٢ / ٣٠.

١١- وإلى الجنة مسالكتنا

مسالك الأمة للجنة:

وهذا العنوان مطابق لما ورد في الأحاديث النبوية في وصف العترة الطاهرة أنهم السبيل إلى الله كما ورد في دعاء الندبة: «فكانوا هم السبيل إليك، والمسلك إلى رضوانك»^(١).

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾^(٢).

وبأنهم الصراط المستقيم، وهذا المقام يشير إلى امتداد مقاماتهم إلى ما وراء عالم الدنيا من العوالم الآتية ونشأة القيامة والآخرة الأبدية وأنه لا تنحصر ولاية العترة عليهم بدار الدنيا بل ما سيأتي أعظم وأعظم.

١٢- خيرة النساء:

وهذا مطابق لعنوان (سيدة المؤمنين) ففي وصول الأخيار قال: وروى في الجمع بين الصحاح أن رسول الله قال بطريق آخر (ألا ترضين ان تكوني سيدة المؤمنين)^(٣).

ومطابق كذلك لعنوان (سيدة نساء العالمين)^(٤) الوارد عند الفريقين.

وعن عماد الدين الطبرسي في أسرار الإمامة عن جابر بن عبد الله الانصاري قال

(١) المزار، محمد بن جعفر المشهدي ٥٧٦.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٥٧.

(٣) وصول الأخيار الى اصول الاخبار، والد البهائي العاملي ٧١، ٧٢ / الأمالي، الشيخ الصدوق ٦٩٢.

(٤) مسند ابي داود وفي الجزء الرابع من صحيح مسلم / تفسير العسكري المنسوب الى الامام العسكري ٤٣٣، ٤٣٤ / حلية

الابرار، السيد هاشم البحراني ١ / ١٩٠ / الهداية الكبرى، الخصبي ٤١٧، ٤١٩ / شرح الاخبار، القاضي النعمان

المغربي ٣ / ٢٣، ٢٤ / الأمالي، الشيخ المفيد ٢٨١، ٢٨٣ / الاختصاص، الشيخ المفيد ٣٧.

رسول الله صلى الله عليه وآله: (يا فاطمة أنت سيدة نساء امتي وسيدة نساء أمم النبيين قبلي) ^(١).

١٣ - بنت خير الانبياء (خير الآباء):

وهذا المقام لأعظم وراثه اصطفاوية فاخرت به فاطمة عليها السلام أغلب المقامات لأمر المؤمنين عليهم السلام في حديث المفاخرة، فقد روي أنه جاء في الخبر أن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام كان ذات يوم هو وزوجته فاطمة عليها السلام يأكلان تمرا في الصحراء، إذا تداعبا بينهما بالكلام فقال علي عليه السلام يا فاطمة إن النبي صلى الله عليه وآله يحبني أكثر منك.

فقلت واعجبا منك يحبك أكثر مني وأنا ثمرة فؤاده وعضو من أعضائه وغصن من أغصانه وليس له ولد غيري.

فقال لها علي عليه السلام يا فاطمة إن لم تصدقيني فأمضي بنا إلى أبيك محمد صلى الله عليه وآله.

قال فمضينا إلى حضرته صلى الله عليه وآله فتقدمت وقالت: يا رسول الله صلى الله عليه وآله أينما أحب إليك أنا أم

علي عليه السلام؟

قال النبي صلى الله عليه وآله أنت أحب إلي وعلي أعز علي منك .

فعندها قال سيدنا ومولانا الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام ألم أقل لك أنا ولد فاطمة ذات

التقى .

قالت فاطمة: وأنا ابنة خديجة الكبرى، قال علي: وأنا ابن الصفا، قالت فاطمة: أنا ابنة

سدرة المنتهى، قال علي: وأنا فخر الوري، قالت فاطمة: وأنا ابنة (مَنْ) دني فتدلى وكان من

(١) أسرار الامامة، عماد الدين الحسن بن علي الطبرسي، ٤٦٦، ٤٦٧.

ربه قاب قوسين أو أدنى، قال علي: وأنا ولد المحصنات، قالت فاطمة: أنا بنت الصالحات
 والمؤمنات، قال علي: خادمي جبرائيل، قالت فاطمة: وأنا خاطبني في السماء راحيل
 وخدمتني الملائكة جيلا بعد جيل، قال علي: وأنا ولدت في المحل البعيد المرتقى، قالت
 فاطمة: وأنا زوجت في الرفيع الاعلى وكان ملاكي في السماء، قال علي: أنا حامل اللواء،
 قالت فاطمة: وأنا ابنة من عرج به إلى السماء، قال علي: أنا ابن صالح المؤمنين، قالت فاطمة:
 وأنا ابنة خاتم النبيين، قال علي: وأنا الضارب على التنزيل، قالت فاطمة: وأنا صاحبة
 التأويل، قال علي: وأنا شجرة تخرج من طور سينين، قالت فاطمة: وأنا الشجرة التي نخرج
 اكلها أعني الحسن والحسين' قال علي: وأنا المثاني والقرآن الحكيم، قالت فاطمة: وأنا ابنة
 النبي' الكريم، قال علي: وأنا النبأ العظيم، قالت فاطمة: وأنا ابنة الصادق الأمين، قال علي:
 وأنا الحبل المتين، قالت فاطمة: وأنا ابنة خير الخلق أجمعين، قال علي: أنا لث الحروب، قالت
 فاطمة: أنا من يغفر الله به الذنوب، قال علي: وأنا المتصدق بالخاتم، قالت فاطمة: وأنا ابنة
 سيد العالم، قال علي: أنا سيد بني هاشم، قالت: أنه ابنة محمد المصطفى قال علي: أنا الامام
 المرتضى، قالت فاطمة: أنا ابنة سيد المرسلين، قال علي: أنا سيد الوصيين، قالت فاطمة: أنا
 ابنة النبي العربي، قال علي: وأنا الشجاع الكمي، قالت فاطمة: وأنا ابنة احمد النبي' قال علي:
 أنا المبطل الأروع، قالت فاطمة: أنا الشفيع المشفع، قال علي: أنا قسيم الجنة والنار، قالت
 فاطمة: أنا ابنة محمد المخترار، قال علي أنا قاتل الجان، قالت فاطمة: أنا ابنة رسول الملك
 الديان، قال علي: أنا خيرة الرحمن، قالت فاطمة: وأنا خيرة النسوان، قال علي: وأنا مكلم
 أصحاب الرقيم، قالت فاطمة: وأنا ابنة من ارسل رحمة للمؤمنين وبهم رؤوف رحيم، قال
 علي: وأنا الذي جعل الله نفسي نفس محمد' حيث يقول في كتابه العزيز وأنفسنا وأنفسكم،

قالت فاطمة: وانا الذي قال في وناؤنا وناؤكم وناؤنا وناؤكم، قال علي: انا علمت شيعتي القرآن، قالت فاطمة: وأنا يعتق الله من أحبني من النيران، قال: انا شيعتي من علمي يسطرون، قالت فاطمة: وانا من بحر علمي يغترفون، قال علي: انا الذي اشتق الله تعالى اسمي من اسمه فهو العلي وانا علي، قالت فاطمة: وانا كذلك فهو الفاطر وانا فاطمة، قال علي: انا حياة العارفين، قالت فاطمة: انا مسلك نجاة الراغبين، قال علي: وانا الحواميم، قالت فاطمة: وانا ابنة الطواسين، قال علي: وانا كنز الغنى، قالت فاطمة: وانا الكلمة الحسنی، قال علي: انا أبي تاب الله على آدم في خطيئته، قالت فاطمة: وانا بي قبل الله توبته، قال علي: انا كسفينة نوح من ركبها نجا، قالت فاطمة: وانا أشاركك في الدعوى، قال علي: انا طوفانه، قالت فاطمة: وانا سورته، قال علي: وانا النسيم المرسل لحفظه، قالت فاطمة: وانا مني انهار الماء واللبن والخمر والعسل في الجنان، قال علي: وانا الطور، قالت فاطمة: وانا الكتاب المسطور، قال علي: وانا الرق المنشور، قالت فاطمة: وانا البيت المعمور، قال علي: وانا السقف المرفوع، قالت فاطمة: وانا البحر المسجور، قال علي: انا علمي النبيين، قالت فاطمة: وانا ابنة سيد المرسلين من الأولين والآخرين، قال علي: انا البئر والقصر المشيد، قالت فاطمة: انا مني شبر وشبير، قال علي: وانا بعد الرسول خير البرية، قالت: انا البرة الزكية.

فعندها قال النبي صلى الله عليه وآله لا تكلمي عليا فإنه ذو البرهان، قالت فاطمة: انا ابنة من انزل عليه القرآن، قال علي: انا البطين الأصلع، قالت فاطمة: انا الكواكب الذي يلمع، قال النبي صلى الله عليه وآله فهو الشفاعة يوم القيامة، قالت فاطمة: وانا خاتون يوم القيامة.

فعند ذلك قالت فاطمة لرسول الله صلى الله عليه وآله لا تحام لابن عمك ودعني وإياه، قال يا علي

يا فاطمة انا من محمد عصبته ونخبته قالت فاطمة وانا لحمه ودمه، قال علي: انا الصحف،
قالت فاطمة: وانا الشرف، قال علي: وانا ولي (الزلفى)، قالت فاطمة: وانا الخمصاء
الحسنة، قال علي: وانا نور الورى، قالت فاطمة: وانا الزهراء.

فَعِنْدَهَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِفَاطِمَةَ يَا فَاطِمَةُ قَوْمِي وَقَبْلِي رَأْسُ ابْنِ عَمِّكَ فَهَذَا جَبْرَائِيلُ
وَمِيكَائِيلُ وَإِسْرَافِيلُ وَعِزْرَائِيلُ مَعَ أَرْبَعَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَحَامُونَ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَهَذَا أَخِي
رَاحِيلُ وَدَرْدَائِيلُ مَعَ أَرْبَعَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَنْظُرُونَ بِأَعْيُنِهِمْ، قَالَ فَقَامَتِ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ رَضِيَ
فَقَبِلَتْ رَأْسَ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ ﷺ وَقَالَتْ يَا أَبَا الْحَسَنِ بِحَقِّ رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ مَعْدَرَةٌ إِلَى اللَّهِ عِزُّ وَجَلُّ وَالْيَكُّ وَالْيُحْيُ وَالْيُحْيُ وَالْيُحْيُ وَالْيُحْيُ وَالْيُحْيُ وَالْيُحْيُ وَالْيُحْيُ وَالْيُحْيُ
وَعَلَيْهِمُ السَّلَامُ) (١).

١٤ - صدق الله ورسوله وصدقت ابنته:

فَجَعَلَ صَدَقَتَهَا تَالِي تَلْوِ صَدَقِ الرَّسُولِ ﷺ مِمَّا يَشِيرُ إِلَى هَيْمَنَةِ مَقَامِهَا عَلَى مَقَامِ حُجَّجِ
الدِّينِ وَوَلَايَاتِ الْعِتْرَةِ مِنْ وَلَدِهَا، أَيُّ بَعْدَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ
وَقَدْ تَسَلَّمَ عِنْدَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ أَنَّ صَدَقَتَهَا رَضِيَ فِي الدِّينِ يَأْتِي بَعْدَ صَدَقِ اللَّهِ وَصَدَقِ
رَسُولِهِ ﷺ.

١٥ - سابقته في وفور عقلك:

وهذا هو الآخر عنوان يدل على سبقها رَضِيَ على جميع الأمة في وفور العقل ومقتضاه

(١) الفضائل، شاذان بن جبرئيل القمي ابن شاذان ٨٠.

ولأتيها على الأمة.

١٦ - غير مردودة عن حقه:

وهذا اقرار منه على حجية قولها وفعلها واستحقاقها المقامات في الدين وفدك أحد الأمور التي طالبت عليها السلام بها وهي مثال وتطبيق لعموم الولاية غير مختص بخصوص تلك الأرض، لأنه يمثل تركيز على المنشأ والمستند لاستحقاقها تلك الأرض وهو غير خاص وهو عام يشمل ما مضى وما سيأتي.

١٧ - ما عدت رأي رسول الله:

وهذا العنوان هو الآخر كالسابق دال على عصمة استقامتها على سنة النبي صلى الله عليه وآله والوحيانية واقرار منه أن قولها فصل وحياني، وما ادعاه من الرواية الظنية لا يقاوم حجتها. وهذا ما انتهى إليه مصيره في نهاية محاججته مع الزهراء عليها السلام أنه انقطعت به الحجة من الكتاب والسنة فالتجأ إلى توافق المسلمين على ذلك وعلى تنصيبه خليفة.

ما ذكرته أم سلمة من مقامات وشؤون لفاطمة عليها السلام:

١- الحوراء بين الانس:

وهذا يغير ما ورد في بقية الأحاديث من كونها (حوراء انسية) إذ فيه إشارة إلى غلبة أحكام وصف الحوراء عليها على أحكام البشرية، وأن أم سلمة ونساء المسلمين قد شاهدوا ذلك منها بوضوح، فهي عليها السلام ملكوت أعلى في الأرض ونافذة وباب عظيم للملكوت الأعلى بين البشر.

إلا أن الله تعالى سرعان ما سلب البشر هذه النعمة لجحدهم وكفرهم بهذه النعمة العظيمة

فقبضها الله اليه بمدة وجيزة بعد رسول الله ﷺ.

٢ - النفس للنفس:

وصف أم سلمة وروايتها لهذا المقام في شأن فاطمة ؓ هو من أسرار مقامات عترة النبي ﷺ كالذي ورد في الزيارة الجامعة: (وأنفسكم في النفوس)^(١).

أي أن الفارق بين نفس فاطمة ؓ ونفوس البشر كالفصل والفارق بين النفس والبدن.

فكما أن النفس تتصرف في البدن تكويناً فنفس فاطمة ؓ لها هذا المقام بالإضافة إلى نفوس البشر، فهي روح الأرواح والنفس للنفوس قوام حياة النفوس بما هو مثابة النفس لها، كما أن قوام حياة البدن بالروح والنفس فهي ؓ ممد الحياة كفيض الهي على الأرواح.

وهذا مقام وولاية تكوينية لها ؓ، وقد شعرت أم سلمة بهذا المقام لفاطمة ؓ وجدانا وعيانا.

٣ - ربيت في حجور الأنبياء:

وهذه إشارة إلى شرائط الوراثة الإصطفائية كما أشرنا إلى ذلك في الجزء الثاني من مقاماتها.

ولاسيما وأن تلك التربية من أعظم مربي إلهي وهو سيد الأنبياء ﷺ وأن تربيته وحيانية مسددة.

(١) المزار، محمد بن جعفر المشهدي ٥٣٢.

٤ - تداولتها أيدي الملائكة:

وهذا المقام أحد بنود وأركان قوام العصمة، وقد أشير إليه في دعاء الندبة لكل من يصطفيه الله من الحجج من الأنبياء والرسل والأوصياء: «بعد أن شرطت عليهم الزهد في زخارف هذه الدنيا الدنية وزبرجها، فشرطوا لك ذلك، وعلمت منهم الوفاء به، فقبلتهم وقربتهم، وقدمت لهم الذكر العلي والثناء الجلي، وأهبطت عليهم ملائكتك، وكرمتهم بوحيك، ورفدتهم بعلمك وجعلتهم الذرايع إليك، والوسيلة إلى رضوانك»^(١).

وهذا مطابق لرواية عماد الدين الطبري في بشارة المصطفى عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول الله في حديث طويل: «إن الله قد وكل بفاطمة عليها السلام رعيلا من الملائكة، يحفظونها من بين يديها ومن خلفها وعن يمينها وعن يسارها، وهم معها في حياتها وعند قبرها بعد موتها، يكثرون الصلاة على أبيها وبعلمها وبينها»^(٢).

وهذه من خصائصها عليها السلام في العصمة من بين العترة نظير ما ورد عن الحسن المجتبي عليه السلام في وصفه لأبيه أمير المؤمنين عليه السلام يوم شهادته: فقام في مسجد الكوفة فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله.

ثم قال: أيها الناس إنه قد قبض في هذ الليلة رجل ما سبقه الأولون ولا يدركه الآخرون، إنه كان لصاحب راية رسول الله صلى الله عليه وآله، عن يمينه جبرئيل وعن يساره ميكائيل^(٣).

وورد في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام: «السَّلَامُ عَلَى مَنْ أَيْدَهُ اللهُ بِجِبْرَائِيلَ وَأَعَانَهُ

(١) المزار الكبير، محمد بن جعفر المشهد ٥٧٤.

(٢) مستدرک الوسائل، ميرزا حسين النوري الطبرسي ١٠ / ١٨٢، ١٨٣.

(٣) الكافي، الشيخ الكليني ١ / ٤٥٧.

بِمِكَائِيلَ»^(١).

ونظير ما ورد عن علي أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته القاصعة في وصف رسول الله: «ولقد قرن الله به عليه السلام من لدن أن كان فطيمًا أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره»^(٢).

وكما ورد كذلك في دعاء الندبة: «وحففته بجبرئيل وميكائيل والمسومين من ملائكتك»^(٣)، فهم محاطون بالملائكة.

٥ - ونمت في حجور الطاهرات:

وهذا وصف لشرط آخر من شرائط الوراثة الإصطفائية.

٦ - ونشأت خير منشأ:

وهذا القالب إشارة لشرط ثالث من الشرائط الإعدادية للوراثة الإصطفائية.

٧ - وربيت خير مربى:

يتبين عظمة هذا العنوان لفاطمة عليها السلام بما ورد عن علي أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته القاصعة: «ولقد قرن الله به عليه السلام من لدن أن كان فطيمًا أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره»^(٤).

(١) المزار، محمد بن جعفر المشهدي ٢١٧.

(٢) نهج البلاغة، خطب الإمام علي ١٥٨ / ٢.

(٣) المزار، محمد بن جعفر المشهدي ٥٧٥.

(٤) نهج البلاغة، خطب الإمام علي ١٥٨ / ٢.

إذا كان هذا شأن رسول الله صلى الله عليه وآله وعظمة مقامه فمقام فاطمة عليها السلام يتجلى بوضوح فكيف وهي تحت تربيته ورعايته.

٨ - أتزعمون أن رسول الله حرم عليها ميراثه ولم يعلمها؟! وقد قال الله له: (وأنذر عشيرتك الأقربين)، أفأنذرها وجاءت تطلبه:

ذكرت أم سلمة استدلالاً أمام المهاجرين والأنصار في الرد على المستولى الأول، وهو أن كل ما يمكن أن يبلغه الرسول صلى الله عليه وآله من علم الدين كله حوته فاطمة عليها السلام والدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(١).

والاستدلال منها بديع بملاحظة أنه حين نزول الآية لم تكن فاطمة عليها السلام موجودة، لأنها ولدت في السنة الخامسة للهجرة ولكن الآية لا تخصص بمورد النزول.

فإن أقرب الأقربين هي فاطمة عليها السلام، وإذا كان هناك أمر بالندارة فلا بد أن يبلغه لفاطمة عليها السلام، بل ورد في روايات مستفيضة عند الفريقين أن الرسول 'يخص الأقربين بندارة لا يشمل بها العامة ولذا ورد عنه: «بعثت إليكم بخاصة»^(٢)، أي بأمور خاصة لكم لا تشمل غيركم فهو يوصل إليهم ما لم يوصله إلى الناس.

ومن هنا تقول أم سلمة أن علم فاطمة عليها السلام لا يتطرق له جهل بأمور الدين، فإذا طالبت بفدك أو بغيره فلا يحق لأحد من الأمة أن يعارضها.

ومفاد ذلك الانذار لفاطمة عليها السلام تنصيب الولاية لها فلا اختصاص لعي باية ﴿وَأَنْذِرْ

(١) سورة الشعراء: الآية ٢١٤.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٣٢١، مسند أحمد ٢/١٦٥ ح ١٣٧٢، شاكر.

عَشِيرَتِكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿١﴾ وإن كان هو الركن الركين في ملف النذارة.

والمركز في أذهان المسلمين بشاهدة أم سلمة أن آية ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ جارية لفاطمة عليها السلام وليست خاصة بالأربعين الذين اجتمعوا في يوم الانذار.

والملاحظ أن الآية لم تعم كل بني هاشم وإنما قيدت القرابة بالأقربين، ومن أقرب من فاطمة عليها السلام التي لحمتها لحمه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

والآية من أدل الأدلة على تقدم أهل البيت عليهم السلام علما ومسؤولية، لأن الأمة تنذر بنذارة عامة عبر الرواة والنقل فإن آية ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ هي أمر للرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأن ينذر مباشرة بلا توسط واسطة.

ويدل الاستدلال هاهنا على هيمنتها عليها السلام على أولادها عليهم السلام فضلا عن سائر الأمة لأن وراثتها ابنائها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنما بتوسطها، وتقرر في محله أن وراثته الأقرب تمنع الأبعد ويتوسط في الإيصال إليه.

وقد اعترف المفسرون من الفريقين أن الوراثة الاضطفائية ثابتة بين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وفاطمة عليها السلام وهم لا يدرون أن هذه الوراثة أدل على الحق المادي لفاطمة عليها السلام.

وعنوان القربى موجود في القرآن وإن لم يكن بهذا القلب، فقد ورد بعنوان الأرحام في قوله تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(١). وأولى رحم هو رحم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأعظم رحم أمر الله بصلته رحمه.

وهذا اعتراف بعصمتها عليها السلام العلمية والعملية.

٩- وهي خيرة النسوان:

تقدّم شرح هذا المقام، وقد ورد هذا العنوان في روايات الفريقين.

فعن جابر بن يزيد الجعفي عن رجل من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام قال: دخل سلمان (الفارسي) على أمير المؤمنين عليه السلام... قال: ثم دخل الحسن والحسين عليهما السلام فقال: يا سلمان هذان شفا عرش رب العالمين وبهما تشرق الجنان، وأمهما خيرة النسوان^(١).

ويشير إلى بدهة هذه المقامات بين زوجات النبي صلى الله عليه وآله والمهاجرين والأنصار وبقية المسلمين.

١٠- وأم سادة الشبان:

وهذا مقام اصطفاي لها باعتبار أنها وعاء لسادة الأصفياء المصطفين عليهم السلام.

١١- وعديلة مريم ابنة عمران:

وهذا المقام قد استبان للمسلمين في شأنها ومكانتها عليها السلام إذ أن أم سلمة في صدد الاحتجاج على أبي بكر والاعتراض عليه أمام المسلمين بما هو متسالم عليه من شؤون فاطمة عليها السلام في الدين.

وفي هذا تصريح بعصمتها وطهارتها وحجيتها كما هو مفاد قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ

(١) مدينة المعاجز، السيد هاشم البحراني ٢ / ٣١، تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، السيد شرف الدين علي الحسيني

الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿١١﴾، وبيناه في الجزء الأول.

نعم المراد بوصف (عديلة مريم) ليس هو التساوي والمكافئة كيف وفاطمة عليها السلام سيدة مريم بنص أنها سيدة نساء أهل الجنة وأنها خير النسوان الذي رواه كل من أبي بكر وأم سلمه.

فالمراد من العدل هنا هو سنخ ونمط أصل الاصطفاء لا في درجة الاصطفاء والا فمقامات الاصطفاء لفاطمة عليها السلام في القرآن أعظم من سائر أنبياء أولي العزم عليهم السلام فكيف بمريم كما بيناه في الجزئين السابقين من مقاماتها.

١٢- وحليلة لثيث الأقران:

والظاهر أن أم سلمة تشير في هذا المقطع إلى سوابق أمير المؤمنين عليه السلام في اقامة الفتح للدين وتشيده، وإنما عليها السلام باعتبار ذلك قرينته في هذه المنقبة الموجبة لأحقيته بالولاية في الدين وعلى الأمة، وأن العترة عليهم السلام أحق راع يرعى الدين وأمته.

وأن المستولين على الخلافة لم يقوموا بذلك ولم يتم على يدهم الفتح والنصر للدين بل كانوا معروفين بالفرار في كل الحروب.

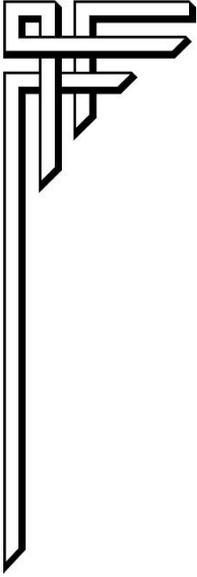
١٣ - تمت بأبيها رسالات ربه:

وهذا اشارة إلى أعظم وراثه اصطفائية لأن سيد الأنبياء عليه السلام سيد الوحي، فيشير إلى

اتصالها بوحى أبيها.

١٤ - فوالله لقد كان يشفق عليها من الحر والقر، فيوسدها يمينه، ويلحفها بشماله:

وهذا أيضا بيان لشرط رابع للورثة الاصطفائية ولقوام العصمة الذي مر بيانه في (ربيت في حجور الأنبياء، تداولتها أيدي الملائكة) فتدل على شدة رعاية النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ القصوى لفاطمة عليها السلام.



المقالة الثالثة والعشرون: سر شدة بكاء الزهراء

* الغاية الأولى: بيان فادح رحيل النبي ﷺ

* الغاية الثانية: بكائها معارضة سياسية

* الغاية الثالثة: بكائها بكاء معرفي

مما ثبت في تاريخ فاطمة عليها السلام بعد رحلة أبيها المصطفى عليه السلام شدة وغزارة بكائها وبوتيرة ملفتة وبنحو الاستمرار ليلا ونهارا حتى ضج رجال المدينة من ألوان بكائها، فما كان من أمير المؤمنين عليه السلام إلا أن بنى لها بيتا، وسمي بيت الأحران لتقضي فاطمة عليها السلام وطرها من البكاء فيه بعد شكوى المهاجرين وانزعاجهم منها.

وهاهنا تنبثق عدة أسئلة:

أولا: هل الرواية التي رواها صاحب بحار الأنوار حول بكائها وبناء بيت الأحران

على الموازين؟

ثانيا: هل كان بكؤها عليها السلام مسموعا لأهل المدينة؟

ثالثا: هل يجوز للمرأة أن تبكي بصوت مرتفع بحيث يسمعه الرجال؟

رابعاً: ما هدف الزهراء عليها السلام من البكاء ليلاً ونهاراً؟ هل لمكانة الرسول صلى الله عليه وآله وقرنها منه؟ أم لأمر أخرى أعمق من ذلك؟

الجواب يتضح في نقاط:

- (١) إن البكاء فعل ممدوح في القرآن بينما الفرح مذموم غالباً.
- (٢) إن صوت المرأة المنهي عن سماعه الرجال هو الذي أشار إليه القرآن في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾^(١)، فالتغنج والترقق في الصوت هو المحرم لكونه يثير الفتنة لدى الطرف الآخر.
- أما صوت البكاء والحزن والجزع فهو يكسر جمود وقساوة القلوب، ولذلك فإن التواريخ مجمعة على أن بكاءها عليها السلام كان يثير الحزن والغم والضجر والكمد لديهم لا الخفة والميول، فمن ثم ضجوا واعترضوا وتأذوا.
- (٣) إن في القرآن جملة من الشواهد على أن صوت المرأة مع الحشمة وجو العفاف ليس محلاً للنهي لاسيما مع تنويجه بهدف سامي مقدس نظير قوله تعالى: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾^(٢)، والخطاب بلحاظ اعتكافها في بيت المقدس.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ

(١) سورة الأحزاب: الآية ٣٢.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٤٣.

يُخْتَصِمُونَ ﴿١﴾، وهذا في البيت المقدس .

وقد وصفها القرآن بالطهارة والطهر مرتين وبالاصطفاء .

ومع أنه يضرب الله مريم مثلاً وقدوة كقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةً فِرْعَوْنَ ... وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِحْسَانٌ﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا تَرَيَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنَّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ * فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا * يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا * فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ (٣).

وغيرها من المهفات الإلهية التي قامت بها مريم ﷺ في محافل مواجهة للرجال لكن في أداء من الحشمة والعفاف .

وقوله تعالى في شأن ابنتي النبي شعيب (عليه السلام): ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ * فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ * فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا

(١) سورة آل عمران: الآية ٤٤ .

(٢) سورة التحريم: الآية ١٢ .

(٣) سورة مريم: الآية ٢٦-٢٩ .

فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ^(١)، وغيرها من الموارد التي استعرضها القرآن الكريم عن المصطفيات والصالحات.

(٤) إن هذا الفصل من تأريخها يدل على أن بكاءها لم يكن محض استنفار سياسي ومحض مظلومية، وإنما هو بكاء حقيقي صادر من أعماقها، ولذا لم تتوقف عنه حتى في خلواتها بعد أن بني لها ذلك البيت والمآتم الخاص، ومما يشهد على ذلك اقتران بكائها بالجوع والعطش والعزوف حتى عن الحاجات الطبيعية، وهو ديدن الثاكل حقيقة.

هذا ولا ننكر أن يكون لبكائها فائدة سياسية وهي إبراز ظلامتها، لكنه غاية تبعية، فلو لم تظلم أو يغضب حقها لما نقص من بكائها وألمها وحرقتها درجة.

(٥) إن بكاءها يحمل أبعادا وغايات هامة وسنة فاطمية عظيمة، ومن تلك الغايات:

الغاية الأولى: بيان فادح رحيل النبي صلى الله عليه وآله:

بيان أهمية وعظمة النبي صلى الله عليه وآله وضرورة التعلق بشخصيته، وبالتالي التأسّي والافتداء به والاستنان بستته.

وهذا لا يحصل إلا أن تبقى صورة النبي صلى الله عليه وآله حاضرة وماثلة وراهنة في النفوس

(١) سورة القصص: الآية ٢٣-٢٦.

والعقول، وهو لا يحصل إلا بشدة تذكره وإحياء اسمه.

وهذا في قبال أصحاب السقيفة فقال أبو بكر: أما بعد من كان منكم يعبد محمد ﷺ فان محمدا قد مات ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت قال الله تعالى: وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل إلى قوله الشاكرين^(١)، فلاحظ هذا الشعار لهم فإن محمد ﷺ قد مات بينما شعار فاطمة ؓ إن ذكر النبي ﷺ حي لا يندرس.

وشعار السقيفة هو دعوى التعلق بمن كان يعبد محمد ﷺ بلا وسيلته فقد مات.

بينما شعار فاطمة ؓ هو أن الإيمان بمحمد ﷺ هيام نوري إلهي في حياته وفي مماته، لاسيما أن رحيله ﷺ لازال في أوائله، فأرادت من البداية أن تخط وترسم سنة في ذكراه لأجيال المسلمين والمؤمنين وهي كيفية ودرجة التعلق بالنبي ﷺ.

ففاطمة ؓ بما لها من حجية سنت في الدين سنة كبرى وهي شدة التعلق بالنبي ﷺ في قبال السقيفة وقريش التي تسعى بكل جهدها لطمس ذكره واماته اسمه ﷺ.

ألم تحرق السلطة المستولية على مقاليد أمور المسلمين كتب الحديث النبوي وعاقبت الصحابة على رواية الحديث بالاقامة الجبرية لهم لئلا ينتشرون في البلاد فينشرون الحديث النبوي.

إلى غير ذلك من طمس الآثار الجغرافية ذات الصلة بالمعالم والمشاهد النبوية، والأعظم تغيير سنن النبي ﷺ إلى غير ذلك من ما قامت به السقيفة لمواجهة السنة النبوية.

(١) صحيح البخاري، البخاري / ٥ / ١٤٣.

ولذلك من أعظم صفات أمير المؤمنين علي عليه السلام هي اتباع سنن نبيه صلى الله عليه وآله.

ومن أعظم أدوار فاطمة عليها السلام إحياء ذكرى النبي صلى الله عليه وآله في نفوس الصدر الأول لتتداعى
صدى ذكره للأجيال اللاحقة.

فلاحظ يومنا الراهن كيف يجيى النصارى ذكرى ميلاد المسيح (الكرسمس) فيقيمون
العالم والكرة الأرضية ولا يقعدونها، وهو إحياء وتعظيم ميلاد نبي من أولي العزم، بينما
المسلمون والمؤمنون لا يقوموا بعشر معشار ما يقوم به أولئك رغم الفرق الشاسع في الكمال
بين عيسى وسيد الأنبياء صلى الله عليه وآله.

مع أن القرآن يبين أنه لا سعادة ولا خلاص للبشر من الأزمات إلا بالتعلق بشخصية
سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله، حيث لم يصف نبيا ولا وصيا بالأوصاف التي ذكرها له نظير قوله تعالى:
﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١) أي قدوة للعالمين ليرتقي البشر إلى المعالي.

الغاية الثانية: بكاءها معارضة سياسية:

من الواضح أن بكاءها يحمل أيضا طابعا اعتراضيا على نهج السقيفة، وأنه على نقيض
سنة النبي صلى الله عليه وآله وهدية ومنهاجه، ومن ثم لمس المستوليين على الأمور مدى خطورة الشحن
الذي توقده الزهراء عليها السلام في النفوس جراء بكائها وتذكير الأمة بالنبي صلى الله عليه وآله مما يعيد للنفوس
حيوية تعلقها بالنبي صلى الله عليه وآله ووصاياه، وفي هذا تجييش واستنهاض للأمة تجاه مشروع السقيفة.

(١) سورة القلم: الآية ٤.

الغاية الثالثة: بكاؤها بكاء معريفي:

لقد كان تعلق الزهراء عليها السلام بالنبي صلى الله عليه وآله منقطع النظير بحيث فاق العلاقة بين يعقوب ويوسف عليهما السلام وهما نبيان والعلاقة بين زين العابدين وأبيه الحسين عليهما السلام، فقد روي أنه عليها السلام مع كونه بكى طيلة حياته على أبيه إلا أنه تفجع لشدة تفجع جدته عليها السلام.

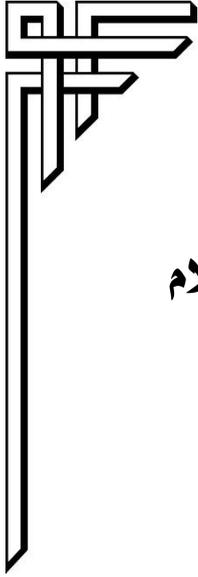
هذه العلاقة المتميزة للصديقة عليها السلام بأبيها لا محالة متميزة لأنها بين أعظم شخصية في الخلق وأعظم شخصية تأتي في الرتبة الثالثة بعد أبيها، ولا يعرف النبي صلى الله عليه وآله أحد بقدرها بعد أمير المؤمنين عليه السلام.

ومع هذا السنخ من القرب المعنوي كيف لا تنجذب الصديقة عليها السلام لأبيها صلى الله عليه وآله بهذه الهالة؟!!

وقد ورد متواترا عنهم عليهم السلام أن أعظم مصيبة على كل إنسان هي فقدته لرسول الله صلى الله عليه وآله ولن يصاب أحد بأعظم خسارة ومصاب من فقدته لرسول الله صلى الله عليه وآله.

وهذه الحقيقة التي باح بها أهل البيت عليهم السلام تنم عن مدى الكمال الذي يفقده كل إنسان بسبب فقدته للنبي صلى الله عليه وآله، فكيف هو حال من يدرك هذه الحقيقة وكان ينهل من النبي صلى الله عليه وآله أعظم ما يمكن لأحد أن ينهل ويتكامل به صلى الله عليه وآله.

ثم إن شدة تفجعها وبكائها كان تربية وتعلما منها عليها السلام لكل البشر والمخلوقات بضرورة التعلق بالنبي صلى الله عليه وآله، وانه لا بد أن يكون تعلقهم به بعد التعلق بالله تعالى بهذا الحجم كما وكيفا لينالوا التكامل ويتمكنوا من العروج في مدارج القرب الإلهي.



المقالة الرَّابِعة والعشرون: ولايات فاطمة عَلَيْهَا السَّلَام فِي العوالم الآتية

* النبي ﷺ شفيع وفاطمة عَلَيْهَا السَّلَام حاكم.

* اعتراض.

* جواب الاعتراض.

روى في فرات الكوفي أن رسول الله ﷺ قال: (يا فاطمة بنت محمد! أما تحبين أن تأمرين غدا فتطاعين في هذا الخلق عند الحساب.

أما ترضين أن يكون ابنك من حملة العرش.

أما ترضين أن يكون أبوك يأتونه يسألونه الشفاعة.

أما ترضين أن يكون بعلك يذود الخلق يوم العطش عن الحوض فيسقي منه أوليائه ويزود عنه أعداءه.

أما ترضين أن يكون بعلك قسيم النار يأمر النار فتطيعه يخرج منها من يشاء ويترك من يشاء.

أما ترضين أن تنظرين إلى الملائكة على أرجاء السماء ينظرون إليك وإلى ما تأمرين به

وينظرون إلى بعلك قد حضر الخلائق وهو يخاصمهم عند الله فما ترين الله صانع بقاتل ولدك وقاتليك إذا أفلحت حجته على الخلائق وأمرت النار أن تطيعه.

أما ترضين أن تكون الملائكة تبكي لابنك ويأسف عليه كل شيء.

أما ترضين أن يكون من أتاه زائراً في ضمان الله ويكون من أتاه بمنزلة من حج إلى بيت

(١).

بالإلتفات إلى أوصاف وأحكام عالم القيامة الثابتة بالقرآن والآيات المحكمة ندرك من الرواية الأنفة الحاكية لمقامات الزهراء عليها السلام في ذلك العالم عدة أمور وخصائص نذكر هاهنا بعضها:

(١) الرواية صريحة في ثبوت ولاية للزهراء عليها السلام على جميع الخلق، لا سيما أن يوم

الحساب هو يوم ظهور وبروز ونفوذ إرادة الله، كما في قوله تعالى: ﴿لَمِنُ

الْمَلِكِ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾^(١).

(٢) يقول تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ

فلا تسمع إلا همساً﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لا يَتَكَلَّمُونَ إِلا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ

(١) تفسير فرات الكوفي، فرات بن إبراهيم الكوفي ١٧٢.

(٢) سورة غافر: الآية ١٦.

(٣) سورة طه: الآية ١٠٨.

صَوَابًا ﴿٣﴾.

فالرواية تنبأ أنه في يوم ظهور ملكوت وجبروت الله يكون لها ﷺ أمر ولها طاعة من الخلائق.. فأى مقام هذا؟

(٣) وفي الرواية ثلاث جمل تدل على ولايتها ﷺ:

أولها: قوله (يا فاطمة بنت محمد)

وثانيها: (تأمرين)

وثالثها: (تطاعين)

وهذا كله بلحاظ ذلك اليوم الذي وصفه الله في قرآنه بقوله تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ ﴿٣﴾ يكون للزهراء ﷺ موقع أمر ومهيمن.

(٤) وقد بين الله في مواضع عديدة من القرآن في أوصاف يوم القيامة أن الدقة في التصرفات والتتائج أكثر من أي عالم، أكثر من عالم الدنيا وعالم البرزخ وعالم الرجعة، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿٣﴾.

ومنها استحكام التدبير الإلهي في ذلك العالم، وفيه يقول الله تعالى: ﴿وَعَرَّضْنَا جَهَنَّمَ

(١) سورة النبأ: الآية ٣٨.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٨.

(٣) سورة النساء: الآية ٤٠.

يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا^(١).

إنه في يوم الجمع ويوم الإرهاب ويوم مراسيم ملكية مهولة لإظهار الهيمنة الإلهية، في ذلك الجو العظيم والمحفل المرهب، يكون للزهراء عليها السلام ولاية وأمر ونهي.

(٥) ويقول تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾^(٢) ففي حين لا تنفع الشفاعة للبعض ويكون للبعض شفاعة، يكون للزهراء عليها السلام ولاية وأمر ونهي، أي فوق الشفاعة لأن الشفيع وسيط والأمر فيصل وقاض.

(٦) وقال تعالى: ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾^(٣) فكيف يكون لها ملك هناك فتأمر!! وأمرها قدرة تصرف وتكوين.

(٧) ويقول تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾^(٤). وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾^(٥).

فلا يوجد أدنى حيف أو جور أو اشتباه، بل حتى ترك أولى، والحكم كله منسوب لله،

(١) سورة الكهف: الآية ١٠٠.

(٢) سورة طه: الآية ١٠٩.

(٣) سورة الحج: الآية ٥٦.

(٤) سورة المؤمنون: الآية ١٠١.

(٥) سورة النور: الآية ٢٥.

بل كله حسب إرادة الله تعالى، وفي هذا الجو المشحون بالعدالة بكل دقائقها يكون للزهراء عليها السلام أمر وطاعة.

(٨) ومن هول ذلك اليوم يقول تعالى: ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾^(١)، أي ينسون كل شيء ولا يمكنهم التفكير والتركيز، لكنه في ظل ذلك الجو المشتت للفكر يوجد احاطة للزهراء عليها السلام لأنها آمرة، وهذا يدل على رفعة المقام الروحي لها.

(٩) ومن أوصاف القيامة الكبرى ما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾^(٢)، أي لا يمكن للشخص أن يرضى نفسه، لكنها عليها السلام ترعى الخلق كله.

(١٠) وفي عظمة ذلك اليوم يقول تعالى: ﴿وَأَنْشَقَّتْ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾^(٣)، أي يأخذ السماء من عظمة ذلك اليوم الوهي بينما سيدة النساء عليها السلام في مقام شامخ.

النبي صلى الله عليه وآله شفيح وفاطمة عليها السلام حاكم:

قال في بعض فقرات الرواية: (أما ترضين أن يكون أبوك يأتونه يسألونه الشفاعة).

وفي هذا المقطع دلالة على تمكين النبي صلى الله عليه وآله بمقام مكين في الشفاعة للتعبير فيها بالفعل المضارع (يكون) و(يأتونه) و(يسألونه) وهي أفعال مضارعة تدل على الاستمرار ودوام

(١) سورة القصص: الآية ٦٦.

(٢) سورة الروم: الآية ٤٣.

(٣) سورة الحاقة: الآية ١٦.

الطلب من النبي صلى الله عليه وآله في أصل النجاة وفي رفعة المقامات.

اعتراض:

وربما يعترض أن ما مرّ من تقرر حاكمية الزهراء عليها السلام في الحساب هو أعلى مقاما من الشفيع، فكيف يكون لها ما ليس لأبيها؟

جواب الاعتراض:

إن شفاعة النبي صلى الله عليه وآله بلحاظ حاكمية الله لا بلحاظ حاكمية نفسه التي هي في طول حاكمية الله تعالى، فضلا عن حاكمية ابنته الزهراء عليها السلام، فبلحاظ هذا المطلب يكون مقام شفاعة النبي صلى الله عليه وآله أعظم من مقام حاكمية النبي صلى الله عليه وآله نفسه فضلا عن حاكمية ابنته الزهراء عليها السلام، لأنها مرتبطة بحاكمية الله تعالى.

والملاحظ أن المقاطع في الرواية التي تستعرض مقامات النبي صلى الله عليه وآله ومقامات الوصي عليه السلام ومقام الحسين عليه السلام لها إضافات ونسب للصديقة الطاهرة عليها السلام، بمعنى أن تلك الكمالات في حين أنها كمالات لهم عليهم السلام لها ارتباط بكمال منسوب لها.

فهرس الموضوعات

- ٧..... مقدمة المقرر
- ١١..... الضابطة الأولى: المحكمات وطبقاتها الضابطة لعرفتها
- ١٤..... كيف نتعرف على طبقات المحكمات:
- ١٦..... ولاية أهل البيت عليهم السلام مثبتة في أم الكتاب:
- ١٨..... وقفة مع السيد المرتضى:
- ٢١..... الضابطة الثانية: موقع العقائد فوق عالم الدنيا
- ٢٣..... الضابطة الثالثة: العمى عن المعارف في الدنيا
- ٢٧..... الضابطة الرابعة: العقيدة رؤية لماض أم منهج لحاضر ومستقبل
- ٢٩..... الضابطة الخامسة: لغة الفضائل ترجمانها الحجية ولغة الذم إسقاط للحجية
- ٣٥..... الضابطة السادسة: لغة القرآن والزيارات
- ٤٥..... الضابطة السابعة: الاعتقاد بالنبوة أعظم من الاعتقاد بالجنة والنار
- ٥٣..... الضابطة الثامنة: أنحاء ارتباط الحجج بالبشر
- ٥٥..... الضابطة التاسعة: المقامات المشتركة بين الخمسة لا تنلي التراتبية

- المضابطة العاشرة: إمامة رسول الله صلى الله عليه وآله ٥٩
- المقالة الأولى: موقع الزهراء عليها السلام في أصول العقائد ٦٥
- الشاهد الأول: ملكها في العوالم الآتية: ٦٦
- الشاهد الثاني: تلقين النبي صلى الله عليه وآله لحمزة عليه السلام: ٦٩
- الشاهد الثالث: اعتراف أبي بكر بمقامات فاطمة عليها السلام: ٧١
- المقالة الثانية: الاعتقاد بها عليها السلام فريضة مودة أم إيمان بموقعها الخاص ٧٣
- المقالة الثالثة: نورية الزهراء عليها السلام وما يترتب عليها من أدوار ٧٥
- المقالة الرابعة: الزهراء عليها السلام بضعة روح الوجود ٨١
- أنحاء القربى: ٨١
- إجمال مقامات فاطمة عليها السلام في كتب المتكلمين: ٨٣
- المقالة الخامسة: مقام المحدث ٨٥
- المقامات الاصفائية في القرآن: ٨٦
- المحدثه وسام إلهي عظيم لفاطمة عليها السلام: ٨٨
- فاطمة عليها السلام محدثة من الملائكة والروح الأمري: ٩٠
- المقالة السادسة: مقام المحدث ٩٩
- أهل البيت عليهم السلام رواة عن كل طبقات وجود النبي صلى الله عليه وآله: ١٠١
- المحدث مرتبط بروح من أرواح النبي صلى الله عليه وآله: ١٠٢
- المقالة السابعة: دلالة مصحف فاطمة عليها السلام على مقامها الشامخ ١٠٥

- المطلب الأوّل: مراسيم تسليم المصحف لفاطمة عليها السلام: ١٠٥
- المطلب الثاني: العلوم المودعة في مصحفها: ١٠٩
- نهج فاطمة عليها السلام قدوة: ١١٥
- المطلب الثالث: إشراف فاطمة عليها السلام على الإمامة الإلهية ١١٦
- البعد الأوّل: الوساطة النورية: ١١٧
- الْبُعد الثاني: الوساطة النورية تثبت الحجية: ١١٨
- المقالة الثامنة: ليلة القدر أحد مقامات فاطمة عليها السلام** ١٢١
- كلام المجلسي رحمته الله في هذا المقام: ١٢٦
- النقطة الأولى: فاطمة عليها السلام الثالثة الحجج: ١٢٩
- النقطة الثانية: البيت بيت الرُّوح: ١٢٩
- النقطة الثالثة: الارتباط بين أرواحهم والعرش: ١٣٠
- النقطة الرابعة: ارتباطهم بالعرش معراج: ١٣٠
- النقطة الخامسة: امتداد صرح بيوت أرواحهم: ١٣١
- المقالة التاسعة: إرهابات النبوة في فاطمة عليها السلام** ١٣٣
- الأمر الأوّل: تكرر نزول الملائكة العظام عليها عليها السلام: ١٣٥
- الأمر الثاني: التعبير عما تتلقاه بالنزول: ١٣٦
- الأمر الثالث: تسالم المسلمين على الخصائص الاصطفائية لفاطمة عليها السلام: ١٣٧
- الأمر الرابع: التولد من النبي صلى الله عليه وآله ممزوج بالجينات النبوية: ١٣٨
- الأمر الخامس: توصيفها بنبوة أو صاف مقامات النبي صلى الله عليه وآله: ١٤٠
- الأمر السادس: مصحف فاطمة فيه تنزيل وتأويل القرآن: ١٤١

- علم جمع الجمع النبوي لدى فاطمة عليها السلام: ١٤٣
- ارهاصات الوحي: ١٤٣
- ذكر شؤونها وصلاتها من المصحف: ١٤٥
- مسألة: هل المصحف أكبر من القرآن: ١٤٨
- المقالة العاشرة: الكفؤية** ١٥٧
- منهج الاستدلال على المقامات: ١٥٨
- حديثا الثقليين والكفؤية قرآنيان: ١٥٨
- فوائد من حديث الكفؤية** ١٦١
- الفائدة الأولى: المديح الشخصي في القرآن اصطفاء إلهي: ١٦١
- الفائدة الثانية: ضرورة إرجاع معادلات الروايات للقرآن: ١٦٢
- الفائدة الثالثة: علم فاطمة عليها السلام أسمائي جامع: ١٦٧
- الفائدة الرابعة: علو رتبته على الأنبياء ما عدا الخاتم: ١٦٧
- لفتة معرفية: ١٦٩
- اشكالية الكفؤية الاجتماعية: ١٧١
- تقريب ثالث لحديث الكفاءة: ١٧٢
- تنافسها قربي لاقبلي: ١٧٩
- وصيتها لعل عليها السلام وشرائها في الأمر: ١٨٠
- المقالة الحادية عشر: شراكتها لعل عليه السلام وتقدم رتبته عليها السلام على رتبة أولادها** ١٨٣
- رتبة فاطمة عليها السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعل عليها السلام ثم الحسنين ثم التسعة عليهم السلام: ١٨٧

المقالة الثانية عشر: طبقات تزويج الزهراء عليها السلام بعلي عليه السلام قرآن في عوالم الولايات ١٩١

- ١٩٢ سر هول وعظمة تزويج علي من فاطمة عليها السلام:
- ١٩٢ النقطة الأولى: ولاية أمر زوجها عليه السلام بيد الله خاصة:
- ١٩٣ النقطة الثانية: الحفاوة المملوكية لزوجها عليه السلام:
- ١٩٥ الأمر الأول: ولاية زواج علي عليه السلام أيضا بيد الله:
- ١٩٥ الأمر الثاني: اقترانها عليها السلام تم في الجنة الابدية قبل الدنيا:
- ١٩٦ الأمر الثالث: الحفاوة بزواجها عليها السلام ذو صلة بولايتها:
- ١٩٦ الأمر الرابع: مهرها تولية الهية لها على شؤون العالم كله:
- ١٩٧ تبرك الملائكة المباركين ببركات زوجها عليه السلام:
- ١٩٨ محورية فاطمة عليها السلام كقوة لعلي عليه السلام في الرتبة:
- ٢٠٠ انفعال العرش وما دونه بزواجها عليها السلام ارتباط الداني بالعالى:
- ٢٠٠ تولى الله لزوجها لكونه اقتران نظم وتدير إلهي:
- ٢٠٢ النقطة الثالثة: التزويج والمؤاخاة:
- ٢٠٢ التراتبية بين الثلاثة:
- ٢٠٣ قرآن كقوة في عالم المملوكوت:
- ٢٠٤ زوجها عليها السلام نظير القران الأسامي:
- ٢٠٤ المؤاخاة بين النبي صلى الله عليه وآله والوصي عليه السلام نورية:
- ٢٠٤ النقطة الرابعة: حديث الكساء:
- ٢٠٥ التألف في الولايات الاصطفائية سر عظمة أهل البيت عليهم السلام:
- ٢٠٦ تفوق علي عليه السلام في امتحان الولاية تدير الملائكة:

- أهل البيت عليهم السلام نبراس في تدبير الولاية لكل ٢٠٧
- طبقات الملكوت وطبقات الملك: ٢٠٧
- اختصاص أصحاب الولايات الإلهية في الملكوت والملك: ٢٠٧
- النقطة الخامسة: الولادة في الكعبة والتزويج: ٢١٢
- المقالة الثالثة عشر: نسبة فاطمة عليها السلام لعلي عليه السلام** ٢١٣
- كفؤيته عليه السلام لفاطمة عليها السلام وتقدمه على اولاده عليهم السلام: ٢١٣
- اللون المشترك في دائرة الحجج لا ينافي التفاضل: ٢١٥
- دائرة التسعة عليهم السلام تتلو دائرة الحسين عليهما السلام: ٢١٥
- شواهد تقدم مقام الزهراء عليها السلام على اولادها عليهم السلام: ٢١٦
- أيتها أقرب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة أم علي عليهما السلام: ٢١٨
- المقالة الرابعة عشر: مقام ولاية الأمر ثابت لفاطمة عليها السلام** ٢٢١
- ثبوت ما وراء الإمامة السياسية لفاطمة عليها السلام: ٢٢٢
- ولاية أمر الأئمة عليهم السلام وراثته من فاطمة عليها السلام: ٢٢٢
- انعكاس ولاية فاطمة عليها السلام الملكوتية في الشؤون الخطيرة: ٢٢٣
- الأبعاد الثابتة من ولاية الأمر لفاطمة عليها السلام: ٢٢٥
- سؤدد وطهارة وحجية فاطمة عليها السلام مأخوذ في الدين: ٢٢٦
- أدلة ولايتها الأمرية: ٢٢٨
- خلو كتب الكلام عن نسبة عنوان ولاية الأمر لفاطمة عليها السلام: ٢٣١
- دليل ولايتها للأمر بمعناه الأرضي: ٢٣٢
- الفرق بين الأمرية الدينية والفرعونية الدكتاتورية: ٢٣٥

- ٢٣٦..... تروِّي النَّبِيِّ ﷺ في إسناد ولاية إلى لفاطمة ؑ:
- المقالة الخامسة عشر: حقيقة فاطمة عليها السلام..... ٢٣٩
- ٢٣٩..... تعريف أهل البيت عليهم السلام على وجه الحقيقة:
- ٢٤٠..... حقيقة الإنسان لا في بدنه ولا في عقله بل في كماله النهائي:
- ٢٤١..... التعريف الوحياني لفاطمة ؑ:
- المقالة السادسة عشر: دليل وفلسفة ظلامته الزهراء..... ٢٤٥
- ٢٤٦..... النقطة الأولى: ما هو الدليل على وقوع ظلاماتها:
- ٢٤٨..... تحليل السياقات الطبيعية للحدث وسيلة لفهمه:
- ٢٥٠..... اهمال القصاصات المحتملة تغريد خارج سرب فطرة البشر:
- ٢٥١..... الحجج المجموعية دون الحجج المستقلة نبع الحقيقة:
- ٢٥٢..... بعض أنماط تنقية التراث تعمية على الحقائق:
- ٢٥٣..... تراكم وتوزع قصاصات ظلامتهم في كتب المسلمين.....
- ٢٥٦..... التسرع في نفي الأحداث مناقض للمنهج العلمي:
- ٢٥٧..... النقطة الثانية: فلسفات إثبات ظلامتها ؑ:
- ٢٥٧..... الفلسفة الأولى: إحياء المظلومية إحياء للمنهج القويم:
- ٢٥٩..... الفلسفة الثانية: التعرف على الظلمات تمييز للقذوات:
- ٢٦٢..... علل تصفية الزهراء ؑ:
- ٢٦٣..... العلة الأولى: حيلولة وجود الزهراء ؑ عن البيعة:
- ٢٦٣..... العلة الثانية: تصفيتها لمصادرة حقها:
- ٢٦٣..... العلة الثالثة: شرعيتها المحكمة ؑ اسقاط لشرعيتهم:

- الشاهد الأول: ٢٦٤
- الشاهد الثاني: ٢٦٥
- الفرية على الزهراء عليها السلام فرية على الدين: ٢٦٧
- اشتراك النبي صلى الله عليه وآله وبضعته عليها السلام في شدة الظلّامة: ٢٦٩
- المقالة السابعة عشر: مضامين رثاء علي لفاطمة عليها السلام** ٢٧٣
- معنى زيارته عليها السلام النبي صلى الله عليه وآله نيابة عن النازلة ببقعته: ٢٧٥
- أسرار سرعة لحوق الزهراء عليها السلام بأبيها صلى الله عليه وآله: ٢٧٦
- فقد النبي صلى الله عليه وآله خسارة لا تعوض: ٢٨٠
- رجوع النبي صلى الله عليه وآله وفاطمة عليها السلام مرهون باستحقاق البشرية: ٢٨١
- صرعت الزهراء عليها السلام عن عمد ومكابرة ومباغطة: ٢٨٤
- المقالة الثامنة عشر: مقام الحوار الأنسي** ٢٨٧
- الوجه الأول: نزولها عليها السلام من الجنة لصلب النبي صلى الله عليه وآله: ٢٩٠
- الوجه الثاني: تفعل كما اتهم عليها السلام في بدء وجودها ٢٩١
- آثار الكمالات الملكوتية على بدن المادي: ٢٩٢
- الوجه الثالث: جسمها الظلي لم يودع في الأصلاب: ٢٩٦
- فائدة- ١-: عرض نورها لآدم تقدم لخلقها نورا وولاية عليّه: ٢٩٦
- فائدة- ٢-: مقام المنصورة وولايتها في الملكوت ومقامها في الرجعة: ٢٩٧
- المقالة التاسعة عشر: حوارية علي وفاطمة عليهما السلام** ٢٩٩
- الأدب الملتزم في حواريات الأولياء إظهار للمقامات: ٢٩٩

- الأدب السائد بين الأصفياء لا نظير له في المواقع الاعتبارية: ٣٠١
- تشابه وفوارق حوارية علي وفاطمة عليهما السلام لحوارية موسى وهارون عليهما السلام: ٣٠٢
- نبرة الأدب بين الأئمة عليهم السلام افصح عن تفاوت الصلاحيات: ٣٠٨
- المقالة العشرون: أم مقاماتها وهيمنتها** ٣١١
- مقامات الزهراء عليها السلام مغيبة في الاوساط العلمية: ٣١٢
- أم مقاماتها هو هيمنة كل فضائها على فضائل أولادها: ٣١٥
- آل محمد عليهم السلام دائرة متميزة عن النبيين وبين أفرادها تمايز: ٣١٧
- المنبة الأول: هيمنتها العلمية على علم أولادها عليهم السلام: ٣٢١
- قصور البحوث الكلامية عن استيعاب منظومة العقائد: ٣٢١
- المنبة الثاني: تفوقها عليها السلام على مسرح الشجاعة والجرأة: ٣٢٤
- التراتبية في الفضل في دائرة أهل البيت عليهم السلام: ٣٢٥
- مأمورية علي عليه السلام في جملة من الموارد ٣٢٩
- بإنفاذ أمر فاطمة عليها السلام: ٣٢٩
- أدلة هيمنة مقامها عليها السلام على مقام الحسين عليهما السلام: ٣٣١
- الدليل الأول: حديث الكفوية: ٣٣١
- الدليل الثاني: روايات التور: ٣٣١
- الطبقة النورية باللغة الفلسفية: ٣٣٥
- الدليل الثالث: هيمنة مصحفها الشريف: ٣٣٨
- السؤال تحر عن الحقيقة لا إنكارها: ٣٣٩
- الدليل الرابع: أمريتها في عالم الآخرة: ٣٤٠

- فاطمة عليها السلام لسان الميزان والحسنان عليهما السلام الكفتان: ٣٤١
- الدليل الخامس: كونها بحر علم النبوة: ٣٤٣
- علي وفاطمة عليهما السلام رافدان للمعرفة الكاملة بالنبى صلى الله عليه وآله: ٣٤٨
- منهاج فاطمة عليها السلام محكم على منهاج الأئمة عليهم السلام: ٣٤٩
- المقالة الواحدة والعشرون: خطب الزهراء عليها السلام ٣٥٣
- عدد خطب الزهراء عليها السلام: ٣٥٣
- تعدد خطبها تعبير عن مداومة مقاومتها: ٣٥٤
- الخطبة الثانية: بيان مقام ولايتها ٣٥٧
- على رجال الأمة والمهاجرين والأنصار ٣٥٧
- المحاسب والحاكم على المهاجرين والأنصار على أكبر مسؤولية وهي اقضاء امير المؤمنين عليه السلام عن الخلافة: ٣٥٧
- الخطبة الثالثة: مسؤوليتها عليها السلام حفظ الرسالة وكفالة المؤمنين ٣٦٣
- الخطبة الرابعة: علي وفاطمة ركنا الولاية وأخاتيم وعدي ركنا الظلم ٣٦٧
- المقالة الثانية والعشرون: إقرار أبو بكر لفاطمة عليها السلام ٣٦٩
- شرح المقامات ٣٧٧
- ١- عين الحجة: ٣٧٧
- ٢- منطق الرسالة: ٣٧٨
- ٣- سيدة أمة ابيك: ٣٧٨

- ٤ - الشجرة الطيبة لبنيك : ٣٧٩
- ٥ - حكمك نافذ: ٣٨٠
- ٦ - أنت معدن الحكمة: ٣٨١
- ٧ - موطن الهدى والرحمة: ٣٨١
- ٨ - ركن الدين: ٣٨٢
- ٩ - الخيرة المتجربون: ٣٨٢
- ١٠ - على الخير أدلتنا دليل الأمة على الخير: ٣٨٢
- ١١ - وإلى الجنة مسالكنا مسالك الأمة للجنة: ٣٨٣
- ١٢ - خيرة النساء: ٣٨٣
- ١٣ - بنت خير الانبياء (خير الآباء): ٣٨٤
- ١٤ - صدق الله ورسوله وصدقت ابنته: ٣٨٧
- ١٥ - سابقة في وفور عقلك: ٣٨٧
- ١٦ - غير مردودة عن حقلك: ٣٨٨
- ١٧ - ما عدوت رأي رسول الله: ٣٨٨
- ما ذكرته أم سلمة من مقامات وشؤون لفاطمة عليها السلام: ٣٨٨
- ١ - الحوراء بين الانس: ٣٨٨
- ٢ - النفس للنفس: ٣٨٩
- ٣ - ربيت في حجور الأنبياء: ٣٨٩
- ٤ - تداولتها أيدي الملائكة: ٣٩٠
- ٥ - ونمت في حجور الطاهرات: ٣٩١
- ٦ - ونشأت خير منشأ: ٣٩١

- ٧- وربيت خير مرتبى: ٣٩١
- ٨- أتزعمون أن رسول الله حرم عليها ميراثه ولم يعلمها؟! وقد قال الله له: (وأندر عشيرتك الأقرين)، أفأنذرها وجاءت تطلبه: ٣٩٢
- ٩- وهي خيرة النسوان: ٣٩٤
- ١٠- وأم سادة الشبان: ٣٩٤
- ١١- وعديلة مريم ابنة عمران: ٣٩٤
- ١٢- وحليلة ليث الأقران: ٣٩٥
- ١٣- تمت بأبيها رسالات ربه: ٣٩٦
- ١٤- فوالله لقد كان يشفق عليها من الحر والقر، فبوسدها يمينه، ويلحفها بشماله: ٣٩٦

المقالة الثالثة والعشرون: سر شدة بكاء الزهراء ٣٩٨

- الغاية الأولى: بيان فادح رحيل النبي صلى الله عليه وآله: ٤٠١
- الغاية الثانية: بكاؤها معارضة سياسية: ٤٠٣
- الغاية الثالثة: بكاؤها بكاء معرفي: ٤٠٤

المقالة الرابعة والعشرون: ولايات فاطمة عليها السلام في العوالم الآتية ٤٠٦

- النبي صلى الله عليه وآله شفيع وفاطمة عليها السلام حاكم: ٤١٠
- اعتراض: ٤١١
- جواب الاعتراض: ٤١١

فهرس الموضوعات ٤١٢